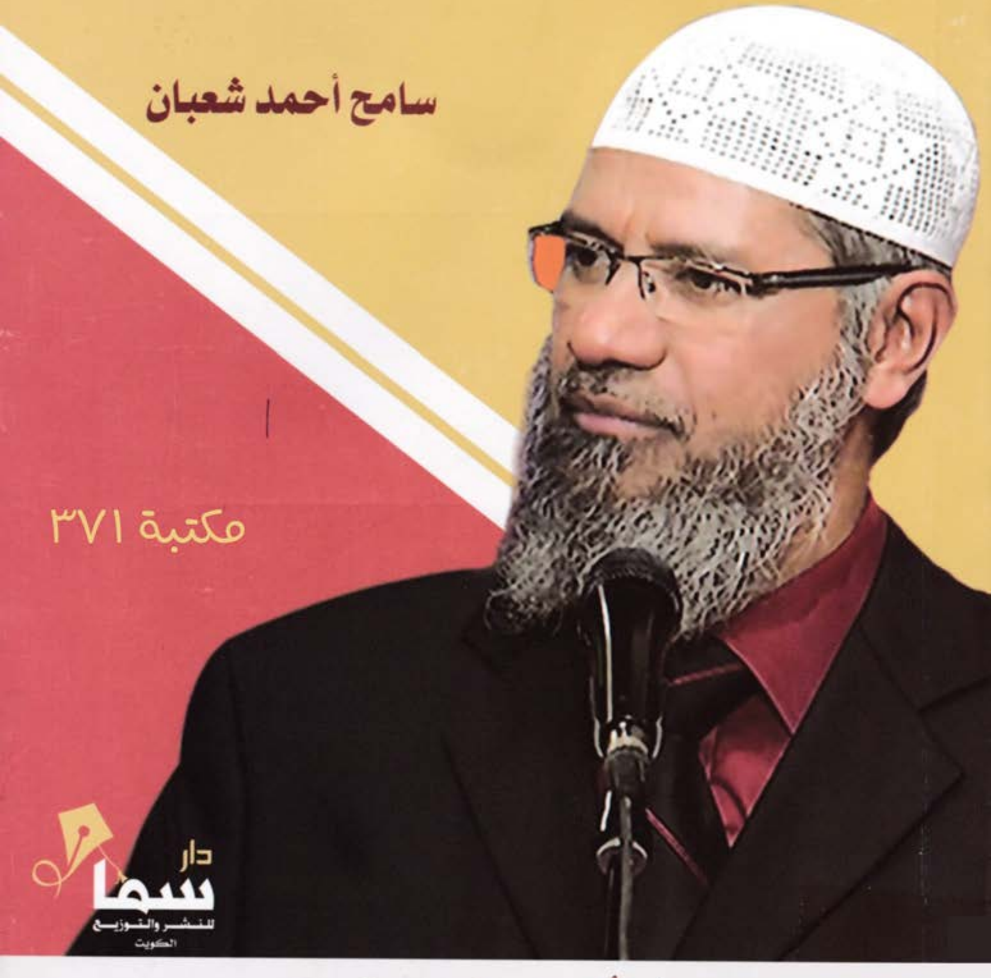
الكتاب الأول عربياً

الطبعة 2

ذاكر نايك

ديدات الأكبر

سامح أحمد شعبان



دار سما للنشر والتوزيع
الكويت

رجلٌ بأُمَّة .. حتّى مطلَع اليقين

ذاكر نايك

ديدات الأكبر

سامح أحمد شعبان



سامح أحمد شعبان
ذاكر نايك
الكويت: دار سما للنشر والتوزيع 2017
384 ص ؛ 24 سم.
الردمك: 5-2-802-99906-978

الغلاف: رفعة العجمي



للتدقيق اللغوي وإخراج الكتب بإشراف الأستاذين:
محمد خميس وسامح شعبان
lsan.dad.201@gmail.com

الطبعـــة الثانية

1438 هـ - 2017 م

اللهم أنزل على قبرها الضياء والنور والفسحة والسرور
اللهم اقبلها في عبادك الصالحين واجعلها من ورثة جنة النعيم
ذكرى لـ نورسين




+965 67076866
+965 90055534


www.dar-sama.com
dar_sama@hotmail.com


darsama
dar_sama

الإهداء

إلَى مَنْ أَضَاءَ بِعَينَيهِ دَرْبَ الحَياةِ الكَؤودْ

وَخطَّ بنَورِ الفُؤادِ رُؤاهُ بِسِفْرِ الخُلُودْ

وَأَخْرَجَنِي مِنْ غَيَاهِبِ جُبٍّ سَحِيقٍ عَمِيقْ

وَظَلَّلَنِي بِالمسَاءِ الشَّجِيِّ بِجَانِبِ بِيتِي العَتِيقْ

إلَى مَنْ تَسَامَى عَلَى الجُرْحِ حتَّى أَقامَ الحَياةَ الرَّقُودْ...

وَصَلَّى بِمِحْرَابِ قَلبِي.. أَطالَ الرُّكُوعَ.. أَطالَ السُّجُودْ

وَأَرْشَفَ رُوحَي مِدادَ الحُروفْ

وَحولَ امْتِدَادِيَ رَاحَ يَطُوفْ

تَضَمَّخَ مِنْ هَمْهَماتِ الصَّباحْ

يُضَاحِكُ نَبْضَ الأَقَاحْ

وَرَاحَ يُقَبِّلُ نَفْحَ الوُرودْ

لَعَلَّ الذِي غابَ يومًا يَعُودْ

يُعِيدُ إِلَيهِ صِباهْ

لِيَنْسُلَ مِنْهُ رَحِيقَ الحَيَاةْ

سامح أحمد شعبان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾

[المائدة: ٨٢-٨٤]

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ما أقوى أن يمتلكَ المرءُ سلاحًا لا يُكسر، يمضي به في غياهبِ الحياة وسرادِيبها لا يهابُ منها أحدًا ولا يخشى سيئًا، وما أسهلَ أن يمتلكَ المرءُ ذاك السلاحَ البعيدَ كلَّ البعد عمَّن رآه بعيدًا، فإذا ما اصطلحَ مع نفسِه التي تقودُه إلى أن يصطلحَ مع الله امتلكَ ذلك السلاحَ فكان أقربَ إليه من كلِّ قريب.. ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٥-٢٨]، لعلَّ هذا السلاح هو ما سعَى إليه ذلك الرجل وأراد أن يمتلكَه حتى كان له ما أراد، وقف ذاتَ يوم هناك يحدِّق في رجل عملاق أخذ عليه مجامعَ قلبه، ورأى فيه قدوةً حسنة، أخذ بيده إلى الطريق القويم، وأعطاه مصباحَ الهداية، فسار به يكشف فحمة الظلماء، «أحمد ديدات» و«د. ذاكر» نجمان وضَّاءان في سماء الدعوة وحُقَّ لهما ذلك، ولئن كان قد خرج كتاب عن الشيخ ديدات إلى النور فإنَّه كان من دواعي الغبطة والسرور أن عُهِد إليَّ بتتبُّع مسيرة «د. ذاكر» لإخراجها إلى النور، ولا سيما أنَّني منذ سنين وأنا في هذا من قبل البَدء بهذا العمل، ومن قبل أن يُعهد إليَّ، إذ شُغفت بالوقوف على طريقته في الدعوة ومنهجه في المناظرات، وكم روَّى من ظمأ وأغنى من جوع، ولا سيما بعد أن خلَتْ الساحة من الشيخ ديدات، فهيَّأ الله لهذه الدعوة من يحمل

رايتَها ويمضي بها قُدمًا غير هيَّاب ولا وَجِل في زمن نحن أحوجُ فيه إليه وإلى صنائعه، في زمن وقف الشبابُ المسلم حائرًا يتلقَّى الطعنات دون ردٍّ، فالحمد لله أولًا وآخرًا.

غير أنَّه من سوء الحظ أنَّني لم أستطع أن أتَّصل به بسبب بعض الظروفِ القاهرة، ولضيق الوقت إلَّا أنَّ الكمَّ الهائل الذي أنتجَه كان كافيًا ليضعَني في بحرٍ خِضمٍّ من الأفكار والمعلومات، فرحتُ إلى حدائقه أنتقي من زهورها لأنظم عقدًا من سيرة حياته ومواقفه الدعوية، معتمدًا كلَّ ما وقعت عليه يدي وعيني من معلومات وتسجيلات، ونظرًا لضخامة العمل فقد حاولت قدرَ المستطاع الانتقاءَ والاصطفاءَ مما قرأتُ عنه ومن مشاهداتي ومتابعاتي لمناظراته ومحاضراته ولقاءاته، حتى استطعتُ أن أُجري هذه التوليفة المتواضعة، وقد ذكرتُ فيها أهمَّ المحاضرات والمناظرات والأسئلة المطروحة عن الإسلام، إذا ليس من السهل الإحاطة بكل إنتاجه في كتاب واحد مهما بلغت صفحاتُه، وأما مصادر الكتاب فقد اعتمدت في الدرجة الأولى على فيديوهات مناظراته ومحاضراته ولقاءاته، ثمَّ طعَّمتها بكلِّ ما جاء في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، وأسأل الله الثواب لكل من نشر أو سعى بنشر شيء من هذا مهما كان نَزرًا يسيرًا، راجيًا من الله العفو والسداد، فإن وُفِّقت فمن الله، وإن قصَّرتُ فمن نفسي والشيطان، والحمد لله أولًا وآخرًا.

وكتبه/ سامح أحمد شعبان

٥ من ذي الحجة ١٤٣٨هـ/ ٢٧ – ٨ – ٢٠١٧م

طفل منقوص الكلمات

«ذّا.. ذّا.. ذّا.. ذّاكِرْ».. استجمعَ ذلك الصبيُّ الصغير قُواه، وتهيَّأت جوارحُه، وتحفَّز عقلُه وجسمُه استعداداً للإجابة عن ذلك السؤال الذي كان يؤرِّقه، ويطرق أسماعه بين الفَينة والأخرى...

- ما اسمُك أيها الصغير...؟.

- ذّا.. ذّا.. ذّا.. ذّاكِرْ...

هكذا كان ذلك الطفل ينطِق اسمَه بصعوبة؛ لأنَّه لم يكن قادراً على دفعِه مرة واحدة من فمِه، لازمِتْه التأتأة طويلاً، وربما أخجلَتْه بين أقرانه، وكان يعتلِجُ في صدره أنَّه ابن الطبيب المشهور «عبد الكريم نايْكْ»، وأمَّه طبيبة ناجحة أيضًا بينما هو لا يُحسن الكلام..

لم يكن يدور في ذهن هذا الصبيِّ الصغيرِ العاجزِ عن نطق اسمِه فضلًا عن إيصالِ أفكارِه أنْ يقفَ أمام ثُلة قليلة من أصحابِه ليتحدثَ إليهم إنْ لم نقُلْ أمام جمهور غريب عنه.. ولم يكنْ يدور بخَلَده أنَّ وجهَه الذي كان يواريه من الآخرين سيراه ملايين البشر على اختلاف ألوانهم ومآكلهم ومشاربهم، وسيُوسَّع له في المجالس وفي المحافل بعد أنْ كان يتحاشاها.. لسانُه الذي عانى التأتأة كثيرًا هو نفسُه الذي أثَّر في ملايين الناسِ، وسحَرَهم بقوة حُجَّته متسلِّحًا بقوله – تعالى-: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ

﴿الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

ضاقَ صدرُه ممَّا هو فيه، فدعا ربَّه: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٥-٢٦]، وأرَّقته حُبسةُ لسانِه، فدعا ربَّه: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٧ -٢٨]، نعم، لقد شرح اللهُ صدرَه للدعوة، ويسَّر أمره في دعوة الناس وهدايتِهم، وانحلَّت عُقدة لسانه الذي حارب به أعتَى الملحدين وأعداء الدِّين... إنَّه الداعية الكبير الطبيب «ذاكر عبد الكريم نايك» الذي سار على نَهْج والدَيه في دراسة الطب، غير أنَّه تحوَّل فيما بعد من طبيب للأبدان إلى طبيب للأرواح...

في العاشر من شهر تشرين الأول/ أكتوبر عام «١٩٦٥م» في أُسرة علمية أبصرت عيونُ الدكتور ذاكر النُّور في مدينة «مومباي» الهندية، ليكون الابنَ الخامسَ للطبيب والخبير التربوي المعروف في الهند د. عبد الكريم نايْك، ثم في مدرسة «سان بيتر العليا» بدأت أُولى خُطواته الناعمة في مجتمع مسيحيٍّ باتجاه العِلْم، وعلى الرَّغم من تحصيله المتدنِّي في بادئ الأمر إلَّا أنَّه فاجأ توقُّعات الجميع فيما بعد، لقد أدرك أنَّ تعثُّرَه قد توقَّف حين شرعَ بإظهار الحقِّ، ثم اتَّجه إلى كُليَّة «كيشنتشاند تشيلجرام» ليتخرَّج من كُليَّة الطب في مستشفى «ناير» عام «١٩٩١م»، حيث كان حُلُم أمِّه الطبيبة أنْ يكون جرَّاحًا عظيمًا مثل الدكتور «كريس برنارد» الذي قام بأوَّل عملية ناجحة لزراعة قلبِ إنسان، غيرَ أنَّ هذا الحُلُم قد تحوَّل تمامًا إلى حُلُم آخرَ، ربَّما كان تحقيقُه أصعبَ من تحقيق الحُلُم الأوَّل... كان الهدفُ هذه المرة رجلًا عزَّ نظيرُه، وبزغ نجمُه في الوقت الذي

تحاشَى الكثيرُ من الدُّعاة الدخولَ في الـمُعتَرَك الـذي دخلَه والـمُرتقَى الـذي ألقَى في سبيل صُعودِه كلَّ ثِقَله، إنَّه الشيخ «أحمد ديدات» الذي بدأ ذاكـر نايـك يوجِّه نحوَه بوصلتَه ويتتبَّعُه.. كان يرى فيه حُلُم حياتِه الذي أخذ يكبُرُ معَه شيئًا فشيئًا حتى استولى على كلِّ تفكيره، وسلب منه لُبَّه، وصرفَه عن كلِّ شيء.. إنَّها لحظة القَرار، لحظةُ الوِلادة الثانية.. وقف أمام أمِّه شامخًا، وفاجأها بسؤاله:

- أتريدينَ أنْ أكون مثلَ «كريس برنارد» أم مثل الشيخ «أحمد ديدات»؟.

غيرَ أنَّ مفاجأتَها له كانت أكبرَ من مفاجأتِه لها عندما قالت دودنَ تردُّدٍ:

- أستطيع أنْ أُضحِّي بألفٍ من أمثال «كريس برنارد» مقابلَ الشيخ «أحمد ديدات».

ومن يومِها انطلق مكرِّسًا حياتَه لخدمةِ الإسلام، ليُزيل سُوء الفهم عنه، ويحاربَ الأكاذيب التي ألصقَها به أعداؤه، ويصحِّح المفاهيمَ الخاطئة التي رسَخت بشكل أو بآخرَ في أذهان المسلمين وغير المسلمين، مستعينًا بالقرآنِ الكريمِ وبما صحَّ من حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وغيرِهما من نصوص في الكتب الأخرى التي يقتبس منها حرفيًا، إضافةً إلى التحليلات المنطقية والـمُحاكمات العقلية والحقائق العلمية، يسعى في الأرض إصلاحًا حتى وصلتْ محاضراته في أرجاء العالم إلى (٢٠٠٠) محاضرة أو تَزِيد، وانقلبَ ما كان يُعاني منه بفضل الله إلى استحضارٍ سريع لآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول –صلى الله عليه وسلم– والاقتباساتِ من الكتب الأخرى كالعهد القديم والعهد الجديد و كتب الهندوس وغيرها بأرقام الصفحات والآيات

والأجزاء، ولذا كان من السُّهولة بمَكان أنْ يكشفَ كلَّ تضـليل مـن المحـاورين الذين يحاولون التدليسَ في النصوص والكذبَ حتى يضلِّلوا الجمهور أو يحاولوا أنْ يكسبوا جولة...

تلقَّى في بداية مشواره الدَّعْوي دعمًا كبيرًا ومساندةً منقطعة النظير من «الثالوث» الذي جعلَه في أعلى مراتب النجاح بعد الله: «الأب والأم والرُّوح القَلْب» كانتِ الرُّوح القَلْب «فرحات نايك» الزوجةَ الصالحَةَ التي ساندتْه كثيرًا، وغدَت داعية مثلَه، وترأَّستِ القسم النسائيَّ في مؤسسة البحـوث التـي أنشـأها، وزادتْ مـن ساعاتِ نشاطه الدَّعْوي بعد أنْ تزوَّجها، حيث كان يعمـل «١٢» سـاعة، وبعـد الزواج زادَ ساعتين أو أكثر، وأنجبتْ منه ولدًا حافظًا هو الآن على طريق أبيـه في الدعوة وسماه «فَارِق» وابنةً حافظة سمَّاها «رُشدى» كأبيها وأمِّها.. لقـد سـار في طريق طويل شائك حتى بدَّد الخصوم، وفرَّق الجموع بسيف حُجَّتِه وقـوة بيانِـه حتى قال عنه شيخُه أحمد ديدات: «إنَّ ما صنعْتَه يا بُنيَّ في أربعِ سنواتٍ اسـتغرقَ مني أربعينَ سنة»، ولذلك سمَّاه «ديدات الأكبر»، فكانت هاتانِ العبارتانِ أعظـمَ هدية يحصَل عليها في حياته، ولكنَّ التلميذ البارَّ يأبى إلَّا أنْ يُنزل الناس منـازلَهم وينسُب الفضل لأهله وأصحابه، فقال للشيخ: «لولا السنواتُ الأربعُ ما كانـت الأربعون سنة»، لقد غدا واحدًا من أشهر الشخصـيات تـأثيرًا في العـالم، فوِفْـق استطلاعٍ من قِبَل مؤسسة «إنديان إكسبرس» أجرتْه عام «٢٠٠٩م» كان د. ذاكر المسلمَ الوحيدَ في القائمة، حيث احتلَّ المرتبة «٨٢»، وفي القائمة الخاصَّة بعشـرة من القادة الروحيِّين الأكثر تأثيرًا كان في المرتبة الثالثـة بـعــد الــراهب الهندي

«بابا رامديف» والزعيم الرَّوحي الهندوسي «سري رافي شانكار»، غير أنَّ هذا الترتيب له خُصوصيَّاتُه المكانية والزمانية، إذْ لم يصل إلى كثير من المسلمين في العالم الذين لو شملَهم الاستطلاع لاحتلَّ المرتبة الأولى دون منازع.. يحدُوه الأمل في أنْ يجاهد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية في كل مكان، كيف لا وقد حصَّل ما حصَّل!، حتى إنَّ اسم عائلته «نَايْكْ» يحمل معانيَ عِدة؛ منها «إلى الأعلى» في بعض اللغات، و«المجاهد» و«البطل» في اللغة السَّنسَكْريتية.

* * *

المخاض والمهد

الهند.. غابةُ اللغاتِ والشعوب المترامية الأطراف، ومحَطُّ أنظار العيون الطامعة، وغنيمةُ النفوس المفترسة، رزحَتْ طويلًا تحت حكم الاستعمار الإنجليزي، وامتصَّ خيراتِها حتى أُترِع حدَّ الثُّمالة.. وهناك في حامية «ميرت» افتنَّ الضبُّاط الإنجليزُ في المَساس بكرامة الجنود الهنود «مسلمينَ وهندوسًا»، حيث فرضوا عليهم استعمال دُهن الخنزير والبقر في تشحيم البنادق، إنه قهرٌ للنفوس وطعنٌ في صميم العقيدة، فكان لابدَّ لثائرة الكرامة أنْ تنفجرَ، وللنارِ التي تحت الرمادِ أن تشُبَّ وتضطرمَ، فلا المسلمون يرتضُون التعامل مع الخنازير ولا الهندوسُ مع البقر، وهنا.. كيف للعَين المستعمِرة الحاقدة التي تتلذَّذ برؤية الشعوب المقهورة أن تُشيح الطرفَ عما حصل، بل على العكس من ذلك، إذ صعَّدتْ ما حصل، وكان أمرًا دُبِّر بنهار قبل أنْ يُدبَّر بلَيْل، فأُحيل عدد من الجنود المسلمين والهندوس إلى المحكمة العسكرية لينفِّذوا حكمًا بالسجن لعشر سنين، ليكونوا عِبرة لمن أراد أنْ يثورَ أو يشقَّ عصا الطاعة، بل لمن سوَّلتْ له نفسُه أنْ يخالف سيِّدَه المستعمِر، ويخلَعَ جِلد الرِّقِّ والعبودية الذي طالما ألقاه الغاصبُ على جسد الضحيَّة، هنا ثارت ثائرةُ الجنود الهنود بعد أنْ تلاشى أيُّ أملِ بالاسترحام والاستعطاف، فانقضُّوا كآسادِ الشَّرى على غاصبيهم ليطحنوهم بأسنانهم، تلك الأسنان هي نفسُها التي أجبرهم الإنجليز على تقطيع شُحوم الخنازير والبقر بها

لتشحيم أسلحتِهم، وبعد أنْ استولَوا على الحاميـة أبَـتْ نفوسُـهم الثـائرة إلَّا أنْ تُكمل المشوار، فوضعوا العاصمة «دلهي» نُصْب عيونهم.

وفي مكان ما هناك في «نجيب آباد» كان شيخٌ وَقُـور عـلى أُهْبـة الاسـتعداد لأيِّ عمل يكسِرُ قَيد الطُّغاة، ويحرِّر الرقاب من نَيْر الذلِّ والعبودية، ويُعيد الحقوق إلى أصحابها، لتُشرقَ شمس الحرية، هناك كان عالمُ الدِّين المسلم الشيخ «رحمـتُ الله ابن خليل الهندي»[1] الذي لم يَأْلُ جَهدًا بالاتصال بالثوار ورسم خارطة الطريـق السليمة للوصول إلى «دلهي»، لا بل زحف عـلى رأس «٢٠٠» مـن الجنـود مـن «نجيب آباد» لقيادة الجنود الثائرين عندما علِم أنَّ كثيرًا من المصاعب والعوائـق تعترِضُ طريقَهم، وكان الشيخ على دِراية كبيرة بشؤون الحرب، فعمد إلى تنظـيم الجنود وإقامة التحصينات والاتِّصال بكلِّ مَن يستطيع تقديم المساعدة ولا سـيما علماءَ الـدِّين الـذين لهـم تـأثير في الآخـرين، حيـث أشـعلُوا فَتِيـل الثـورة عـام «١٨٥٧م»، وسطَّروا أروع ملاحم البطولة ضدَّ المستعمِر الإنجليزي، إلَّا أنَّ مـا يملكونَه من عَتاد خفيف وأسلحة بسيطة لم يكنْ كافيًـا لإزاحـة هـذا الكـابوس الجاثم فوق الصُّدور في ظلِّ التآمر والخِذلان كحالِ الشُّـعوب المقهـورة التـي لا يلتفتُ إليها أحدٌ، وتذهب ضحيةً للجلَّادين، فـتمكَّن الإنجليـز مـن اسـترجاع السيطرة على زمام الأمور، وجاءت لحظةُ الانتقام، ولاسيما من المسـلمين الـذين

---

(١) يُكتب اسم الشيخ بالتاء المفتوحة (رحمتُ الله) وفق ما ينطقه الأعاجم كغيره مـن الأسـماء المنتهيـة بالتـاء المربوطة وفق مقتضى اللغة العربية كـ (حكمت) و(صفوت) و(نشأت). وسيصدر عنه كتاب عمّا قريـب مـن تأليف الأديب محمد مصطفى خميس من إصدارات دار سما.

ما فَتِئوا يذهبون ضحيةَ الاستبداد والفساد، ووجد الغَرب في ذلك فرصة سانحة للانقضاض على المؤسسة الدينية الإسلامية قبل أنْ يكون تأديبًا للجنود العُصاة، فانتشرتْ أعواد المشانق، ولا سيما للعُلماء والشيوخ في قرية «بنجيت»، وهنا كان لا بدَّ لهؤلاء المجرمين من توجيه ضربة قوية للمسلمين، فلا بدَّ إذًا من إلقاء القبض على الشيخ «رحمتُ الله» وتنفيذ حكم الإعدام فيه حتى يزرعوا الرُّعب في قلوب الآخرين من جهة، ويتخلَّصوا من الفِكر المسلم الذي يدعو للجهاد ضدَّهم من جهة أخرى، فتضعُفَ شوكة المسلمين الذين لا يرى الغَرب فيهم إلَّا خطرًا يهدِّد كِيانهم ووجودهم ومخططاتِهم الخبيثة، ففتَّشوا عن الشيخ في كلِّ مكان، ولا سيما «كِيرانة» مسقط رأسه، بحثوا تحتَ كلِّ حجَر، وفي تلافيف كلِّ شجَر، وسألوا عنه أهل المَدَر والوَبَر، فلم يعثروا له على أثر، كان الشيخ «رحمتُ الله» قد تخفَّى في «بنجيت» التي كان الإنجليز في طريقهم إليها، فسارع عُمدة القرية إلى إخفاء الشيخ بأنْ ألبسَه لباسَ الفلاحين، وطلب منه الخروج إلى الحقول، فمرَّ به الإنجليز وسألُوه عن نفسه ولم يعرفوه، ولما يئسوا من أهل القرية كافَّة رجالًا ونساءً، كبارًا وصغارًا من أنْ يُعطوهم أيةَ معلومة اعتقلوا منهم «١٤» شابًا، وتوعَّدوهم بتدمير القرية إنْ لم يسلِّموا الشيخ الذي عذَّبته نفسُه بأنَّ غيرَه من الأبرياء سيذهبون ضحيةً بسببِه، فهمَّ بتسليم نفسه لولا أنْ منعَه العُمدة الذي أخبره أنَّ أهل القرية لا يهمُّهم اعتقال أبنائهم، وسيخرجون عاجلًا أو آجلًا، وهذا ما حصل، وظلَّ الشيخ متخفيًا، ولم تكن الجائزة الكبيرة التي أعلن عنها الإنجليز وهي «١٠٠٠» روبية هندية لتجعل النفوس الوطنية تضعُف

وتدلُّ على الشيخ حيًا كان أو ميتًا، مع أنَّها كانت تشكل في ذلك الوقت ثروة كبيرة، فباءت كلُّ المحاولات بالفشل، وهنا كان لا بدَّ للشيخ من الخروج نهائيًا من المنطقة، فغيَّر اسمَه إلى «مُصلح الدِّين»، متَّجهًا إلى «سورات» ثم إلى «مومباي» مارًّا بالمسلمين يُذبحون على قارعة الطريق، ولاسيما العلماءَ والشيوخَ، ومن مومباي اتَّجه إلى ميناء «مخا» في اليمن، ومنها إلى «جِدَّة» في المملكة العربية السعودية التي استغرق الوصل إليها سنتين كاملتين كافح خلالَهما كفاحًا شديدًا، وعانَى ما عانَى من تعب الرُّوح والجسد، تمامًا كما عانَى قبل هذه الأحداث من الصِّراع مع الملحدين والطاعنين في الإسلام من أربابِ الديانات الأخرى، مما حدَا به إلى خَوض مناظراتٍ لبيَان الوجه الحقيقيِّ للإسلام ودَفْع الشبُهات وتِبيان الحقِّ، وانبرَى للإجابة عن كثير من الأسئلة التي تُضلِّل العقول إذا لم يكنِ المستمعُ على سويَّة جيِّدة من المعرفة بأمور الدِّين وكيفية الردِّ على الطاعنين، وما أحوجَ الشبابَ المسلم إلى مثل هذا، ومن هنا جمع الشيخ «رحمتُ الله» -رحمه الله- هذا المسائل في كتاب أسماه «إظهار الحق -izahar ul hakk - the truth revaled»، ضمَّنه أشهرَ الأسئلة الشائعة التي تدور حول الدِّين الإسلاميِّ، وكان أعداء الدِّين يحتجُّون بها على رَعاياه، وتكون الطامَّة الكُبرى عندَ من لا يعرف الإجابة، فيظهرُ بمظهر الضعيف العاجز، وينجرِفُ بعضُهم وراء تلك التضليلات، وتنجح حملاتُ التَّنصير التي قادها الإنجليز بشكل كبير بعد أنْ أدركوا أنَّ الخطر الحقيقيَّ يأتي من المسلمين لا من غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

فتى الـ «١٦»

ومن بين هؤلاء الشباب والفِتيان كان هناك فتى في السادسة عشرة من عُمره فقيرُ الحال، يُصارع مع أبيه في سبيل لقمة العيش، واضطرَّتهما ظروفُ الحياة القاسية إلى الهجرة من الهند إلى «جنوب أفريقيا» للعمل بأجر زهيد، وكان هذا الفتى على مفترق طريقين، فإمَّا أنْ يتركَ العمل ويتركَ والده وحيدًا في ساحة المعركة أو يتركَ دراستَه ويلزمَ جانب أبيه ليكسِبَ بضعة جُنيهاتٍ يسدُّ بها ثُلمة في جدار حياتِه البائسة الفقيرة.. غيرَ أنَّ ظروفَه القاسية قد دمَّرت مفترق الطرق هذا، ولم تُبقِ له خِيارًا آخرَ سوى أنْ يتركَ الدراسة لعَجزه عن سَداد مصاريفه، وهكذا تقاذفَتْه أمواج الحياة، وتلاطمَتْ حوله كالجبال لتطحَنَه بثِقالها، ووجد نفسه في محيط شاسع واسع من الفقر والعَوَز، وكلما يمَّم وجهَه شطرَ الحياة الجميلة المستقرة وجدَ الشاطئ بعيدًا جدًا، وكان مما يزيد عذابه مَرأى والدِه الغارق في العمل المضنِي الشاقِّ في سبيل لقمة العيش، إلى أن استقر به المطاف أخيرًا بائعًا في مَتْجر لبيع الأغذية بعيدًا عن مدينة «ديربان» -ثالث أكبر مدينة من حيث عدد السكان في جنوب أفريقيا- بما يقرب «٢٥» ميلًا... وفي الطرف الآخر من المتجر كان المنصِّرون يعملون على قدمٍ وساقٍ في التنصير حيث أنشؤوا كُليَّة لهذا الغرض تدرِّب المنصِّرين، وتعلِّمهم كيف يَحرِفون المسلمين عن عقيدتهم، كانت كلية «Adams musician» بؤرة فساد وإزعاج للشباب

المسلمين، ولا سيما مَن لا يعرف من الإسلام إلَّا الشهادة»، وربَّما قلَّد والدَه في صلاته وصيامه دون أدنى معرفة بالخطوط الرئيسة للإسلام، فضلًا عن الصف الثاني من تلك الخطوط، وكان الطلاب المنصِّرون يقصِدون المتجر الذي يعمل به هذا الفتى لشراء مُستلزماتِهم، وكانوا يطبِّقون ما تعلموه على هؤلاء الفِتْية الذين كانوا يعملون في المتجر، فلا يجد هؤلاء أيةّ إجابة وأيَّ ردٍّ، فيضحك الطلاب المنصِّرون ضحكةَ الفارس المنتصر، بينما يعلو الوجوم وجوهَ فِتيان المتجر.. واحدٌ منهم كان الأمر يؤرِّقه كثيرًا، واحدٌ منهم انتابه شعور خَفيٌّ أجَّج مشاعرَه وأحرقه من الداخل، وربمّا قال في نفسه: لماذا..؟ لماذا لا أعرف شيئًا..؟ لماذا أقفُ عاجزًا أمام مَن يطعن في ديني..؟ «أحمد ديدات» لا يعرف شيئًا..!!.

ومن هنا بدأ «أحمد ديدات» يلتهم كلَّ ما يقع في يدِه من مطبوعات، ولا سيما الجرائدَ القديمة؛ لأنَّه لم يكن يمتلك المال لشراء الكتب، ولكنَّه ظلَّ ظامئًا لا ترتوي نفسُه، ولا تتبدَّد حَيرتُه، ولا تصفو حياتُه؛ لأنَّه لم يجد ما يبحث عنه.

وذاتَ يوم قادتْه رجلاه إلى مستودع المتجر الكبير الذي كان يعملُ به، يبحث عن شيء يقرؤه، يروي ظمأَه، يشفي غُلَّته... إلى أنْ وقعتْ عيناه بين الأكداس على كتابٍ قديم اهترأتْ أوراقُه من الرطوبة والعفَن، ووجدتْ بعضُ الحشرات إليه سبيلًا تجرِّب التهامَ بعض القطع منه، دقَّق في العنوان كثيرًا، وحملَق فيه جيدًا بعد أنْ نفض الغبارَ عنه.. قرأ تاريخ طباعتِه فكان «١٩١٥م»، قبل أنْ يُولد «أحمد ديدات» بثلاث سنوات، قلَّبَ أوراقَه قليلًا، فشعر كما لو أنَّ نسائمَ طيبةً بدأت تهُبُّ عليه وْسَط فَلاةٍ مُقفرة تعصِفُ فيها رياح الشُّتاتِ والضَّياع، وشعر كما لو

أنَّ واحةً خضراءَ ناضرةً بدأت تلوح أمام عينَيه، دبَّ الأمل في شرايينه، وأخذتْ عزائمُه أولَ شَحنة قوية من هذا الكتاب، نعم... هذا ما كان يبحثُ عنه.. لقد كان كتابَ «إظهارُ الحقِّ» للشيخ «رحمتُ الله بن خليل الهندي» الذي واجهَ به المنصِّرين، وألجمَهم بأجوبته من خلال المناظرات التي خاضها ضدَّهم... لقد وجد «أحمد ديدات» ما كان يبحث عنه، كان هذا الكتاب طوقَ النَّجاة الذي تمسَّك به والقبسَ الذي أضاء ما حوله وبصَّره بالطريق إلى بيوت المنصِّرين الذين أخذوا يهربون من مواجهتِه فيما بعد.

اعتنى بالكتابِ، فنظَّفه وجدَّد غِلافه، والتهمَ كلَّ ما فيه من معلومات، ويا لها من سعادة، الآن امتلكَ السلاح الذي سيهزمُ به هؤلاء الحاقدين الهازئين، وضمَّ ما تعلَّمه منه إلى ما كان قرأه من الأناجيل، وأجرَى مقارنة بين ما ورد فيها وبين ردود الشيخ «رحمتُ الله» في كتابه، فاستقرَّ على أرضيَّة صُلبة، واستوى على صَهوة الإفحام والردِّ وقَرْع الحُجَّة بالحُجَّة وتفنيد الأكاذيب، وازداد قوةً يومًا بعد يوم إلى أنْ غدا أمام الخصوم جبلًا يحاولون أنْ يهُدُّوه بإبرة ضعيفة ليِّنة لا تقوَى على اختراقِ خِرقةٍ بالية.

وها هو اليوم ينتظرُهم، بل دعاهم إلى بيته، وناقشَهم وأسكتَهم، لا.. بل نقل ميدان المعركة إلى ساحاتِهم وبُيوتِهم وكنائسِهم، كان ينتظرهم صباح كلِّ يوم أحدٍ أمام الكنيسة ليأخذ منهم موعدًا للِّقاء، ولما انقلب المهزومُ إلى منتصر، والهازئُ إلى عاجز ضعيف مُلجَم الفم بدا هؤلاء الطلاب المنصِّرون صغارًا جدًا أمامه، إذ صارت نفخةٌ واحدةٌ منه كفيلة أنْ تجعلهم جميعًا هباءً منثورًا تَذْروهم

رياحُه حيث هبَّتْ، فلم يكن من بدٍّ إلَّا أنْ يتوجه إلى معلِّميهم وأساتذتهم، إلى المنصِّرين الكبار، إلى «شيوخ الكَار»، فاتَّجه إلى مدينة «ديربان»، واطَّعَن مع القساوسة والرهبان، وكان كلُّ واحد منهم يحسَب أنَّه يُحسن صنعًا، ولم يكن يعلم أنْ «أحمد ديدات» تعلَّم الكثير والكثير، كان «ديدات» يجعل الخصمَ يغوص معه شيئًا فشيئًا حتى يجد نفسَه في عُرض المحيط وقد انفلَتَ منه طوق النجاة، وإذا به يغرق ويغرق، ويخرج مهزومًا هزيمةً نكراء، ولم يفكِّر أيٌّ واحد من هؤلاء الـ «masters» بعَقْد مواجهة أخرى بينه وبين الشيخ «أحمد ديدات» مهما كلَّف الأمر.

وبعدها ازداد الشيخ «أحمد ديدات» صَقْلًا لقُدراته بعد أنْ قرأ ما كتبَه الشيخ «عبد العليم صِدِّيق» الذي كان قد حضر بعضَ محاضراتِه عن علاقة القرآن الكريم مع فروع المعرفةِ والعلمِ، ما جعلَ حلُمه يكبُر ويكبُر، ويوجِّه أنظارَه نحو البُؤرة التي كانت تؤرِّقُه في بداياتِه مع الفِتيان الآخرين الذين كانوا يقِفون عاجزين أمام الطلاب المنصِّرين، إنها كُليَّة «Adams musician»... أراد أنْ يخوضَ مناظرةً حول الكتب السماوية والعلم الحديث، لتكون بذلك أولَ محاضرة عامة يُقيمها على الملأ، غيرَ أنَّ ظروف حياته القاسية أجبرَتْه على التخلِّي عن إقامة تلك المحاضرة بعد أنْ هدَّدَه رئيسُه في العمل بطردِه لينقطعَ سببُ رزقِه الذي لم يجدْ عنه بديلًا، ومع أنَّ رئيسَه كان مسلمًا إلَّا أنَّ حالَه كحال باقي المسلمين الذين كانوا يشعرون بالخوف والرعب من أمورٍ كهذه، نظرًا لأقلِّيَّتهم وللتهديدات التي يتعرَّضون لها، فكانوا يُؤثِرون السلامة والسكوت على

الخَوض في مثل هذا، واستمرَّ توقُّف الشيخ «أحمد ديدات» لسنوات حتى انتقل من عمله هذا إلى أعمالٍ أخرى أكثرَ حرية، ثم غادر إلى الباكستان المسلمة بعد أنْ انفصلَتْ عن الهند التي سيطر عليها الهندوس، إلَّا أنَّه لم يلبَثْ حتى عاد إلى جنوب أفريقيا خوفًا على جنسيَّته من السقوط؛ لأنَّ قانون الدولة يُحدد عدد سنوات لسقوطها إذا لم يكن حاملُ الجنسية من مواليد جنوب أفريقيا كحال الشيخ «أحمد ديدات»، ومن هنا انطلق «ديدات» إلى النُّور بعد أنِ استقرَّ وضعُه الماديُّ، وانفتح على المحاضرات العامةِ والمناظرات العلنيَّة، وشاع اسمُه بين الأسماء اللامعة، وعلَا ذِكرُه حتى طاول السَّحَاب، وتردَّد صِيتُه في كلِّ مَسمع، وغدا مَحطَّ أنظار العالم القريب والبعيد المهتمِّ بهذه الشؤون، وصار حلُمًا للكثيرين أنْ يحقِّقوا عُشر مِعشار ما حقَّقه الشيخ «أحمد ديدات»، وهو الأمر الذي جعل الطبيبةَ والدة «د. ذاكر نايك» تردُّ على سؤاله عندما سألها إنْ كانت تفضِّل أنْ يصبح مثل أعظم جراح للقلب الدكتور «كريس برنارد» أو مثل الشيخ «أحمد ديدات»، فأجابته بكل تلهُّف إنها تضحِّي بألف من أمثال الدكتور «كريس برنارد» في سبيل الشيخ «أحمد ديدات»[1].

* * *

(١) للاستزادة يُنظر كتاب: «أحمد ديدات سفير العهد الأخير» لمحمد مصطفى خميس، إصدارات دار سما.

رُبَّ «صُدفةٍ» أنْجبَتْ «مُصادفة»

فكَّر وقدَّر.. غيرَ أنَّ الله سدَّد تفكيرَه، وبارك تقديرَه، وقرَّر أنْ يسلكَ سبيل الدعوة، ولم توقِفْه وُعورة الطريق، ولم يفكِّر في سوء المنقلَب، فعقد العزم وتوكَّل على الله، وكان حين لاذَ بقراره في السنة الثانية من الطبِّ البشريِّ، وكان ذلك في عام «١٩٨٧م» بعد لقائه بالشيخ «أحمد ديدات» مباشرة، بعد أنِ اهتدى إلى ضوءِ ناره، وأخذ منها قبسًا، وشعر أنَّ شيئًا غريباً بدأ يسري في عروقه.. إنَّها دماء الدعوة التي تفجَّرت مع الأيام بركانًا ثائرًا في وجه الطغاة أعداءِ الدين.. لم تكن لديه أيُّ خطط دَعْوية، لم يتبصَّر على أيِّ منهج سوف يسير، ولا سيما أنَّه لم ينتسب إلى أيِّ مركز دَعْوي، إنَّما كان الدافعُ الذي بداخله يدفعه بقوة كالسيل الجارفِ الذي لا يعرف الرجوع إلى الخلف، إذًا لا بدَّ من قبسٍ يستضيءُ به ويحمل شعلته ليضيءَ طريق مَن ضلَّ الطريق وحاد عن جادة الصواب، لا بدَّ من مَعِين عذب يمتلكُه ليسقيَ منه كلَّ صَادٍ متعطِّش للعلم والمعرفة ليستبينَ سبيلُ الحقيقة، ويرتشفَ من كأس الهدى ليَخضَوضرَ قلبُه من بعد جفافٍ، وفي الوقت نفسِه لا بدَّ له من امتلاكِ سلاح فتَّاك في وجه هؤلاء الذين عَتَوا عن أمر ربِّهم وضلَّلوا الآخرين، لا بدَّ من إعصارٍ فيه نارٌ يحرق كلَّ من أراد بالدِّين سوءًا، ويجعلُه رمادًا تَذْرُوه الرياح، فلم يجدْ بادِئ ذي بَدْء سوى أنْ يثقِّف نفسه بنفسه فوق ما تعلَّمه من محاضرات الشيخ «أحمد ديدات»، لكنَّه يريد تطبيق وصيَّة معلِّمه الذي لم

يسعفْه الوقت سوى للتصدِّي للمنصِّـرين، بينما أراد من تلميذه أنْ يدرسَ الديانات الأخرى أيضًا إلى جانب المسيحيَّة، إذًا لا بدَّ أنْ يقرأ ويقرأ، فانهال على الكتب وعلى أشرطة الشيخ «أحمد ديدات» وغيره من علماء مقارنات الأديان وغيرهم من الدُّعاة والعلماء، كان كلُّ شيء ذاتيًّا، من عزيمة النفس بدأ، ومنها انطلق، فاستقرَّ في قلوب الملايين...

كانت كُليَّة الطبِّ تضمُّ ما نسبته (٣ – ٤٪) فقط من المسلمين، فوجد الدكتور ذاكر في ذلك مرتعًا خصيبًا لنشر أفكارِه وإطلاق عنان المناقشات، ونظرًا لحساسيَّة الموقف عند الطلاب المسلمين لكونهم أقليَّة كانوا يهربون ويهربون عندما كان يبدأ الكلام مع غير المسلمين في الدَّعوة، وكانوا يتركونه وحيدًا مع هؤلاء، فتتقطَّع به السُّبُل إلَّا سبيلَ الواحد القهار أمين السماء الذي يصل عبادَه فلا يتركُهم، كيف لا وقد ساروا في دروب كهذه في سبيله وابتغاءَ مرضاتِه؟.

لم يقفِ الأمر عند دعوة الطلاب غير المسلمين، إنَّما تعدَّى ذلك إلى هدف أعلى وأكبر، وتطلَّعت أنظارُه إلى عقول أوسع، إلَّا أنَّ الباب الذي فتحه كان واسعًا باتِّساع الخطَر الذي قد يأتي منه.. إنَّهم أساتذة الجامعة التي يدرس فيها...

- ماذا يفعلُ ذاكر ؟!!.
- بالله عليكم أهوَ عاقل؟!!.
- أيوجد إنسانٌ عاقلٌ يفعل هذا؟!!.
- لا حولَ ولا قوةَ إلَّا بالله.. سيرسُب وسيرسُب، وبعد ذلك سوف يرسُب.

- لماذا؟ دعْه وشأنَه، لا بدَّ أنَّه يعرف ماذا يفعل، وهو حرٌّ، وإنْ حصل شيء فسَيجني على نفسه.

- الدرجةُ عندنا كما تعلم (٥٠٪) للشفهي، و(٥٠٪) للنظري، ولأنَّه لا يوجد سجلَّات خاصة فيمكن للأستاذ الجامعي أنْ يرسِّبه بسهولة، مسكين هذا الـ «ذاكر» سيضيِّع نفسَه.

- الذي يُثير استغرابي يا أخي أنَّ «ذاكر يعاني» التأتأة، ولسانُه لا ينطلق بالكلام، فكيف يفعلُ ذلك؟!!، أهو مغفَّل؟!!.

هذا غَيض من فَيضٍ ما كان يدور على ألسنة بعضِ زملائه المسلمين في كُليَّة الطبِّ، إلَّا أنَّ الجواب الذي صدر عن الطالب «ذاكر عبد الكريم نايْك» كان أكثر استغرابًا عند الزملاء من الفعل نفسِه:

- إنَّ رسَّبوني فستصبحُ لديَّ فرصة أخرى للقيام بدعوتهم ثانيةً أخرى.

نعم، هذا كان ردُّه، لم يهتمَّ لأمر الرسوب في كُليَّة الطبِّ مثل اهتمامِه في الرسوب في الدعوة التي هي الهدف الأسمى الذي وضعَه نُصب عينيه وفي قلبه وعلى لسانه، وكأنِّي به كما قال الشاعر:

خَيَالُكَ فِي عَقْلِي وَذِكْرُكَ فِي فَمِي

وَمَثْواكَ فِي قَلْبِي فَأَينَ تَغِيبُ؟

وأمَّا عن موضوع التأتأة فقد استجاب الله دعاءَه المتواصل الذي يجعله مُفتتَح كلِّ حديث: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٥-٢٨]، كانت التأتأة تلازمُه، إلَّا أنَّها كانت

تتبدَّد وكأنَّها ليس موجودة عندما كان يتوجَّه بالحديث لغير المسلمين، نعم كانت تتلاشى تمامًا، وينطلق لسانُه كحصان جَواد في ليِّن من الأرض منبسطٍ، لا تُنجِد ولا تتغوَّر، ولا تُزبد ولا تتوعَّر، فإذا ما عادَ للحديث مع المسلمين عادتْ إليه التأتأة، ربَّما لحكمة أرادها الله، فلعلَّه أراد أن يُريَ هؤلاء أنَّ هذا اللسان المعقود إذا أراد سبيل الله هيَّأ الله له كلَّ السُّبل، ومهَّد له كلَّ طريق.

سارتْ سفينتُه تتهادى بين الأمواج فقاومَها جميعًا، واتَّخذ سبيلَه في بحرِ الدعوة قدُمًا، ثم أتبعَ سببًا بتنظيم المحاضرات مع زملائه، واقتصر دورُه على التنظيم والإعداد، وكان يتركُ صعود المنصَّة لغيره من الزملاء من أصحاب الكلام والشخصية الثابتة أمام الجمهور، إلَّا أنَّ الله أراد أمرًا كان مفعولًا، ففي ذات بداية.. في ذات لحظة حاسمة في تاريخ الدعوة الإسلامية وبينما كان الطالب «ذاكر» مع زملائه في مركز البحوث الإسلامية ارتبكَ الطالب المحاضر قبل الصعود إلى المنصَّة، وخاف وارتجف وأصابه التوتُّر، مع أنَّ الجمهور وقتَها كان قليلًا يدور حول الـ «٣٠» شخصًا، إلَّا أنَّ الله هيَّأ لهذا الشاب كلَّ السُّبل ليبزُغ نجمُه في أعالي سماء الدَّعوة... لم يكن أمام «ذاكر نايك» إلَّا أنْ يصعد المنصَّة.. كانت هذه المرة الأولى في حياته، ودارَ في نفسه ما دارَ من خواطرَ في تلك اللحظة عن نجاحه أو فشله ، عن ثباته أو تَقَهقُره، عن إثبات نفسه أو تحطيمها، عن رفع رِجله للخطوة الثانية أو تأخيرها والتواري خلف الصُّفوف، عن أنْ يصدحَ مرة ثانية أو يسكتَ إلى أجل لا يعرف مداه... إلَّا أنَّ الله وفَّقه في مراده.. لقد اعتلى منصَّة الكلام، وبدّد كلَّ الشكوك في تجاوز عوائق لسانِه، إنَّها المرة الأولى على

المنصَّة، وليس كالسابق في دعواتِه الفردية، حتى إنْ تجمَّع عدد من الشباب إلَّا أنَّ الدعوة تبقى عابرة، أمَّا هنا فالأمر مختلف، إنَّها دعوة عامة، والمحاضرة منظَّمة، وقد يزداد العدد، وهي في العلَن على رؤوس الأشهاد، يعلم بها الكثير، وينتظرون نتائجَها وإنْ لم يحضروا.... لقد انتصر...

كانت «صُدفةٌ» زميله عن الصعود «مصادفةً» له من أجل الصعود، فرُبَّ صُدفةٍ جاءت بمُصادفة.

وبعد هذا النجاح جاء نجاحٌ فنجاحٌ على المنوال نفسه... وهكذا إلى أنْ تخرَّج من كُليَّة الطبِّ، حيث مارس بعدَها مهنته لـ «٦» أشهر فقط، حيث إنَّ نفسَه الجامحة الطامحة كانت تبتعد به عن مُداواة الأبدان إلى مُداواة القلوب والأرواح، كانت عِلل الأَفْهام والعقول أكثر جذبًا له من عِلل الأجساد، فانعتقَ من مهنة الطبِّ إلى مهنة أعلى وأشرف، إنَّها الدعوة إلى الله، وكان ذلك تدريجيًا، حيث استشار والده في أنْ يخصِّص للدعوة إلى الله كلَّ يوم ساعتين من وقته، فوافق والده على ذلك، ثم بعد فترة وجيزة حانتِ اللحظة التالية، إنَّه نِصف الوقت، فليكنْ شطرُ وقته لطبِّ الأبدان، والشطرُ الآخر لطبِّ الأرواح، وأيضًا نزل الوالد عند رغبة ابنه الذي يتفجَّر حماسًا ونشاطًا، واستمر على ذلك أيضًا فترة ليس بالطويلة حتى انقلبَ الأمر هذه المرة، فأراد تخصيص الساعتين للطبِّ بينما يكون جُلُّ وقته للدعوة، فوافق والده أيضًا على ذلك ولم يناقشْه في الأمر، وهكذا إلى أنْ استوى الأمر في قلبه وعقله، وقلَّبه ومحَّصه، وحصحص في قلبه الحقُّ واستبان السَّبيل، إنَّها اللحظة الفارقة.. إنَّه عام «١٩٩٣م».. لقد اعتزل مهمَّة الأبدان وتفرَّغ

للدعوة بدءًا، بل أخذ يبحث في تلافيف حياته وتصرُّفاته عن وقت إضافيٍّ يضيفه للدعوة، وربما تمنَّى أنْ يكون له عُمر ثانٍ ليطوِّر برنامجه الدَّعْوي ويوسعَ نشاطه في سبيل الله، متجاوزًا تهكُّم المتهكِّمين، وسخرية الساخرين الذي نظروا إليه بشيء من دواخل النفوس، إذْ كيف يترك مهنة الطب التي هي أعلى مهنة ويتفرغ لغيرها؟!! هذا ما دار في خَلَد الناس الذين نَعَتوه بـ «المغفَّل»، وربَّما لا يعرف في الطبِّ، وذلك لأنَّ ثقافةً ما –مع الأسف– انتشرت في الهند والباكستان تقول: «إذا كان ولدُك فاشلًا فإنَّك تريد أنْ تجعلَه حافظًا للقرآن أو عالمَ دِين»، لذا فإنَّ أمثال هذه الثقافة جعلتِ المجتمع يرفض الدِّين من هذا المنطلق، وينظر لأصحاب الدِّين نظرةً لا تليق بهم، بينما كانت فكرة «د. ذاكر» أنَّ البشر ينبغي لهم أنْ يقدِّموا الأفضل في سبيل الله، ورأى أنَّ مهنة الدعوة إلى الله أعلى وأشرف من مهنة الطبِّ البشريِّ.

ولكنَّ ذلك لم يُلغِ عند «د. ذاكر» أنْ يحصل الإنسان على شهادة عالية في أعلى الاختصاصات، غيرَ أنَّ النقطة المهمة عنده كانتْ في قدرةِ الناس على اختلاف شهاداتِهم في استخراج الأخطاء وإصلاحها، فكيف إذا كان الخطأ خطأَ النفس؟، فما فائدة الشهادة للإنسان إذا قادتْه نحو الانحراف، المهمُّ هو الوصول إلى الحقيقة من خلال المعرفة التي يمكن أنْ تُكتسب من غير شهادة جامعة، فالصحابة –رضوان الله تعالى عنهم– لم يدخلوا جامعة، ولا مدرسة رسميَّة، ولكنَّهم كانوا على سويَّة عالية من العلم والمعرفة، وأمضَوا معظم أوقاتهم في كسبها، وقد نجحوا في ذلك نجاحًا منقطعَ النظير، المهمُّ أنْ تكون مستوثقًا مما

تقول، وهذا ما دأب عليه «د. ذاكـر» في محاضراتـه ومناظراتـه، فكـان يشـير إلى المرجع ويذكر الجزء والصفحة، ورقم الآية القرآنية ورقم الحديث، ويحفظ معانيَ كلمات القرآن الكريم باللغة الإنجليزية وبعدة لغات أخرى، ولم يـتعلم ذلـك في كُلِّيَّة الطبِّ ولا في المدرسة التي درس فيها، حتى وصـل بـه الحـال إلى أنْ يحفـظ غالبية الكتب المقدسة لدى الآخرين ويقتبس منها بالأرقام عن ظهر غيب وكأنَّه يقرأ شيئًا مكتوبًا أمامه، بل كان أسرعَ مـن ذلـك، ويحـتجُّ عـلى أصـحاب تلـك الكتب عندما يقولون شيئًا منها، فيقوم بذكر المكان الذي أخذوا منه عـلى وجـه الدِّقة محددًا الجزء والصفحة، وإذا ما أراد أحدٌ اعتناق الإسلام كان أولَ ما يسأله إنْ كان مجبرًا على ذلك أو لا، حتى يكون الأمر بملْء إرادته، وإذا لم يحصـل عـلى إجابات كاملة فلم يكن يلقِّنُه الشهادة، وله على مواقع التواصل واليوتيـوب كـمٌّ هائلٌ جدًّا من مقاطع الفيديو التـي تنقـل محاضراتـه ومناظرتـه التـي أجراهـا في مختلف بقاع الأرض مثل: أمريكا وكنـدا وبريطانيـا وجنـوب أفريقيـا والمملكـة العربية السعودية والإمارات والكويت وماليزيا والفلبين وسنغافورة وأسـتراليا وتركيا... ووصل به الحال إلى أنْ يحضر له عدد غفير من الناس بعد أنْ بدأ بـما لا يتجاوز العشرات، فثمة محاضرات في الهند حضرها «مليون شخص»، وصفحته على الفيس بوك يتابعها الملايين.

لم يؤلِّف كتبًا خاصة، غير أنَّه أعدَّ كتابًا في خلاصة برنامج دَعْوي تدريبي لإعداد الدُّعاة باللغة الإنجليزية الذي يدرِّسُه في المدرسة التي أنشأها لهذا الغـرض، كـما أصدر مطبوعًا يعتمد على الصـور يلخِّـص مراحـل دعوتـه، لكـنَّ كـلَّ الكتـب

المطبوعة المنسوبة إليه ما هي إلَّا المحاضرات التي ألقاها، والمناظرات التي خاضها مع الخصوم، وأشهرها: ١- هل الله موجود ؟، ٢- الرد على الشبهات، ٣- الهدف من الخلق، ٤-هل القرآن كلام الله؟، ٥-القرآن والكتاب المقدس في ضوء العلم، ٦-توحيد الأمة الإسلامية، ٧-حقوق المرأة في الإسلام، ٨-هل الإرهاب حكر على المسلمين؟، ٩-الدعوة أم الدمار؟.

***

مؤسسة البحوث الإسلامية

إنَّ داعية بحجم «د. ذاكر» لم يكن ليوقف نشاطه على أن يلقي محاضرة هنا أو هناك، إذًا لا بدَّ من مؤسسة عملاقة تعمل وفق برنامج منظَّم وأسس علمية وإدارية حكيمة، فكان أنْ أنشأ عام «١٩٩١م»: «مؤسسة البحوث الإسلامية Islamic Research Foundation»، التي تُعرف اختصارًا بـ«IRF»، وهي مؤسسة غير ربحية، تستخدم التكنولوجيا الحديثة التي طالما رآها «د. ذاكر» أحد أسباب تشويه صورة الإسلام، فلا بدَّ إذًا من استخدام السلاح نفسِه لعكس اتِّجاه المعركة، ولم تكن هذه المؤسسة حِكرًا على «د. ذاكر»، فقد ضمَّ إليها ثُلَّة من خِيرة الدعاة المؤهَّلين المتدرِّبين، مثل: «فيض الرحمن ندوي»، و«آثر خان»، و«منظور شيخ» وغيرهم، كما تضمُّ المؤسسة قسمًا نسائيًّا تترأسه زوجتُه الداعية «فرحات نايْك»، يضمُّ مجموعة من الداعيات، مثل: «نائلة نوراني» و«قدسية رضواني» و«نسيم مؤمن» وغيرهن.

وتضمُّ مؤسسة البحوث مجموعة من الأقسام والهيئات الإعلامية والتعليمية:

١- قناة «Peace tv» الفضائية التي بدأت بالبث عام «٢٠٠٦م» باللغة الإنجليزية، بينما هي الآن على «٢٠» قمرًا صناعيًّا، عدا عن شبكات الكيبل، وتُستخدم في هذه القناة أحدث التقنيات العالمية لتقديم البرامج الدعوية، ووصلت تغطيتها إلى أكثر من «١٠٠» دولة في العالم موزعة على معظم القارات،

وتبث حاليًّا بـ «٤» لغات: «الإنجليزية» التي يتابعها أكثر من «١٨٠» مليون مشاهد، واللغة «الأوردية» التي يتابعها أكثر من «٨٠» مليون مشاهد، ويتكلم بها الكثير من الهنود وبالبنغال والباكستانيين، وهي ثالث لغة مُتحدَّث بها في العالم، وبرامجها مختلفة عن القناة الإنجليزية، واللغة «البنغالية» التي يتابعها أكثر من «٥٠» مليون مشاهد وهي سابع لغة في العالم، وفي الآونة الأخيرة تمَّ افتتاح قناة تبثُّ باللغة الصينية، ويتم التخطيط لهذا الإرسال التلفزيوني للوصول إلى البث بأكثر «١٠» لغات انتشارًا في العالم. لقد بدأ مشوار البثِّ في هذه القناة بميزانية لا تتجاوز «١٠٠٠» دولار سنويًّا، وظلت تتطوَّر بفضل الله إلى أن تجاوزت الميزانية «١٠٠» مليون دولار.

٢- استوديو للإنتاج: مهمته الإعداد الفنِّي وفق أعلى معايير الجودة للمنتوجات الإعلامية، مثل: شرائط الفيديو والشبكات المنزلية، وغير ذلك.

٣- وحدة نشر المطبوعات: حيث تُشرف على إصدار ما يقرب من «٥٠» مطبوعة، وتقوم بالإشراف على توزيعها على المراكز والمؤسَّسات مجانًا في مختلف أرجاء الهند، وتصدر العديد من المطبوعات التعليمية.

٤- قاعة خاصة تضمُّ أحدث التقنيات العالمية، تُنظَّم فيها المحاضرات والمؤتمرات والاجتماعات والمعارض والدورات التدريبية، وغير هذا من أمور.

٥- المدرسة الإسلامية الدولية التي يتعلم فيها الطالب ما يخصُّ الدارَين الأولى والآخرة، فالطالب لا يتعلم فيها ما يُعينه على العيش بأسلوب اعتيادي، إنَّما يتعلم ما يعينه على اجتياز اختبار الحياة إلى الدار الآخرة.

أحمد ديدات وذاكر نايك

...وبعد معارك طاحنة خاضها الشيخ ذو اللحية البيضاء ها هو يترجَّل عن صَهوة جواده بعد أنْ ترك ماضيًا مجيدًا حافلًا بالدعوة، إنه «أحمد ديدات» فارس الدعوة الذي صال وجال منافحًا عن دين الله، لا يعرف الاستكانة والخنوع، ها هو الآن على فراش مرضه مستلقيًا على ظهره بعد أن أدَّى ما عليه، وشقَّ الطريق لمدرسة متكاملة أسماها بعضهم بـ «المدرسة الديداتية».. كان طريحَ الفراش عاجزًا عن الحركة إثر جلطة دماغية خطيرة، وبعد الفحوص الأخيرة للأطباء أخبروه أنه بقي له من العمر ما يقرب من «٤» أيام... نعم أربعة أيام فقط، كان هذا النجم على وشك أنْ يأفُل، ويمضي راضيًا وحزينًا... راضيًا عن نفسه فيما قدَّمه، وحزينًا لأنه لن يرى فرسانه الذين ربَّاهم في مجال الدعوة يتسنَّمون ذُرا المجد في المنافحة عن دين الله، لكنَّها مشيئة الله ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، فشاء الله أنْ يصبح كل يوم سنةً كاملةً، لقد عاش الشيخ بعد ذلك «٤» سنين، أرادها الله له لكي يرى ثمرة ما زرعه وقد أينعت، لم تكنِ الفحوص التي أجريت له تشير إلى أيِّ مجال للاستمرار في الحياة، إنَّها الاستحالة، لكنَّ الذي خلق نواميس الحياة قادر على خَرقها، وها هو الشيخ يهشُّ ويبشُّ وبجانبه فِلذة فكره وعقيدته وتربيته «د. ذاكر»، يستعرض معه انتصاراتِه على الخصوم، وكلما جاء مشهد يُفحَم فيه الخصم ويخنُس كانت أسارير

الشيخ تنفرد، وتكاد تسمع في داخله أهازيجَ الرضا والسعادة، فيقول له كما كان يقول سابقًا عبر جهاز خاصٍّ يُساعد الشيخ على نقل ما يريد إلى حروف: «لقد جعلتهم كلَحم مفروم»، لقد وهبه الله فُسحة من العمر بعد أنِ انقطع الرجاء ليرى ما يجعله مطمئنًّا على مستقبل الدعوة فيغمض إغماضتَه الأخيرة بكل اطمئنان...

«١٩٨٧م» عام فارق في حياة «د. ذاكر»، كان في السنة الثانية من الطبِّ البشري عندما بدأت إرهاصات الدعوة لديه باستماعه لمحاضرات الشيخ «أحمد ديدات» وأشرطة الكاسيت التي كانت منتشرة في تلك الأيام، كان لهذا الشيخ سحرٌ خاصٌّ شدَّه إليه، حتى جعله لا يستطيع عنه فكاكًا، ولا سيَّما أنَّه كان الوحيد الذي واجه حملات التنصير، وساهم بشكل كبير في إيضاح الصورة الصحيحة للإسلام، وكذلك أظهر من القوة والثبات ما عجز عنه المثقَّفون أصحاب الشهادات مع أنَّه لم يستطع الدراسة إلَّا إلى الصف السادس بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة، كان لديه إمكانية قليلة، ولكنَّه وصل إلى القمَّة، تخوَّف الجميع عندما أعلن أنه سيواجه القِسَّ الشهير «جيمي سواجارت» المعروف بمراوغاته ودهائه، وكان أقوى شخصية تلفزيونية مسيحية في الولايات المتحدة، ويأخذ ميزانية بملايين الدولارات ليحميَ المسيحية من الغرَق، كان ذلك عام «١٩٨٦م»، وقبل المناظرة ببضعة أسابيع جاء أحد متابعي الشيخ «أحمد ديدات» إليه ورجَاه ألَّا يواجه هذا القس الثعلب، قائلًا له:

- أنا من متابعيك، ولكنِّي أريد أنْ أعطيك نصيحة، هذا الرجل «جيمي

سواجارت» أنا أعرفه، فقد درسْتُه، رجاءً لا تناظرْه، إنه سوف يمضغك ويلقي بك.

غير أنَّ الله -تعالى- كان بجانب من دعا إليه، ومضى ينافح عن دينه الحق، فذهب إلى عقر دار ذلك المنصِّر النصراني، وهناك كانت المفاجأة، لقد قلب الشيخ «أحمد ديدات» الطاولة على الثعلب «جيمي سواجارت»، وأصبح أكبر حائط صدٍّ في مواجهة النصرانية في العالم، وفي مواجهة المنصِّرين، إنه رجل واحد، لكنه تحدَّى المسيحية كلَّها.

وعلى ضعف الإمكانات المادية للشيخ «أحمد ديدات» يُجمِل «د. ذاكر» الإعدادات التي كان الشيخ يجهِّزها للمواجهة حتى فاقَ الأقران:

١- هل كان موافقًا للإسلام؟، للقرآن والحديث الصحيح؟ هل كان في سبيل الله؟ نعم، هذا هو السبب الذي مكَّنه من تحقيق هدفه.

٢- هل كان محدَّدًا؟ نعم، كان هدفه محدَّدًا، أريد أن أردَّ على الادِّعاءات المثارة ضد الإسلام، أريد أن أعطي ردًّا مناسبًا يُزيل الشبهات المثارة حول الإسلام الموجودة في عقول غير المسلمين.

٣- هل كان مثمرًا؟ هل كان ذا منفعة؟ لقد أراد ثواب الآخرة، وإن شاء الله فسيجزيه الله الجنة، ولكن بجانب أنَّه مثمر في الآخرة فهو مثمر هنا أيضًا، كيف..؟!، تصوَّروا.. رجل لم يتجاوز الصف السادس يفوز في عام «١٩٨٦م» بأكبر جائزة في العالم المسلم، يفوز بجائزة الملك فيصل لخدمة البشرية، لم تكنِ الجائزة طموحَه، لم تكنِ الدولارات ولا الذهب، وإنَّما كان من أجل الله ورسوله

والله يجزيه في الآخرة، وفي هذه الدنيا أيضًا.

٤- هل كان مناسبًا وملائمًا؟ نعم، مناسب جدًّا وفي الوقت المناسب، كلُّ شيء فيه كان مناسبًا، عندما كان المنصِّرون يهاجمون الإسلام كانت روحُنا المعنوية في الحضيض، فجاء الشيخ «أحمد ديدات» وألهمَ آلاف الشباب، ومن ضمنهم «ذاكر»، فاستطعنا على الأقل أنْ نرفعَ رؤوسنا ونقفَ على أقدامنا.

٥- هل كانَ قابلًا للقياس؟ نعم، ماذا فعل؟ قام بجمع كُتب النصرانية وكُتب المنصِّرين الذين كتبُوا ضدَّ الإسلام، مثل: «جون كيلجريست»، «جيمي سواجارت» وغيرهما ثم بدأ بالردِّ، حين هاجموا الإسلام درَس كُتبهم وكتابَهم المقدَّس، واستخدم مع هذا القرآنَ الكريم، وسخَّر كلَّ هذا وحصل على النتائج.

٦- ماذا كانت نيَّتُه؟ لم تكن النيَّة أنْ يصبح مشهورًا، وليس الفوزَ بجائزة الملك فيصل، إنَّما كانت نيَّتُه أنْ يرضيَ الله ورسوله.

٧- هل كان ثابتًا ومستمرًّا، نعم كان كذلك، تخيَّلوا... كافح «٤٠» سنة، ولو عرفتَ حياتَه لرأيت أنَّ مكتبَه كان يشغل مساحة صغيرة وضيِّقة جدًّا... لقد أخبرنا الشيخ مرةً أنَّهم أرادوا أنْ يطبعوا «١٠٠٠» نسخة من مطويَّةٍ بالأبيض والأسود، فكانوا يعقدون لذلك اجتماعًا لتقرير إذا كان باستطاعتهم طبعُ هذا العدد من مطويَّةٍ بالأبيض والأسود!!، لقد استمرَّ في المثابرة حتى وصل إلى هدفه.

بعد هذا السحرِ الذي انتشر من الشيخ «أحمد ديدات» قرر «ذاكر نايك» أنْ يلتقيَه، فانجذب إليه أكثرَ وأكثرَ، وأحبَّه حبًّا جمًّا، ولازمه منذ ذلك الحين، ولكي

يربحَ من أوقاتِه معه أطولَ فترة ممكنة لم يجد الـمُرِيد «ذاكر نايك» سوى أنْ يخدمَ الشيخ في توصيله إلى الأماكن التي يذهب إليها، وكان ينهلُ من مَعِينه ويروِّي حقول نفسِه الطامحة إلى المعرفة، المتعطِّشة للإطاحة برؤوس الافتراءِ واجتذاب البُعداء إلى دوحة الدين الخضراء بالحُجَّة والدليل.. راقبَه كثيرًا في كلِّ حركاتِه وسكَناته، في هدوئه وسَوْراتِه، وكان يراه يصول ويجول وينقضُّ على الخُصوم بشِدَّة وحِدَّة، وذاتَ مشوار سأل ذاكرٌ شيخَه:

- لماذا أنت عنيفٌ جدًّا؟.

- يا بُني أنا لستُ عنيفاً ، أنا أقاتل، يمكنك أنْ تقاتلَ الشيطان بطريقتين: بالماء المقدَّس أو النار، وأنا اخترت النار... يا بُني لقد عملت دراساتٍ وأبحاثاً عن المسيحية والإسلام، وأما مقارناتُ الأديان الأخرى ودراستُها فقُم بها أنت، المسيحية خُذها جاهزة على طبق..

ومن هنا وقعتَ هذه الكلمات في نفْس «ذاكر» وقوع الغيثِ على أرض خِصبة لم يَزُرها الماء منذ سنين، فأنبتتْ في رُوحه عزيمة لا تلين، وحبًّا للدعوة لم يتوقَّف ينبوعُه عن الجريان حتى الآن، مما حدا به لأن يقول: «إذا قرأت كتاب ديدات فبإمكانك مناظرةُ البابا نفسِه»، لذلك لا بدَّ من دراسة الهندوسية والسيخية والجاينية[1] والعلوم الحديثة وأشياء أخرى... وهذا ما حصل عملًا بتنفيذ وصية الشيخ، ونزولًا عند رغبته، وبعد أنِ اعتلى منصَّة الخطاب، لم يشأ أنْ يسلك

(١) إحدى الديانات الهندية الفلسفية، تتبع تعاليم «ماهافيرا»، نشأت في القرن السادس قبل الميلاد.

مسلكَ شيخه في نبرة الخطاب، وإنما اتَّبع الأسلوب الليِّن الذي سرعان ما تخلَّى عنه عندما لم يجدْه ناجحًا، وعاد إلى أسلوب شيخه في مداهمة الخصوم وإغلاق كلِّ الطرق أمامهم بالحُجة والمنطق والدليل، فقارع أعلامَهم واعتلى بُنيانَهم، وخيرُ أمثلة على ذلك القِسُّ «د. ويليام كامبل» والقِسُّ «روكني» والزعيم الروحي الهندي «شانكار».

* * *

استقبال الفاتحين

هكذا استقبلت حكومة ماليزيا الدكتور ذاكر نايك

حراسة أمنيَّة مشدَّدة.. ووفدٌ رسميٌّ كبير.. وسيارات حكومية.. وشرطة بكامل العتاد.. وأصوات الدراجات النارية الحكومية تملأ كلَّ مكان.. ضَيف كبير يزور حكومة ماليزيا.. لعلَّه رئيسُ حكومة أو مسؤولٌ كبير يمثِّل دولته.. ها هو يترجَّل من السيارة.. لا، لم يكن واحدًا من أولئك المسؤولين الذين اعتدنا رؤيتَهم في مثل هذه المواكب.. إنَّه شخص مختلف تمامًا.. رجل خمسينيٌّ تعلو رأسَه «طاقيَّتُه» البيضاء، إنه «د. ذاكر نايك».. كانت دعوةً رسمية من رئيس ولاية «ترغكانو»..

ومَن رأى تلك الصورة المهيبة التي استقبلتْ فيها ماليزيا «د. ذاكر» يدرك تمامَ الإدراك أنَّ كلَّ فرد في ماليزيا هو الذي دعا «د. ذاكر» إلى بيته وليس الحكومة فقط، لقد كان استقبالًا شعبيًّا عظيمًا كما لو كان لمحارب عتيق قدَّم كلَّ ما يملك في سبيل بلادِه، أو لفاتح عظيم ضحَّى بكلِّ ما يملك في سبيل الله... وهذا ما كان عليه «د. ذاكر»، فقد كان يحارب الباطلَ والكذبَ والخرافاتِ والتضليلَ، وكان فاتحًا عظيمًا فتح أبواب قلوب ملايين الناس إلى الهدى والإسلام، حيث قدَّم هناك ما فتح الله عليه من طِيْب الكلام، وأسلم على يديه أعداد غفيرة من الناس.

ذاكر «محمد الفاتح»

كثيرٌ منَّا يذكر السلطان «محمد الفاتح» فاتح القُسطنطينية التي تحدث عنها الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-، لما لها من أثر في دخول الناس الإسلامَ، وها هو «د. ذاكر» يفتح دولة «غامبيا»، حيث كان على صلة وثيقة مع رئيس غامبيا «يحيى بن جامع» الذي تلقَّى عام «٢٠١٤م» دعوةً منه لزيارة غامبيا التي لم يكن «د. ذاكر» يعرفها وقتَها، وعند وصوله كان وزير الخارجية وكلُّ الطاقم الوزاريِّ في استقباله، وكان في المطار آلاف الناس يقفون على مدى عدة كيلو مترات هاتفين مرحبين: «أهلًا وسهلًا د. ذاكر» كان المنظر في غاية الجمال، حيث كان «تلفزيون السلام» الذي أنشأه «د. ذاكر» يحظى بشعبية عالية في غامبيا، وله أثر في ازدياد عدد المسلمين، وبعد «٩» أشهر من هذا اللقاء أعلن الرئيس «جامع» دولة غامبيا دولةً إسلاميةً، وغيَّر اسم الدولة من جمهورية غامبيا إلى «جمهورية غامبيا الإسلامية»، فكانت أولَ دولة أفريقية تحمل اسم «إسلامية»، ومُنح «د. ذاكر» من جامعة غامبيا شهادة الدكتوراه الفخرية التشريفية في الرسالة الإنسانية.

* * *

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]

لم يكن الدكتور ذاكر ليخاطب الناس على سويَّة واحدة، لم تكنِ الطريقة المتَّبعة في ذلك واحدة، شأنُه في ذلك شأنُ شيخِه الذي أوقد فيه الشُّعلة الشيخ «أحمد ديدات»، وإنَّما كان ذلك وفق عقل المتلقِّي ومستواه الفكري وعقيدتِه، ولم يجدْ مع الملحدين أسلسَ من الاستدراج في الأفكار وقَلْب ساحة المعركة إلى أرضهم هم، فقد تعلَّم أنَّه إذا كانت ساحة المعركة في أرضك فأنت الخاسر، وهذا ما دأب عليه شيخه «أحمد ديدات» الذي قاوم المنصِّرين بأنْ أظهرَ لهم ما في كُتبهم من تناقضات، فقلب عليهم الطاولة، وها هو الآن أمام مُلحد يُنكر وجود إله لهذا الكَون، وينكر وجود البعث والحساب، وعلى قول القائلين الذين وصفهم الله -تعالى-: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]، والذي لم يتخيَّل أنَّ العظام البالية ستتخلَّق من جديد يوم القيامة: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، شخص مثقَّف ملحد كهذا لن يقتنعَ إلَّا إذا حاصرته وفق الفِكر الذي يعتنقه، فلا بدَّ من مداهمته واستدراجه إلى أنْ ينطقَ لسانُه بما أراد أنْ يقوله «د. ذاكر»، وبهذا يكون قد نقل المعركة إلى أرض الخصم، واستعمل سلاحه ليكون ضدَّه، فتكون القوة الضاربة أقوى من قصف المدافع، وكانت خطة المعركة كالآتي:

(١) الأعراف: ١٨٢، القلم: ٤٤.

- أنا أسألك سؤالًا بسيطًا: هل السرقةُ أمر سيِّئ أو جيد؟.

- السرقة أمر سيِّئ.

- اغتصاب الفتيات أمر جيد أو سيِّئ؟.

- لا... لا... سيِّئ.

- سيِّئ..؟، حسنًا، أنا أسألك سؤالًا الآن: منطقيًّا، فلنفترضْ أنه يصادف أنِّي من كبار عصابة المافيا، وأسرق كثيرًا، فلتثبتْ لي منطقيًّا وعقليًّا أنَّ السرقة أمر سيِّئ، فأنا شخص منطقي وعقلي جدًّا، إنْ أثبتَّ ذلك فسأتوقَّف عن السرقة، أعطِني سببًا واحدًا لتكون السرقة أمرًا سيِّئًا بالنسبة لي وسوف أتوقَّف عن السرقة.

- إنها تؤذي الآخرين، تؤذي الناس.

- كيف يشكِّل ذلك فارقًا لي؟!، هل سيضرُّني شيء إذا سرقت «١٠٠٠» ريال؟، سأستفيد من ذلك، فيمكننا مشاهدة فيلم في السينما أو الذهاب إلى فندق «٥» نجوم، كيف سيضرُّني ذلك إذا كان سيضرُّ الآخرين؟، لقد طلبت منك أنْ تثبت لي أنَّ السرقة سيِّئة بالنسبة لي وليس بالنسبة لغيري، أنا لا أهتمُّ بالآخرين، إذا كان هناك ضرر على الآخرين فهذا لا يضرُّني بشيء، فأستطيع الاستمتاع بمشاهدة فيلم السينما أو تناول دجاج برياني مشوي، لقد طلبت منك أنْ تعطيَني سببًا واحدًا منطقيًّا يجعل السرقة أمرًا سيِّئًا بالنسبة لي، وليس بالنسبة للآخرين.

وهنا حاول الملحد أنْ يتهرَّب من السؤال ويخرج من شبكة الصياد الماهر الذي شعر أنه قد وقع فيها، وذهب ليقول:

- أتعرف؟.. في الحقيقة كما قلتُ فإنَّ الدِّين يعني طريقة الحياة...

وهنا قاطعة «د. ذاكر» وقال:

- ليس الدِّين... لماذا السرقة أمر سيِّئ، لا تذهب إلى الدِّين الآن.

- عندما نتحدث عن المجتمع فإننا علينا أن نواجهَهم.

- حسنًا، ها أنا أواجهُهم الآن، ماذا حدث؟ لماذا السرقة سيِّئة؟.

- لن يحترمَنا المجتمع.

- لماذا يشكل الاحترام فارقًا عندي؟.. يمكنني أكل دجاج برياني مشوي، أو دخول السينما أو فندق «٥» نجوم، ماذا سيختلف إذا احترمني المجتمع أو لا؟ فلنفترضْ أنَّ شخصًا فقيرًا يحترم الجميع وهو لا يجد شيئًا يأكله، هل سيكون سعيدًا؟ تقول: «احترام المجتمع» بينما الشخص يموت من الجوع، أتعرف؟ يموت آلاف الأشخاص في الهند من الجوع، ماذا سيختلف؟ أنا أسألك: أعطِني سببًا واحدًا يجعل السرقة أمرًا سيِّئًا بالنسبة لي لأتوقَّف عن السرقة.. لماذا هي سيِّئة؟؟.

وهنا لم يُجِرِ الخصم جوابًا، وسُدَّت عليه مفارقُ الطُّرقِ توجه «د. ذاكر» إلى الجمهور بقوله: هل يستطيع أحدٌ أنْ يساعده؟ وأردف «د. ذاكر»: هناك إجابات مختلفة، سأساعدك، ربما تقول: ستقبض عليك الشرطة، هذا سبب منطقي، صحيح؟.

- نعم منطقي.

- ولكنني قلت لك إنني عضوٌ في عصابة قوية، فالشرطة والوزراء تحت

حكمي، «في جيبي»، وكما تعرف فإنَّ عصابات المافيا تتحكَّم فيهم، فأنا أدفع لهم الأموال، الشرطة تأخذ مني الأموال، فلماذا سيقبضون عليَّ؟، لصٌّ صغير مثلك ينبغي ألَّا يسرق، سيتم القبض عليك، أما أنا فرئيس عصابة كبيرة، فأنا أدفع الأموال للشرطة والوزراء لأتحكَّم بهم...

وقد تقول: قد يأتي شخص ويسرقك؟.

- نعم.

- لا يستطيع أحد أنْ يسرق مني، فأنا لدي «١٠٠»حارس شخصي، كلُّهم مختبئون خلف المسرح، حراسة شخصية، إذا سرق لصٌّ صغير فسيسرق منه الآخرون، ولكنْ لا أحدَ يستطيع أنْ يسرق مني لأني لديَّ مئات الحراس الذين يحملون الأسلحة الآلية...

ولهذا فمنطقيًّا أنت لا تستطيع أنْ تثبت لي أنَّ السرقة أمر سيِّئ على الرغم من كلِّ العلم والتكنولوجيا اللذين تمتلكهما.

- إذًا، أعتبر أنك تقول إنَّ النار تُستخدم لتخويف الناس بأنهم إذا فعلوا أشياء خاطئة فسيدخلونها بعد الموت؟.

- أيةُ أشياء خاطئة؟!، كيف تقول إنَّ السرقة خطأ؟!، فأنت لم تثبت لي أنها خطأ...

ولما علا الوُجوم وجهَ الخصم، وأيقن «د. ذاكر» أنَّه لا مناصَ من إلقاء الإجابة لأنَّ خصمه قد أُحِيط به، وأصبح يقلِّب عينيه على ما فكَّر، وغدا كحال غيره ممن وقفه موقفه: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤] قال له:

- لذلك أنت تحتاج إلى «خالق» ليخبرَك بما هو صحيح وبما هو خاطئ، تحتاج إلى طبيب ليخبرَك أيَّ طعام هو المفيد وأيَّ طعام هو الضارُّ، هذه الفاكهة سامَّة، بينما غيرها مفيد، التفاح صحيٌّ، بينما التُّوت البريُّ سامٌّ، الطبيب يقول لك ذلك، ولا طبيبَ أفضل من الله -سبحانه وتعالى- هذا كلام منطقي... أخي، رئيسُ العصابة لديه مئات الحرَّاس، ولا يستطيع أحدٌ أن يؤذيَه، وصدِّقني هناك العديد من الأمثلة، حيث يموت فيها رئيس العصابة مِيتة مريحة جدًا...

ولكني أسألك سؤالًا بسيطًا جدًّا يا أخي: ألا تعتقد أنه لا بد من وجود عدالة؟.

- أجل.

- ألا ينبغي أنْ يعاقبه شخصٌ ما؟.

- القانون موجود.

- ولكنَّ القانون لا يستطيع معاقبة كلِّ الأشخاص، أليس كذلك؟ هناك العديد من المافيات في إيطاليا، والكثير من الخارجين على القانون في الهند ولا يستطيع القانون فعل أيِّ شيء لهم، فالقانون «في جيبهم»، ولكنْ أنت لكونك شخصًا بسيطًا ألا تعتقد أنَّه لا بدَّ من معاقبتهم؟.. الاغتصاب أمر جيِّد أم سيِّئ؟، هناك العديد من المغتصبين يغتصبون الفتيات ولا يستطيع القانون القبض عليهم، ألا تعتقد أنَّه لا بدَّ من معاقبتهم؟.

- أجل.

- ولكننا نجد الكثير من رؤساء العصابات في هذا العالم يموتون مِيتةً مريحة، وهم أغنياء، وأصحاب ملايين، لا بدَّ من وجود نوع من العدالة.

الردُّ يعطيه لنا خالقنا -سبحانه وتعالى- في سورة «آل عمران، الآية: ١٨٥»، حيث يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْـمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، فهذه الحياة الدنيا متاع الغرور؛ أي: بعض الخدع، فإنْ لم تكن هناك حياةٌ بعد الموت فإنَّ هذه الحياة غير عادلة، وما نقوله هو أنَّ العدالة الكاملة ستكون يوم القيامة، سيحقِّق خالقنا -سبحانه وتعالى- العدالة الكاملة، سأقول للشخص: حسنًا، فلتكُن لصًّا كبيرًا، وهناك الكثير من المجرمين واللصوص يخرجون من السجن دون شيء، ولولا الحياةُ بعد الموت فإنَّك لا تستطيع أنْ تثبت أنَّ السرقة أمر سيِّئ، ولا أنَّ الاغتصاب أمر سيِّئ، لولا الحياةُ بعد الموت فلا يوجد كتاب على الأرض ولا «الأم تيريزا» ولا «مهاتما غاندي» ولا غيرهما يستطيعون أنْ يثبتوا أن السرقة أمر سيِّئ، إلَّا بوجود مفهوم الحياة بعد الموت.

وهنا سكت الخصم، وبدأت الطريقة تضربه يمنةً ويسرةً، وشعر أنه وسط خضمٍّ من الأفكار لا يستطيع عنها انفكاكًا، فجاءه السؤال الثاني من «د. ذاكر»:

- أنا أسألك سؤالًا: يقول لنا التاريخ إنَّ هتلر قام بحرق «٦» ملايين يهودي حيًّا.. كم يهوديًّا؟.

- «٦» ملايين.

- فلنفرضْ أنَّ القانون قبض على هتلر، ما العقوبة التي ستفرضها عليه للتعويض عن حرق «٦» ملايين يهوديٍّ حيًّا؟ هل تستطيع أن تعطيَه أية عقوبة يا أخي؟.

- علينا أنْ نضعه في السجن حتى نهاية حياته.

- هل سيكون ذلك مساويًا لحرق «٦» ملايين يهوديٍّ؟ هل الحرق أفضل أو وضعه في السجن أفضل؟.

- الحرق أفضل بالتأكيد.

- بالتأكيد.. إذًا فأقصى ما يمكنك فعله هو حرقه حيًّا، ولكن ذلك سيساوي واحدًا من الـ «٦» ملايين، وماذا عن الـ «٥٩٩٩٩٩٩» شخصًا الباقين؟!!، ماذا عنهم؟، ما العدالة التي سيقوم بها قانونك؟، لكن القرآن يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦]، إذا قام هتلر بقتل «٦» ملايين يهوديٍّ فإنَّ الله يمكنه أنْ يضعه في النار ويحرقه «٦» ملايين مرة، ليس هنا، بل هناك في الآخرة في جهنم، لذا فالطريقة الوحيدة لمنع شخص من قتل «٦» ملايين هي أنْ أقولَ له: إذا قتل «٦» ملايين هنا فسيحرقه الله «٦» ملايين مرة هناك، أنت لا تستطيع أنْ تعطيَه هذا الجزاء هنا، لذلك ندرك أننا لا نستطيع أنْ نثبتَ أنَّ السرقة أو الاغتصاب من الأمور السيِّئة إلَّا في وجود مفهوم الجنة والنار، لذلك فالله الذي خلقنا هو الذي يخبرنا ما الأمر الجيِّد وما الأمر السيِّئ بالنسبة لنا، وهو الذي يخبرنا القواعد والقوانين، وهذا ما يُسمَّى بـ «الدِّين»، وأول أمر ينبغي لك أن تعرفه هو: أيُّ الكتب هو الكتاب الحقيقي الذي أُنزل إلينا من الإله العظيم؟ وبعدما تقوم بالبحث سوف تصل إلى أنَّ ذلك الكتاب هو «القرآن الكريم»، كلُّ النصوص المقدسة تتحدث عن الله -تعالى-، وكلها تشير إلى آخر كتاب منزَّل وهو القرآن الكريم، وخاتم الرسل وآخرهم هو

الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم...

لم يجِدِ الملحد المحاور بعد كلِّ هذا إلَّا أن يقول: «شكرًا».

***

«اقرأ» يا راهُول

كان الطابور لا يزال طويلًا قليلًا، وعيناه تترقَّبان وصول «المايكرفون» إليه، حيث اعتاد أنْ يوجِّه أسئلة دقيقة لـ«د. ذاكر» الذي كان يستمتع بها وبالإجابة عنها، لقد كان «راهول» متابعًا جيدًا للشؤون الإسلامية، يعمل مهندسًا، منَّ الله عليه بالإسلام فيما بعد، وذات محاضرة في فقرة الأسئلة والأجوبة فاجأ «د. ذاكر» بسؤال لم يكن قد حضَّر جوابه من قبل، ولم يكن متوقَّعًا كباقي الأسئلة الاستنباطية التي تكون في مكنونات الكتب وأعماقها، إذ قال له: «أنا أعرف عن الإسلام أكثرَ مما أعرف عن الهندسة التي هي عملي في المملكة المتحدة، لقد قرأت عدة تفاسير للقرآن، عندما نزلتْ أول آية من القرآن على محمد -صلى الله عليه وسلم- عن طريق الملك جبريل، قال له: «اقرأ»، والنبي أجابه: «ما أنا بقارئ»، والذي أودُّ أن أعرفَه هو: ماذا أظهر الملك جبريل للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- ليقول له: «ما أنا بقارئ»، لا بدَّ من وجود شيء أظهره الملك جبريل للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- فما هو؟، وفي أي متحف موجود؟، لا يوجد تفسير يذكر ذلك.

وهنا يشعُّ نور ساطع من فِكر وثَّاب اعتاد خوض الصِّعاب، ومقارعة القلوب والألباب، فسأله: هل يمكنك التكلم بالألمانية؟، قال: لا، فقال له: هل يمكنك قراءة اللغة الألمانية؟، فقال: لا، فقال له: هل أظهرتُ لك شيئاً بالألمانية حتى تقول «لا»؟، لم أُرِكَ أيَّ شيء، ولكن سألتك فقط، وقلت «لا»، وبشكل مشابه فإنَّ الملك جبريل قال للنبي: «اقرأ»، فأجاب: «ما أنا بقارئ»، عندما لا تجيد القراءة أو لا تجيد لغة معينة ويقول لك أحدهم: «اقرأ»، فلن تقول له: «ماذا اقرأ؟»، بل ستقول من فورك: «لا أجيد القراءة».. إذ لا داعيَ لأن تقول له: «ماذا أقرأ؟»، وبعد أن يجلبَه لك تخبره أنَّك لست بقارئ.

* * *

تُخفي سِرًا يا «د. ذاكر»..!

لفتَ أنظار الجميع بحافظته القوية، واستظهارِه المعلومات من القرآن الكريم ومن كتب كثيرة، فتساءلوا: ما الذي تُخفيه وراء ذلك يا دكتور؟ ألديك رقائقُ إلكترونية؟! أرجع د. ذاكر هذه الملَكة القوية في الحفظ والاستظهار إلى ثلاثة أمور يدرِّب طلابَه عليها جيدًا، وهي متطلبات أيِّ عمل دَعْوي:

١- يقول الله -تعالى-: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، إذًا، فالثقة بالله أولًا.

٢- يقول الله -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، إذًا، فالعمل والاجتهاد ثانيًا.

٣- يقول الله -تعالى-: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، [الأنبياء: ٧]، إذًا، فالأسلوب والطريقة ثالثًا، لا بدَّ أنْ تتضافر هذه العوامل الثلاثة معًا بصدق وإخلاص، وهناك برامجُ يتمُّ تدريب الطلاب من مختلف دول العالم فيها على الحفظ، فيخرج منهم مَن يستطيع الاستشهاد برقم السورة والآية.

وقبل الشروع في أيِّ محاضرة لا بدَّ من الاستعانة بقول الله -تعالى-: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٥-٢٨].

***

البداية الكبرى.. ويليام كامبل

فتح الفتوح

فَتحُ الفُتوحِ تَعالى أَن يُـحـيطَ بِهِ نَظمٌ مِنَ الشِعْرِ أَو نَثرٌ مِنَ الخُطَبِ

كان لا يزال ينشر أغاليطَه وتناقضاتِه في كل مكان دون أنْ يردَّ عليه أحد، طبيب وعالم أحياء ومنصِّر من الولايات المتحدة الأمريكية... ادَّعى أنه عثر على أخطاء علمية في القرآن الكريم، ونشر كتابًا بهذا الخصوص، ذكر فيه أنَّ القرآن فيه أكثر من (٣٠) خطأً علميًّا، كلُّ هذا والقوم واجمون أمامه لا يعرفون ماذا يفعلون، ولا سيما أنه بعد أنْ أتمَّ دراسته في مدينة «كليفلاند» بولاية «أوهايو» في جامعة «كيس ويسترن ريسيرف» عمل لمدة «٢٠» سنة في دولة المغرب حيث تعلَّم اللغة العربية، وبعد «٧» سنوات عمل في «تونس»، وألَّف كتابًا ردَّ فيه على الدكتور «موريس بوكاي»[1] قال فيه إنَّه مسيحي باقتناع، ويرغب في شرح الإنجيل

(١) طبيب جرَّاح فرنسي وعضو الأكاديمية الطبية العلمية الفرنسية، وعالم آثار، درس القرآن الكريم، وتناول الترجمات المتداولة التي يعود أغلبُها لرجال دين ومستشرقين حاقدين لا همَّ لهم إلَّا التحريف وتزييف الحقائق، فتعلم اللغة العربية حتى يقرأ القرآن باللغة التي نزل بها ويراجع التفاسير، فاستعرض مختلف الروايات كإنجيل متَّى وإنجيل مرقص وإنجيل لوقا وإنجيل جون ثم بحث مسألة العلم الحديث والأناجيل وتناقضها مع بعضها، وألَّف كتاب «الإنجيل والقرآن والعلم» حيث نفِدت طبعته الأولى من جميع المكتبات، ثم أعيدت طباعته بعد أن تُرجم من لغته الأصلية (الفرنسية) إلى العربية والإنكليزية والإندونيسية والفارسية والصربية والتركية والأردية والألمانية وغيرها.

للجميع، وأنهى مشواره العمَلي متقاعدًا في سن «٧٤» سنة، وحصل كذلك على الدكتوراه في الردِّ على الإسلام، ولذا فهو كما يدَّعي خبير بأسرار اللغة العربية.. واستمر في عبثه ومُجونه الفكري «٨» سنين ولم يتصدَّ له أحد، مما أقضَّ مضاجع الشباب المسلمين الذي لم ينفكُّوا يرونه أو يسمعون عنه وعن أغاليطه بين الفينة والفينة، فما كان من هؤلاء الشباب إلَّا أنْ يبحثوا عن سدٍّ منيع في وجه هذا الطوفان الهائج، فلم يجدوا أمامهم سوى أنْ يراسلوا «د. ذاكر»، ولا يفلُّ الحديدَ إلَّا الحديدُ، آملين أنْ يستعيد أمجاد شيخه «أحمد ديدات» عندما تصدَّى للقِسِّ الثعلب «جيمي سواجارت» وأجهزَ عليه من كلِّ جانب، فاستجاب الدكتور ذاكر، ولبَّى نداء الاستغاثة، فلعلَّه يكون طوق النجاة، فاستلَّ سلاحه وأعدَّ العدَّة، لأنه يعلم جيدًا أنَّ المناظرات ما هي إلَّا إعداد ممتاز يحيط بالموضوع وبما وراء الموضوع، ترافقه بديهة حاضرة، ومعرفةٌ بأساليب الكلام، وفطنةٌ وقَّادة، وذاكرةٌ طيِّبة، على خلاف كثير ممن يستسهل المناظرات إذ يرونها من بعيد، فإذا ما اقتحموا غمارها واصطلَوا بنارها التي تشتعل بين الطرفين وكابدوا انصباب حمم المعلومات فإنهم يعلمون ويدركون أهمية الإعداد، فلا شيءَ يُكسبك الحرب ويمنع من قيامها إلَّا الاستعداد التام لها، خاصة عندما تُقذف من الخصم معلومة طبِّية، شرعية، علمية، فينبغي تجميعها وإدراكها، فالخطأ هنا قاتل، ولا يعود ضررُه على المُناظِر فحسب، وإنما على كلِّ من عقد عليه الأمل، واطمأنَّ أنه تسلَّم الراية، فكيف إذا كان الخصم لَدودًا تتعلم الثعالب منه دروسًا في المكر والخديعة، مثل هذا المنصِّر الأمريكي... كان الدكتور «ويليام كامبل» ماهرًا في

التلاعب في طرحه وبثِّ أفكاره، بحيث إن أيَّ دكتور يسمع كلامه من دون أن يكون عنده خلفية شرعية فسيصدق أن هناك أخطاءً علمية موجودة في القرآن الكريم...

«ويليام كامبل».. كان الهدف هذه المرة شخصية دَسِمة، لها مكانتُها وسمعتُها، فإن تمكَّن الدكتور ذاكر منه وأرداه صريعًا فسيكسب المسلمون جولة مهمة في معركتهم الطويلة مع محيطهم الهائج، فكان لا بدَّ من شحذ السلاح، وإكثار الذخيرة...

«٨» سنين عِجاف مرَّت قبل أن يسمعوا قعقعة السلاح.. قبل أن يثور عجاج الوغا، ويُثار النَّقْع فوق الرؤوس، وكما فعل شيخه «ديدات» من قبل مع «سواجارت» فعل الدكتور ذاكر أيضًا، لقد ضربه في عقر داره، وبين أهله وجمهوره، فلم يُغنِ عنه أنْ كان ذا مال وعَشِير من محارب فارس خطير، ربما لم يُعجبه منظره، وظنَّ أنه غِرٌّ سهل المنال لحداثة سنِّه قياسًا على خصم بحجم الدكتور ويليام كامبل، ربما ظن كما ظن الكثير من أن الجولة محسومة والعاقبة محتومة، فحُوتٌ مثل كامبل قادر على ابتلاع آلاف الأسماك الصغيرة، كان ذلك في عام «٢٠٠٠م» حيث كان «د. ذاكر» بعمر الرابعة والثلاثين، بينما كان عمر الدكتور ويليام كامبل أكثر من ضعفَي عمره...

يقول أحد الأطباء العرب للدكتور ذاكر عن هذا المشهد: «أنا من المعجبين بالشيخ أحمد ديدات، وأتابع محاضراتِه، لكنَّ المحاضرة الواحدة تأخذ مني أسابيعَ؛ لأني أسمع منها ربع ساعة وأتركها لأعود فيها بعد، ومرةً ذهبت إلى أحد

الأصدقاء، فوضع الصديق محاضرة الدكتور ذاكر نايك مع وليام كامبل، كان المتحدث الأول ويليام كامبل، ولأنني طبيب شدَّني كلام الدكتور كامبل، وتحسُّ فعلًا أن القرآن فيه أخطاء، فهذا الكلام جعلني أقف لأرى كيف يكون الرد عليه، وعندما رأيتك متَّجهاً إلى المنصة للردِّ عليه قلت: أهذا الفتى الهندي يردُّ على ويليام كامبل؟!! فقلت: أكيد أنهم دفعوا له أموالًا حتى يأتي ولا يعرف كيف يردُّ فيُسيئون للإسلام، وسبحان الله، مع أني أحب الشيخ أحمد ديدات لكنني لا أستطيع أن أجلس أكثر من نصف ساعة، غير أنني هنا جلست «٤» ساعات أتابع ردودك على هذا الرجل، ومن يوم أن رأيت المناظرة أحببتُ أن أراك حتى رزقني الله رؤيتك).

وفي شيكاغو «١» أبريل عام «٢٠٠٠» كانت ساحة المعركة، حيث استطاع الدكتور ذاكر أن يقلب الطاولة على الخصم العنيد، ويثبت له أن فرسان محمد -صلى الله عليه وسلم- لا يُؤخذون بالأعمار، ولا تُرهبهم الخصوم مهما علا شأنُهم، ولو كانوا أكثرَ نفرًا وأعزَّ قَبِيلًا... هناك سقط الصنديد بعد أن قلب له الفتى ذاكر ظهر المِجَنِّ، وأتاه بما لم يكن في الحسبان.. في شيكاغو أظهر الله الحق جليًّا وسالت أودية بما سالتْ، فذهب زبد كامبل جفاءً، وبقي ما ينفع الناس راسخًا في الأرض التي تعهَّدها الدكتور ذاكر... كانت المحاضرة بعنوان:

«القرآن والإنجيل في ضوء العلم»..

«The Qur'an and the Bible in the light of Science»

حيث ردَّ الدكتور ذاكر على افتراءات وليام كامبل كاملةً، ودحَض كلَّ حججه،

ثم قرعه بـ «٣٨» خطأً علميًّا في الإنجيل، وقف أمامها هـذا الكامبـل مشـدوهًا حائرًا لم يستطع الردَّ على أيٍّ منها، واعترف أنه لا يملك الجواب عليهـا، ولكنـه كي يخفف من حرارة موقفه أنهى الموضوع العصيب هذا بأنه لا يملـك الجـواب بقوله: «أنا أعترف أن لديَّ بعضَ المشـاكل، لكـن لـديَّ كـذلك كـل النبـوءات المتحقِّقة، وهـذا مهـم جـدًّا لي، يسـوع هـو حجـز الزاويـة، وهـو بنـاء أساسُـه الحواريون والمتنبِّئون، وقد تنبَّأ المتنبِّئون، ودوَّن الحواريـون تحقُّـق النبـوءات كـما قدَّرها الربُّ، أعلمُ أن هذا لا يجيـب عـن سـؤالك لكنني أؤمـن بالمسيح لأنـه مخلِّصي».

انقلب السحر على الساحر حيث خابت الظنون، وأمسى الحوت الكبـير سـمكة تناهَتْ في الصغر ، وبدا غِرًّا جاهلًا ذا عقل صـغير لا يعـرف لغـةً ولا معلومـةً، وانقلب الصيَّاد إلى صيدٍ سـهل المنـال، وعـلى البـاغي تـدور الـدوائر، حتـى إن النصارى الذين علَّقوا على المناظرة قالوا: «إن عقله مغلق».

كانت هذه المواجهة أقوى معركة يخوضها الدكتور ذاكـر، وكانـت فتحًـا كبـيرًا ونصرًا مؤزَّرًا من الله لا تقلُّ أهميةً عـن كثـير مـن معـارك المسـلمين في حـروب الفتوحات التي خاضوها بكل شجاعة وشرف.

بدأ مقدم المناظرة «سيد سبيل أحمد» بالترحيـب بالـدكتور «ذاكـر نايـك» وممثِّلـه الدكتور «محمد نايك»، وبالدكتور «ويليام كامبـل» وممثِّلـه الـدكتور «صـاموئيل نعمان»، ورحب بكل من حضر إلى المجمَّع الإسلامي في أمريكـا الشـمالية حيـث أُقيمت المناظرة، حيث قدَّم كلٌّ من ممثلي المتنـاظرَين تعريفًـا بمَـن يمثِّلـه، فتقـدم

الدكتور صاموئيل وعرَّف بالدكتور كامبل، ثم تحدَّث الدكتور محمد نايك، وهو شقيق الدكتور ذاكر، وأوضح النقاط التي ستسير عليها المناظرة بحيث:

- يحاضر أولًا الدكتور ويليام كامبل لمدة «٥٥» دقيقة حول موضوع: «القرآن والكتاب المقدس في ضوء العلم».

- ثم يأتي دور الدكتور ذاكر نايك ويعرض ما لديه لمدة «٥٥» دقيقة أيضًا حول الموضوع نفسه.

- ثم تأتي جلسة الردود، حيث يقوم الدكتور كامبل ويرد على ما قدَّمه الدكتور ذاكر لمدة «٢٥» دقيقة.

- ثم يرد الدكتور ذاكر على الدكتور كامبل لمدة «٢٥» دقيقة أيضًا.

- في الختام ستكون جلسة أسئلة وأجوبة للحضور عبر مكبرات الصوت.

- بعد الأسئلة السابقة هناك أسئلة من الحضور مكتوبة على بطاقات يوصلها المنسِّقون للمتناظرَين.

وبدأت المعركة بتقدُّم الدكتور ويليام كامبل موجِّهًا التحية إلى الدكتور ذاكر وإلى الحضور معترضًا على تسمية هذه المناظرة بأنها «حوار القمَّة» وأنه نوع من المبالغة، لكنه تسويقٌ إعلامي جيد برأيه، ولا أدري مَبعث اعتراضه على التسمية إن كان يرى نفسه في القمة، إذًا بقي أن نظرته إلى الطرف الآخر أدنى من أن يكون في القمَّة.

* * *

علم الأجنَّة في القرآن

بدأ الدكتور كامبل هجومه متَّهمًا القرآن الكريم أنه أخطأ في تصوير مراحل نمو الجنين في بطن أمه مشيرًا إلى قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]، وقد قيل إن فكرة تطور نمو الجنين وفق مراحل معينة هي فكرة حديثة إلَّا أن القرآن سبق العصر وتحدَّث عن هذه المراحل المختلفة، فقول القرآن: «عَلَقَة» لها عشر ترجمات، تعني في مجملها «خثرة دموية»، أو «خثرة دموية شبيهة بطفيلي العَلَق»، وكل شخص درس نظام التكاثر البشري سيدرك تمامًا أن الخثرة الدموية ليست ضمن مراحل تكوُّن الجنين، وهذه مشكلة علمية كبيرة جدًا وقع فيها القرآن، مما حدا بالدكتور الفرنسي «موريس بوكاي» أن يهاجمهم قائلًا: إن مشكلة اختيار الكلمات تظهر مرة أخرى كسبب محتمل لتضليل القارئ المستفسر ، فمعظم المترجمين وصفوا عملية تكوين الإنسان من خثرة دموية، إن مثل هذه العبارة لا يُعتبر مقبولًا على الإطلاق في نظر العلماء المتخصصين في هذا المجال.. وبعبارة أخرى إن الدكتور بوكاي يقول إنه لا أحد استطاع أن يترجم القرآن بطريقة صحيحة حتى أتيت أنا؛ يقصد نفسه «بوكاي».. فاستبعد «بوكاي» ترجمة «العلقة» بـ «الخثرة الدموية»، وذهب إلى «الشيء المتعلِّق» مشيرًا إلى الجنين المتعلِّق بالرحم من خلال

المشيمة، ولكن كما تعلم جميع النساء اللاتي حملْنَ فإن الشيء الذي يتعلق لا يتوقَّف عن تعلُّقه ليتحوَّل إلى لحم ممضوغ، إنما يظل معلَّقًا بالمشيمة لمدة «٨» شهور ونصف.. ويقصد كامبل هنا أنه إذا كان المقصودُ بالعلَقة التعلُّقَ فإن الجنين يظل معلَّقًا فترة طويلة طول فترة الحمل تقريبًا، وليس مرحلة منفصلة مستقلة.

ومن ناحية أخرى فإننا نفهم مما ورد في القرآن الكريم أن الهيكل العظمي يتكون أولًا ثم يُكسى باللحم، وهذا غير صحيح، فالعضلات والغضاريف التي تسبق ظهور العظم تبدأ بالتكون في الوقت نفسه من الجُسَيد، واستشهد كامبل بآراء للأطباء، فذكر ما قاله الدكتور «توماس سادلر» وهو أستاذ مساعد في علم التشريح، وله كتاب «طب علم الأجنَّة» حيث كتب في رسالة خاصة: «في الأسبوع الثامن بعد التلقيح تكون الأضلُع غضاريفَ لا عظامًا، وتكون العضلات موجودة، وفي هذه المرحلة يبدأ تكوُّن العظام، وتتمكَّن العضلات من التحرُّك في الأسبوع الثامن... ثم ذكر أنه تحدَّث مع طبيب آخر مختصٍّ بعلم الأجنة هو الدكتور «كيث مور» عمَّا ذكر الدكتور «سادلر» ووافق على صحته.. وذكر كامبل استنتاجًا أنه من خلال شهادة هذين الطبيبين فإنَّه لا يوجد مرحلة تتكوَّن فيها العظام المتكلِّسة وحدها ثم تكسوها العضلات، وأن العضلات تكون موجودة قبل أسابيع من تكوُّن هذه العظام، وهو ما يتعارض تمامًا مع ما ورد في القرآن، ولذا فالقرآن مخطئ تمامًا في هذه النقطة، ورأى أنها مشكلة أبعد من أن يتمَّ حلُّها.

ثم بدأ كامبل بشرح الطريقة التي وصلت فيها هذه الأفكار غير الصحيحة إلى القرآن -كما يعتقد- بدراسة الأوضاع التاريخية التي سبقت ظهور الرسول - صلى الله عليه وسلم-، بادئًا باليونان، فذكر الطبيبَ اليونانيَّ «أبوقراط - ٤٦٠ ق.م»، وكذلك الفيلسوف «أرسطو - ٣٥٠ ق.م» اللذين تحدثا عن مراحل نمو الجنين وهي -كما يزعم- تتَّفق مع ما جاء في القرآن الكريم عن مراحل نمو الجنين، ثم عرَّج على الطب الهندي وبيَّن ما قاله الطبيب «شاراكا - ١٢٣ م»، والدكتور «شوشروتا» من أن الجنين نتاج المنيِّ والدم، وبعده انتقل إلى رأي «جالينوس - ١٣١م» المولود في تركيا الآن، الذي يقول إن الجنين لا يتكون من دم الحيض وحدَه -كما زعم أرسطو- وإنما من نتاج اجتماع الدم مع المنيَّين، وهذا ما يتفق القرآن معه حيث يقول: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، لذا فمراحل الجنين عند جالينوس: المرحلة الأولى يبدو فيها بشكل المنيِّ السائد، والمرحلة الثانية حين يمتلئ بالدم ولا يكون القلب والدماغ والكبد، وهي المرحلة التي سمَّاها أبوقراط بالجنين، ثم المرحلة الثالثة وهي نمو اللحم على العظام، وهو ما جاء في القرآن: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: ١٤]، والمرحلة الرابعة هي مرحلة التمايز، حيث تتمايز جميع أجزاء الأطراف... وللعلم فإنَّ جالينوس كان مرجعًا مهمًّا جدًّا في زمن الطب في زمن الهجرة، حيث قرر أربعة من رجال الطب في الإسكندرية بمصر إنشاء كلية للطب واعتمدوا على «١٦» كتابًا لـ «جالينوس» لتكون أساسًا للدراسة، وبقيت كذلك حتى نهاية القرن «١٣» للميلاد.

ثم انتقل كامبل لإيضاح الوضع السياسي والاقتصادي والطبي في الجزيرة العربية في زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قائلًا: إنَّ قوافل التوابل كانت تمرُّ بمكة والمدينة، واستولى الغساسنة على «الصحراء السورية»، وكانت اللغة الرسمية حينها اللغة السريانية القريبة من اللغة العربية، وفي تلك الفترة عاش أحد أعظم المترجمين من اليونانية إلى السريانية وهو «سيرجا سيرا سايني»، وقد ترجم «٢٦» كتابًا لجالينوس من ضمن ما ترجم من الكتب وغيرها، الأمر الذي جعل هذه الكتب متوافرةً بين أيدي مملكة فارس وفي أيدي الغساسنة الذين امتدَّ نفوذهم إلى أطراف المدينة، ثم قام كسرى بإنشاء مدرسة «جندي شابور» فكانت أعظمَ مركز فكري في ذلك الوقت، وقد تُرجمت خلال حكم كسرى نصوص كثيرة من اليونانية إلى الفارسية، فهذا يعني أن كتب «أبوقراط» و«أرسطو» و«جالينوس» كانت متاحة عند إنشاء المدرسة، وفي تلك الفترة طلب العربُ من «النسطوريِّين»[1] ترجمة النصوص السريانية حول الطبِّ اليوناني إلى العربية، ومن جهة أخرى فقد عاش أطبَّاء في الجزيرة العربية في زمن الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- وكان أفضل طبيب «الحارث بن كَلدة»، حيث سافر إلى

---

(١) ظهرت عقيدة النسطورية عام «٤٣١م»، وهي إحدى عقائد المسيحيين التي خالفت معتقدات الكنيسة في ذلك الوقت، وتقوم على أنَّ يسوع المسيح مكون من جوهرين يُعبر عنهما بالطبيعتين وهما: جوهر إلهي وهو الكلمة، وجوهر إنساني أو بشري وهو يسوع، حيث لا تؤمن النسطورية بوجود اتحاد بين الطبيعتين البشرية والإلهية، وسُميت باسم مؤسسها «نسطور» بطريرك القسطنطينية الذي رفض اسم الثيوطوقس «والدة الله» في وصف مريم العذراء، واستعمل عبارة كريستوطوقس «والدة المسيح».

بلاد فارس وتلقَّى العلوم الطبِّية في مدرسة «جندي شابور»، مما يعني أنه كان على دراية تامة بالتعاليم الطبية لكل من «أبوقراط» و«أرسطو» و«جالينوس»، ثم عاد إلى جزيرة العرب، وكذلك زار ملك اليمن وعالجه وجاء في النصوص بعضُ ما تداوله معه من أفكار ليست صحيحة في نظر الطبِّ المعاصر، ويقول الطبيب الفرنسي «لوسيان لوكلريك» في كتابه: «تاريخ الطب العربي»: درس الحارث بن كَلدة الطب في «جندي شابور»، وكان «محمد» يَدِين بما يعرفه من الطبِّ إلى الحارث بن كَلدة، لذا يمكننا بسهولة رؤية بصمات الطب اليوناني، كان «محمد» يداوي المرضى في بعض الحيان، إلَّا أنه كان يرسل الحالات الصعبة إلى الحارث بن كَلدة، وكذلك كان هناك طبيبٌ آخر من أبناء عمومة «محمد» هو «نادر بن حارث» زار بلاط كسرى وتعلَّم الفارسية والموسيقا وقدَّمهما إلى قريش في مكة... يقول الدكتور كامبل: نستنتج من هذا كلِّه:

أولًا: إن العرب الذين عاشوا في مكة والمدينة كانت لهم علاقات سياسية مع بلاد فارس والبيزنطيِّين وغيرهما.

ثانيًا: كان أحد أبناء عمومة «محمد» يُتقن الفارسية لدرجة أنه درس الموسيقا بهذه اللغة.

ثالثًا: كان الغساسنة الذين وصل نفوذُهم إلى الصحراء السورية حتى أبواب المدينة كانوا يستعملون اللغة السريانية، وهي إحدى اللغات الرئيسة المستعملة في تعليم الطبِّ في «جندي شابور».

رابعًا: زار «الحارث بن كَلدة» ملك اليمن وعالجَه وتداول معه بعض الأفكار

غير الصحيحة مثل أنَّ الرؤية تأتي من الـريح، وأنَّ العـين مكوَّنـة مـن الـدهون، وهي نفسها النظريات اليونانية الخاطئة.

خامسًا: في عصر «محمد» تأسَّست كُليَّة للطـبِّ في الإسـكندرية مسـتعمِلة كتـب «جالينوس» كمنهج للدراسة.

كلُّ هذه الأدلة تثبت أن محمدًا ومعاصريه كانت أمامهم فرصـة كبـيرة للاطـلاع على نظريات علم الأجنَّة الشائعة لـ «أبـوقراط» و«أرسـطو» و«جـالينوس» مـن خلال «الحارث بن كلدة» وغيرِه من الأطباء المحلِّيِّين، لذا فإنهم كانوا سيفهمون ما كان معروفًا في ذلك الوقت للجميع عن مراحل تشـكُّل الجنـين ونمـوِّه التـي قدَّمها الأطباء اليونانيون، وهي معلوماتٌ غيرُ صحيحة، ولم يُصحِّح القرآن هذا المعلومات.

ثم انتقل الدكتور كامبل للحديث عن آراء مَن جاء بعد الرسول -صلى الله عليـه وسلم- وذكر رأي «ابن سينا» و«ابـن قـيِّم الجوزيَّـة»، وبـيَّن أنهـما كانـا مـؤمنين بنظريات «أبوقراط» و«أرسطو» و«جالينوس» حـول علـم الأجنَّـة التـي ظلَّـت منتشرة بين العرب حتى عام «١٦٠٠م»، وكيف أن ابن القـيِّم كـان يبـيِّن نقـاط اتِّفاق القرآن مع الطب اليوناني، وهو اتِّفاق على نظريات غير صحيحة.

ثم عاد الدكتور ويليام كامبل ليذكر ما قاله طبيب الأجنَّة الدكتور «مـور» حـول العضلات والعظام من أنَّ العضلات تتكـوَّن مـن الجُسَـيدات في الوقـت نفسِـه الذي تتكوَّن فيه غضـاريف العظـام، ولا يوجـد مرحلـة منفصـلة تتكـوَّن فيهـا العظام ثم تكسوها العضلات، وكذلك مفهوم «العَلَقـة» في القـرآن التـي تعنـي

«خثرة دموية»، وأن أفراد قبيلة قريش الذين سمعوا محمدًا فهموا أن المقصود هو دم الحَيض، وتشكَّل لديهم تصوُّر أنَّ هذا هو ما تُساهم به المرأة في تكوين الجنين، وعلى هذا ففكرة القرآن حول تشكُّل الجنين أنَّ الإنسان خُلق من حيوان منويٍّ يتحول إلى خثرة دموية هو نفسُه ما كان شائعًا في القرن الأول الهجري، وهو ما يتوافق مع نظريات «أبوقراط» و«أرسطو» و«جالينوس»، وبمقارنة هذا مع علوم القرن العشرين نجد أنه خاطئ غيرُ صحيح، لقد وقعوا جميعُهم في خطأ فادح.. ومع كلِّ هذه الشروح كان الدكتور كامبل يستعين بشريط فيديو ليعرض مراحل نمو الجنين.

* * *

وللحق جولات

إلَّا أنَّ للباطل جولة، وللحق جولات.. ومهما نفش الباطل حجمه فإن الحقَّ غالبُه، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، حيث نهض «د. ذاكر نايك» ليدحض كل الافتراءات والتحليلات المخادعة التي جاء بها كامبل، فألقى عصاه لتلقفَ ما صنعه الساحر الذي أعمى على العيون بالباطل، فذكَّرنا بسيدنا موسى -عليه السلام- عندما ألقى عصاه فأبطلت مفعول سحَرَةِ فرعون: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨)

﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٧-١١٩]، وهنا وقع الحق وبطَلَ ما صنع كامبل، وانقلب مغلوبًا لا يقدر على شيء.. يقول «د. ذاكر»: إن أحد معاني كلمة «عَلَقَة» هو مادة تشبه كائن العلَقة أو ما يتعلَّق، وقال البروفيسور «كيث مور» إنه لا يدري إنْ كان الجنين في مراحل نموِّه الأولى يشبه كائن العلَقة، وعندما ذهب إلى المختبر وحلَّل الجنين في مراحله الأولى وأجرى مقارنة مع كائن العَلَقَة أصابته الدهشة من التشابه القويِّ بين الاثنين... وعلى مقولة «من فمِكَ أَدِينُك» عرض «د. ذاكر» صورة طفيلي العَلَقة وصورة جنين بشري، وهي نفسها الصورة التي استشهد بها الدكتور كامبل، غير أنه عرضَها من جانب آخر تمامًا، إذا نظرت للمستطيل من جانب فسيظهر طويلًا أما إذا نظرت إليه من الجانب الآخر فسيكون أقصر... وبعد توجيه «٨٠» سؤالًا إلى البروفيسور «كيث مور» قال: لو طرحتم عليَّ هذه الأسئلة قبل «٣٠» عامًا لما تمكَّنت من الإجابة عن أكثر من نصف هذه الأسئلة، لأنَّ علم الأجنَّة تطور خلال الـ «٣٠» عامًا الماضية، هذا كلام الدكتور «كيث مور» نفسِه الذي استشهد به الدكتور كامبل فهل سنأخذ بمراسلات «كيث مور» مع كامبل أم ما كتبه في كتابه ذي التعديلات الإسلامية، إضافة إلى الصورة التي عرضتها عليكم قبل قليل؟، ثم وجَّه «د. ذاكر» الجمهور إلى الشريط المرئي خارج القاعة كي يشاهدوا الدكتور «كيث مور» يدلي بهذا التصريح، إذًا ما الأكثر منطقية؟ النقاش الشخصي أم العبارات المكتوبة في كتابه المذكور في الفيديو؟.. وللعلم فإن المعلومات الإضافية التي حصل عليها الدكتور «كيث مور» من القرآن والحديث جُمعت في كتاب بعنوان:

«تطوُّر الإنسان – the developing human» وقد حاز الكتاب نصيبًا عاليًا من الشهرة، وحصل على جائزة أفضل كتاب طبِّي ألَّفه شخص بمفرده، ثم أظهر «د. ذاكر» الكتاب بطبعته الإسلامية التي وضعها الشيخ «عبد المجيد الزنداني» ووثَّقها الدكتور «كيث مور» بنفسه.

ثم تحدَّث «د. ذاكر» عن النطفة التي خُلق منها الإنسان، وبيَّن أنها تعني الكميَّة الضئيلة من السائل كالتي تبقى في آخر الكأس، واليوم عرفنا أنه خلال القذفة الواحدة التي فيها ملايين الحيوانات المنويَّة فإن حيوانًا واحدًا فقط يلزم لتلقيح البويضة، وهو ما يشير القرآن إليه بكلمة «نطفة».. ثم بيَّن معنى السُّلالة في قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة: ٨]، ألا وهو أفضل جزء من الكل، فالقرآن الكريم يشير إلى هذا الحيوان المنوي الوحيد الذي لقَّح البويضة بـ «السُّلالة»، وأما ما أشار إليه الدكتور كامبل حول الآية: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ [الإنسان: ٢]، فالمعنى: كمية قليلة من سائل ممتزج، وهي إشارة إلى اجتماع الحيوان المنوي مع البويضة ليتم التلقيح.. إنه عرض تفصيلي من القرآن الكريم لمراحل نمو الجنين.

وأما كلمة «عَلَقَة» فلها ثلاثة معانٍ:

- المعنى الأول: الشيء الذي يتعلَّق، ونحن نعلم أنه في المراحل الأولى يتعلق الجنين بجدار الرحم، ويبقى متعلِّقًا حتى النهاية.

- المعنى الثاني: مادة تشبه طفيلي العَلَقَة، وقد مرَّ سابقًا أن الجنين في البداية يكون شبيهًا بطفيلي العَلَقَة، يشبهها في الشكل والسلوك، فهو يتغذَّى على دم أمِّه

كمصَّاص دماء.

- المعنى الثالث: وهو الذي اعترض الدكتور ويليام كامبل على صحته هو الخثرة الدموية، ولهذا السبب عدَّ أن القرآن فيه خطأ علمي... ثم أردف «د. ذاكر» بقوله: يؤسفني أن أخبرَكم أن القرآن ليس على خطأ، وإنما الدكتور كامبل مع فائق احترامي هو المخطئ، وذلك لأن الدكتور «كيث مور» بعد أن تطوَّر علم الأجنَّة يقول: إنَّ الجنين في مراحل نموِّه الأولى بجانب كونه يشبه طفيليَّ العَلَقة فهو يشبه الخثرة الدموية، ففي مرحلة العَلَقة؛ أي: بعد «٣-٤» أسابيع من الحمل يتخثَّر الدم في الأوعية المحيطة بالجنين.

وخلال الأسبوع الثالث من عمر الجنين لا تحدث دورة دموية، وإنما في مرحلة لاحقة، فيبدو الجنين كتكتُّل دموي أو خثرة دموية، وإذا ما نظرتم إلى جنين بعد الإجهاض فيمكنكم أن تروا أنه يشبه الخثرة الدموية.. وخلاصة القول التي تجيب عن مزاعم الدكتور كامبل كلِّها هي أن مراحل نمو الجنين الواردة في القرآن مبنيَّة كلُّها على مظهر الجنين، فهو يبدأ أولًا كعلقة «مادة تشبه طفيليَّ العَلَقة» وكذلك الخثرة الدموية، وقد قال الدكتور كامبل قولًا صحيحًا وهو أن بعض النساء يذهبْنَ إليه ليطلبْنَ منه إزالة الخثرة الدموية، الجنين فعلًا يبدو كخثرة دموية، والمراحل ترتكز على المظهر، فقد خُلق الإنسان من شيء يبدو كخثرة دموية أو عَلَقة، كما أنه شيء يتعلَّق.

ثم يتحدَّث القرآن عن تحويل الله -عز وجل- للعَلَقة إلى مضغة؛ أي: شيء يشبه ما يُمضغ، لقد أخذ الدكتور «كيث مور» قطعة بلاستيك ومضغها بأسنانه لتشبه

المضغة، وآثار الأسنان تبدو كالجُسيدات.

قال الدكتور كامبل: حين تصبح العلقةُ مضغةً فإن الجنين يظل معلَّقًا لأشهر عدَّة، وبناءً على هذا افترَض أن القرآن أخطأ في هذا، لكن القرآن يصف المظهر، فمظهر طفيلي العَلَقة والخثرة الدموية يتحوَّل إلى مظهر المضغة، وبقاء الجنين معلَّقًا لا يشكِّل مشكلة، لأن المظهر تحوَّل فعلًا إلى المضغة.

وأما تكوُّن الغضاريف والعضلات مع العظام فقد توافق «د. ذاكر» مع الدكتور كامبل، إذ يخبرنا علم الأجنَّة أن بداية تكوُّن العضلات والعظام تحدث في الوقت نفسه بين اليوم الـ «٢٥» واليوم الـ «٤٠» من عمر الجنين، وهي المرحلة التي سماها القرآن «مضغة»، لكنها لا تتطوَّر إلَّا عند انتهاء الأسبوع السابع، حينها يأخذ الجنين شكل الإنسان ثم تتكوَّن العظام، يخبرنا علم الأجنَّة الحديث أن العظام تتكوَّن بعد اليوم الـ «٤٢» فيتشكَّل ما يشبه الهيكل العظمي في هذه المرحلة عندما تكون العظام قد تكوَّنت، والعضلات لم تتكوَّن بعد، ويحدث ذلك في وقت لاحق بعد نهاية الأسبوع السابع وبداية الأسبوع الثامن.. إذًا فالقرآن وصف مراحل نمو الجنين بدقَّة: علقة ثم مضغة ثم عظام ثم تغطية العظام باللحم، وبهذا الشكل نجد الوصف كاملًا.. وهذا ما جعل الدكتور «كيث مور» يقول: إن المراحل التي يصفها علم الأجنَّة الحديث هي مراحل مُربِكة، أما وصف القرآن بحسب المظهر والشكل فهو أفضل بكثير، لذا قال: إنه لا يعارض كون «محمد» رسولَ الله، والقرآن لا بدَّ أن يكون كتابًا منزلًا من عند الله.

وأما ما جاء عند «أبوقراط» و«أرسطو» و«جالينوس» وتوافق أقوالهم مع ما جاء في القرآن الكريم فليس بصحيح، وذلك لأنهم لا يتفقون مع ما جاء في القرآن ككُلٍّ، لأنهم لم يذكروا مرحلة العَلَقة والمضغة، فلو أخذ القرآن عنهم فلا بدَّ أن يأخذ آراءهم كاملة، وبخصوص بعض التوافق فليس صحيحًا مطلقًا إن وُجد توافق أو بعض التوافق أن يكون الثاني أخذ عن الأول، بل بالعكس إن ما جاء في الإنجيل هو ما يتفق مع «أبوقراط» و«جالينوس»، حيث يقول مثلًا في سفر أيوب، الإصحاح «١٠»، في العددين: «٩-١٠»: «اذكُرْ أنكَ جبلتَني كالطِّين، أفتُعيدني إلى التراب؟ ألم تصُبَّني كاللبن وخثَّرتني كالجُبنِ؟» هذه سرقة فعلية لما قال به «أبوقراط»، ولكن لماذا هي سرقة؟ السبب أن هذا بالتأكيد ليس كلام الله، وذلك لأن هذا الكلام غير علمي، ولأن «أبوقراط» و«جالينوس» قالا إن الإنسان خُلق كالجُبن، ونسخ الإنجيل ذلك حرفيًّا، بخلاف القرآن، والحمد لله.. ويذكر الدكتور «كيث مور» أن «أبوقراط» و«أرسطو» و«جالينوس» قدموا معلومات كثيرة لعلم الأجنَّة، كان بعضها صحيحًا، وبعضها الآخر خطأ، بينما عندما تحدَّث عن القرآن ذكر أنه جاء بمعلومات إضافية، ولو أن القرآن نسخَ عنهم فلماذا أثنى عليه ولم يذكر أخطاءه كما فعل مع اليونانيِّين؟.

بهذا يكون «د. ذاكر» قد أظهر الحق وأَبطل الباطل، وكشف الحقائق، وألقى الوشاح الأسود الذي وضعه هؤلاء على أعين الناس واختفى مفعول السحر الذي اعتاد أعداءُ الإسلام تلبيسَه على الناس: ﴿**إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى**﴾ [طه: ٦٩].

- هل نصَّ القرآن على أن القمر يعكس ضوء الشمس قبل أن تنتشر هذه المعلومة؟.

هذا ما طرحه ويليام كامبل عندما ادَّعى أن هناك خطأً علميًّا في القرآن الكريم حول هذه النقطة، وذكر قوله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٥-١٦]، وقال إن القمر وُصف بأنه «نور»، ووُصفت الشمس بأنها «سراج»، بعض المسلمين يدَّعون أن القرآن استخدم مفردتين مختلفتين لوصف ضوء الشمس والقمر، مما يدلُّ على أن الشمس هي مصدر الضوء، بينما القمر يعكس الضوء فقط. وذكر أن هذا الادِّعاء يظهر جليًّا في كتاب «العلم في القرآن» لـ «شبير علي»، وهذا ما قاله «د. ذاكر» في الفيديو الذي عرضه على الجمهور، حيث قال «د. ذاكر»: ما مصدر النور الذي يأتينا من القمر؟ سيخبرونني أننا سابقًا كنا نظن أن للقمر ضوءَه الخاصَّ المنبعث منه، غير أنه بعد تطور العلم في هذه الأيام أصبحنا نعرف أن نور القمر ليس ضوءَه الخاصَّ، وإنما الضوء المنعكس عنه والآتي من الشمس، وسأطرح عليكم سؤالًا مذكورًا في القرآن في سورة الفرقان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وُصف ضوء القمر -وهو كلمة عربية- بـ «منير» التي تعني الضوء المستعار، ووُصف أيضًا بـ «نور» التي تعني الضوء المنعكس، القرآن يذكر أن

نور القمر ضوء منعكس، وما تقولون أنكم اكتشفتموه اليوم كيف يُعقل أن يذكره القرآن منذ «١٤٠٠» سنة؟، ستتوقف لوهلة، ولن تجيب مباشرة، وربما بعدها ستقول: إنَّ هذا محض مصادفة، لن أتجادلَ معك. انتهى كلام الدكتور ذاكر، يقول كامبل: نسمع في نهاية الفيديو أن الدكتور ذاكر يشرح أن ضوء القمر وُصف بـ «منير»؛ أي: ضوء مستعار، ويُوصف كذلك بـ «نور»؛ أي: ضوء منعكس، رجاءً لا تنسَوا ما قاله. لم يتمَّ الادِّعاء بأن هذا حقيقة علمية فحسب، إنما تم الادِّعاء بأن هذا إعجاز علمي؛ لأنه من المفترض أن هذا لم يُكتشف إلَّا في العصر الحديث... صحيح أن القمر لا يبعث ضوءَه الخاصَّ، إنما يعكس ضوء الشمس، لكن كان هذا معروفًا قبل قرابة «١٠٠٠» سنة من زمن «محمد»، فقد ناقش أرسطو في «٣٦٠» عاماً قبل الميلاد كونَ الأرض كروية بسبب ظلها على القمر، لم يكن ليتحدَّث عن ظل الأرض على القمر إلَّا وهو يعلم أن نور القمر هو ضوء منعكس، وإن بقيتم مصرِّين على أن هذا إعجازٌ علميٌّ فعلينا أن نسأل أنفسنا: هل كلمات القرآن نفسُها تدعم هذا الادِّعاء؟ فلننظر أولًا إلى كلمة «سراج» في سورة نوح السابقة، وسورة الفرقان الآية: «٦١» التي وصفت الشمس بالسراج، وفي سورة النبأ، الآية: «١٣» وُصفت الشمس بأنها سراج وهَّاج، وتعني المصباح الساطع.. كلمتا «نور» و«منير» تأتيان من الجذر العربي نفسه، كلمة «منير» استُخدمت «٦» مرات، منها «٤» مرات وصفًا للكتاب: «كتاب منير»، وذلك في سورة آل عمران، الآية: «١٨٤»، وسورة الحج، الآية: «٨»، وسورة لقمان، الآية: «٢٠»، وسورة فاطر، الآية: «٢٥»، (وقد ذكر كامبل

أنها الآية ٣٥، وهو خطأ)، هذا يعني بوضوح أنه كتاب يشعُّ بنور العلم، ولا علاقة له بالانعكاس وفق ترجمة يوسف علي للغة الإنجليزية، وفي سورة نوح: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦]، وفي سورة يونس: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]، نجد أن القرآن يقول: إن القمر نور، ولم يقل أبدًا إنه يعكس الضوء، أضِف إلى ذلك أن هناك آياتٍ تقول: إن الله هو النور، وإحدى أجمل الفقرات في القرآن: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [النور: ٣٥]، هكذا نرى أن كلمة «نور» استخدمت لتصف الله والقمر، فهل سنقول إن الله يعكس الضوء، لا أعتقد ذلك، لكن إن كنتم لا تزالون مصرِّين على أن كلمة «نور» المستخدمة للقمر تعني الضوء المنعكس أو المستعار وقد رأينا الله نور السماوات والأرض فما مصدر هذا النور؟ أين السراج المسبب للانعكاس؟ فكِّروا فيها... حسنًا، القرآن سيخبركم، لكن الإجابة ستصدمكم، الجواب في سورة الأحزاب، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، يقول القرآن هنا إن «محمدًا» هو المصباح الذي ينشر الضوء، ولغويًّا استُعمل السراج والصفة «منيرًا» لوصف الشيء المشعِّ ذاته: وهو شخص «محمد»، فواضح أن كلمة «منير» لا تعني الضوء المنعكس في هذه الآية، ولا في أي آية أخرى، هي تعني: «لامع»، والناس في زمن «محمد» فهموا أن القمر لامع، وكانوا محقِّين في ذلك بالضبط كما فهم الناس في زمن موسى أن الشمس هي

الضوء الأكبر، والقمر هو الضوء الأصغر، وكانوا محقِّين، ولكن إن كنتم مصرِّين على أن «نور» و«منير» تعنيان الضوء المنعكس واعتمادًا على استخدام القرآن لهذه المفردات فإن «محمدًا» كالشمس، والله كالقمر، هل يريد «د. ذاكر» فعلًا أن يقول إن «محمدًا» هو مصدر الضوء، وأن الله ما هو إلَّا انعكاس لهذا الضوء؟!.

ثم ختم الدكتور كامبل هذه النقطة بقوله: لماذا هذه الادِّعاءات العلمية بينما لا يمكن لأي مسلم أن يدعمَها إن قمنا بدراسة جادَّة للقرآن في حوار كهذا، النقاش الصادق صعب جدًّا، بل مستحيل تقريبًا.

* * *

حَفِظْتَ شَيئًا وَغَابَتْ عَنكَ أَشْيَاءُ...

لئنْ أتقنَ الدكتور كامبل فنَّ الجدل والمراوغة وليِّ أعناق النصوص فقد أتقن «د. ذاكر» إبطال مفعول تلك السموم وقَلْب السحر على الساحر فقال: إن الله -تعالى- له نوره الخاص، والنور المنعكس عنه مثلما ترون مصابيحَ الهالوجين الموجودة هنا، المصباح «الفتيلة المتوقِّدة» فيها كالسراج، والعاكس كالقمر يعكس الضوء، فتيلة المصباح تشعُّ بضوئها الخاص، لكنَّ العاكس في مصباح الهالوجين يعكس الضوء، اثنان في واحد، فالله -تعالى- بالإضافة إلى نوره الخاص كما جاء في الآية: ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ﴾ [النور: ٣٥]، وهذا الضوء هو النور الخاص بالله -تعالى-، والله يعكس نوره؛ أي: نور نفسِه، ذكر الدكتور كامبل أن

القرآن وُصف بالنور؛ أي: يعكس الضوء، وهذا صحيح، فالقرآن يعكس نور وهداية الله –تعالى-، وبالنسبة لوصف محمد –صلى الله عليه وسلم- بالسراج، فنعم هو كذلك، لأن أحاديث النبي تهدينا، فمحمد –صلى الله عليه وسلم- نور وسراج، والحمد لله ما زلت أستطيع أن أثبت علميًّا أن نور القمر ليس ضوءَه الخاص، إنما ضوء منعكس.

* * *

دورة الماء في القرآن

ومن المغالطات التي جاء بها كامبل قوله: إن بعض المسلمين ادَّعوا أن القرآن أظهر سبقًا علميًّا فيما يخص دورة الماء، ثم عرض شرائح تبيِّن دورة الماء وفق أربع مراحل، حيث يتبخَّر الماء أولًا ثم تتكوَّن السُّحب، ثم تهطل الأمطار، ثم تنمو النباتات بسبب هذه الأمطار، وهذه المراحل يعرفُها الجميع، ولاسيما الثانية والثالثة والرابعة، ولكن القرآن لم يتحدث عن المرحلة الأولى وهي التبخُّر، بينما جاءت على لسان نبيٍّ في الكتاب المقدس منذ «٧٠٠» عام قبل الميلاد، وهو النبي عاموس: «الذي صنع الثريَّا ويحوِّل ظلَّ الموتِ صُبحًا ويظلم النهارَ كالليل» «الذي يدعُو مياهَ البحر»، وهي المرحلة الأولى، «ويصبُّها على وجه الأرض»، وهي المرحلة الثانية...

نبيٌّ آخر، أيوب.. في سفر أيوب، الإصحاح: «٣٦»، الأعداد «٢٦-٢٨»، قبل

«١٠٠٠» سنة من الهجرة على الأقل قال: «هوَ ذا اللهُ عظيمٌ، ولا نعرفُه، وعدد سِنِيه لا يُفحص» «لأنه يجذبُ قطرات الماء تسُحُّ مطرًا من ضبابها»، وهي المرحلة الأولى، «الذي تُهطله السُّحب»، وهي المرحلة الثانية، «وتقطرُه على أناسٍ كثيرين»، وهي المرحلة الثالثة... فهنا في الكتاب المقدَّس ذُكرت المرحلة الأولى التي هي الأصعب منذ أكثر من «١٠٠٠» سنة قبل القرآن.

* * *

وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

لم يكنِ الدكتور كامبل يدري أنه بعيد عن فهم آيات القرآن، وأنه لم يستطع استقصاء ما جاء فيه من إعجاز علمي أو إخبار عن الحقائق العلمية، وهذا ما أثبته له الدكتور ذاكر، وتساءل لماذا أيضًا لم يتطرَّق إلى المرحلة الأخيرة الموجودة في الشرائح التي عرضها، ألا وهي مرحلة تجديد المياه الجوفية!، على ما يبدو كان الإغفال أمرًا دُبِّر بلَيل، والسبب أن هذه المرحلة ليست مذكورة في الإنجيل... ثم بيَّن للحضور أن مرحلة التبخُّر التي ادَّعى كامبل أن القرآن أغفلها مذكورة في سورة الطارق: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطارق: ١١]، إنها قدرة السماء على الرجوع بالمطر، وهذا يعني التبخُّر، ولعلَّ وليام كامبل وهو العارف باللغة العربية يتساءل: لماذا لم يقل الله بالتحديد: والسماء ذات المطر؟ اليوم أصبحنا نعرف السبب في ذلك، إنها الحكمة الإلهية، وذلك لأن طبقة الأوزون التي تعلو

الأرض بالإضافة إلى أنها تُرجع المطر فإنها تُرجع موادَّ أخرى مفيدة وطاقة إلى الأرض، وهو ما يحتاجه الناس، إنها لا تُرجع المطر فقط، إنها تُرجع موجات الاتصالات، وموجات التلفاز والراديو، إضافة إلى أنها تُرجع الإشعاعات الضارَّة إلى الفضاء الخارجي، وكما أنها تمتصُّ بعض الأشعَّة مثل: الأشعَّة فوق البنفسجية لضوء الشمس، حيث تمتصُّها طبقة الأيونوسفير، ولولا ذلك فإن الحياة على الأرض ستكون مستحيلة، ومنها ندرك عظمة الله والدقة التي وصف بها بقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطارق: ١١].. إنه تفصيل عظيم ودقيق.

وأما ما قاله الإنجيل، فقد أراكم الدكتور كامبل من خلال الشرائح المراحل المذكورة فقط، وقال إن قطراتِ المطر تصعد إلى الأعلى ثم يهطُل المطر على الأرض، وهذه فلسفة «طاليس الملطي» في القرن السابع قبل الميلاد، حيث كان يعتقد أن رذاذ البحر يرتفع إلى الأعلى بسبب الرياح ثم يسقط على شكل أمطار، ولا يوجد ذِكر للسَّحاب هنا، ولذلك فدورة المياه وفق ما جاء في الإنجيل ليست كاملة كما هي في القرآن الذي وصفها بدقة في مواضعَ عدة، كيف يتبخَّر الماء، وتتشكَّل السحب، وتتراجع وتتراكم، وتبرق وتُرعِد، ويهطل المطر ثم تتحرك السحب إلى الداخل، ثم ذكر ما يقرب من «١٥» موضعًا من القرآن الكريم، فيه تفصيل لدورة المياه لم يستطع الدكتور كامبل الإحاطة بها، وذلك أنه قضى وقتًا طويلًا في علم الأجنَّة، ولم يذكر تقريبًا سوى ستة مواضع في علم الجيولوجيا.

* * *

ثم ذكر كامبل أن أكثر من اثنتي عشرة آية تحدَّثت عن الجبال، حيث ألقى الله جبالًا رواسيَ على الأرض، وقد جاء بعضُها كنعمة للمؤمنين، وبعضها جاء تحذيرًا لغير المؤمنين، ومما جاء تنبيهًا من تنبيهات خمسِ الآيةُ: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠]، وأيضًا هناك في سورة الأنبياء تنبيه من تنبيهات سبع: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، وفي سورة النحل: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]، فيا ترى ما الذي فهمه المؤمنون وغير المؤمنين من هذا؟ بينما جاء في سورة النبأ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦-٧]؛ أي: كالأوتاد المستعملة لترسيخ خيمة الأرض، بينما في سورة الغاشية: ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية: ١٩]؛ أي: هي منصوبة كالخيمة، وأوتاد الخيمة تبقى مستقرَّة، ونأتي لوصف القرآن للجبال بأنها «رواسي» للأرض، وهذه الكلمة مشتقَّة من الفعل «أرسى» وهو الجذر نفسُه لكلمة «المرساة»، فبدلًا من إلقاء المرساة لمنع السفينة من الحركة هنا إلقاء الجبال لمنع الأرض من الاهتزاز، فمن هذه الصورة نرى أن أتباع «محمد» فهموا أن الجبال أُلقيتْ مثل أوتاد الخيمة لإبقائها في مكانها مثل المرساة التي تُبقِي السفينة في مكانها لإيقاف الأرض عن التحرُّك، وبعبارة أخرى: للحدِّ من الهزَّات الأرضية...

إلَّا أن هذا في الحقيقة غير صحيح، حيث إن تشكُّل الجبال يسبِّب الهزَّات

الأرضية، ما يجعل هذه الآيات مشكلة صريحة. واستشهد الدكتور كامبل على هذا بما قاله «موريس بوكاي» في كتابه: «الكتاب المقدَّس والقرآن في العلم» بعد أنِ اقتبس الآيات السابقة: وصفَ الجيولوجيون المعاصرون الْتواءات القشرة الأرضية بأنها هي التي تشكِّل الجبال، واستقرار قشرة الأرض نتيجة لهذه الظاهرة، إلَّا أنه عندما سُئل بروفيسور الجيولوجيا «د. ديفيد إيه يونج» قال: صحيح أن الكثير من أحزمة الجبال مكوَّنة من الْتواءات عند الصخور، بعضُها على نطاق واسع، لكن ليس صحيحًا أن هذه الانثناءات تُبقِي قشرة الأرض مستقرَّة، بل إن وجود هذه الطيَّات دليل على عدم ثبات القشرة الأرضية، بعبارة أخرى: الجبال لا تمنع الأرض من الاهتزاز، بل إن تكوُّنها كان ولا يزال سببًا لاهتزاز سطح الأرض، ونعلم أن جبال «زاغروس» تكوَّنت بسبب تحرُّك الجزيرة العربية نحو إيران، وكذلك طبقات الحجاز الرملية التي كانت أفقية عند ترسُّبها زادت زاوية ارتفاعها بزاوية «٧٥» درجة، حيث رفعتها هزة أرضية إلى الأعلى بسبب تكوُّن الجبال، وأوضح تقرير حول أحد الزلازل أن صفيحة «كوكو» في المكسيك قفزت فجأة ثلاثة أمتار إلى الأمام، ونوع آخر من الجبال هي التي تتكوَّن بسبب البراكين، فالحِمم البركانية والرماد البركاني كوَّنا الجبال، حتى في قاع البحر يحدث مثل هذا.

في بعض الأحيان تبقى الصخور الذائبة عند فوهة البركان، وتبرد مشكِّلة ترسُّبًا كثيفًا يمتد تحت سطح البحر، وعندما تعلق هذه الصخور تسدُّ فوهة البركان كالسدَّادة، لكنها ليست «وتِدًا»، ولا تستطيع حمل وزن الجبال، فهي مجرد

سدَّادة، وعندما يزداد الضغط أسفل السدَّادة ينفجر البركان، كما حدث في «كركاتو» جنوب المحيط الهادي عام «١٨٨٣م»، حيث انفجرت الجزيرة برمَّتها، وكذلك هذا ما حصل في جبل «سانت هيلين» عندما انفجر الجبل، إذًا فالجبال بهذا تتكوَّن في الأصل بسبب الحركة والاهتزاز، وبسبب استمرار تكوُّن الجبال تحدث الهزَّات الأرضية، وبعد هذا كلِّه كيف يكون إلقاء الجبال على الأرض كأوتاد الخيمة لتحميَ الأرض من الاهتزاز، إنه يتنافى مع العلم الحديث.

* * *

﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1]

لم يكن الأمر صعبًا على بدأ «د. ذاكر» الذي بدأ بإعطاء حقائق علمية مفنِّدًا ما قاله وليام كامبل عن الجبال، وصحَّح المغالطة التي جاء بها بقصد أو بغير قصد، فذكر أن قطر الأرض يساوي «٣٧٥٠» ميلًا تقريبًا، والطبقات العميقة حارَّة جدًّا ومائعة، ولذلك فالحياةُ غير ممكنة، والطبقة السطحية لقشرة الأرض رقيقة جدًّا تتراوح بين «١-٣٠» ميلًا، وبعض الأجزاء أكثر سماكةً، وهنا احتمالية عالية لأن تهتزَّ هذه الطبقة السطحية بسبب الالتواءات التي تشكِّل السلاسل الجبلية التي تحافظ على استقرار الأرض، والقرآن يقول: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦)

---

(١) الكهف: ١٠٤.

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦-٧]، لم يقل القرآن إن الجبال أُلْقيت كالأوتاد، وإنما الجبال أوتاد، وهذه الكلمة العربية تعني العصيّ التي تثبِّت الخيمة، وكما يخبرنا العلم الحديث اليوم فإن لهذه الجبال جذورًا عميقة في الأرض، وقد اكتُشف هذا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولا يشكل ما نراه من الجبال سوى نسبة ضئيلة، أما الجزء الأكبر فهو داخل الأرض، تمامًا مثل الأوتاد التي تثبت في الأرض، إنه يشبه الجبل الجليديَّ الذي نرى قِمَّته فقط بينما «٩٠٪» منه تحت الماء.

ثم وجَّه «د. ذاكر» ضربة قوية للدكتور كامبلَ عندما تحدَّاه في مسألة استقرار الأرض وِفق العلم الحديث بأن يأتيَ بكتاب جيولوجي واحد يقول عكس هذا الكلام، ولا تُقبل منه مُراسلاتُه الشخصية كما فعل مسبقًا مع الدكتور «كيث مور» في مسألة تكوُّن الجنين، نريد منه وثائق مثبَتة، إن معظم الجيولوجيين اليوم يقولون إن الجبال تساهم في استقرار الأرض، واستشهد بكتاب «الأرض – the earth» الذي يُعدُّ المرجع المعتمد عند معظم الجامعات في مجال الجيولوجيا، وأحد مؤلِّفيه هو الدكتور «فرانك برس» وهو مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق «جيمي كارتر»، ورئيس أكاديمية العلوم في الولايات المتحدة الأمريكية حيث يقول: إن للجبال جذورًا عميقة داخل الأرض، وقال إن وظيفة الجبال هي ضمان استقرار الأرض، والقرآن الكريم يقول: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]، [لقمان: ١٠]، ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، فوظيفة الجبال هي منع الرض من التأرجُح والتمايل، ولم يقُل

القرآن مطلقًا إن الجبال تمنع حدوث الهزَّات الأرضية، والمصطلح الموجود في القرآن هو لفظ «تميد» الذي يعني «تتأرجح» و«تتمايل» و«تترنَّح»؛ أي: لو لم تكن الجبال موجودة فستتمايل الأرض بكم إذا تحرَّكتم عليها، وذلك طبقًا للدكتور فرانك برس والدكتور زغلول النجار الذي ألف كتابًا كاملًا عن المفاهيم الجيولوجية في القرآن، أجاب فيه بشكل تقريبي على كلٍّ ما ذكره الدكتور كامبل بالتفصيل. وأما مصطلح «الزلزال» فوفقًا لتعريف قاموس «أوكسفورد» فإنه ينتج عن اهتزاز القشرة السطحية للأرض بسبب تحرير الموجات الزلزالية المضغوطة بسبب تكسُّر الصخور أو النشاطات البركانية، وأما الردَّ على قوله: لو كانت الجبال تمنع الهزَّات الأرضية فكيف يستقيم أن نجد الزلازل في المناطق الجبلية؟ قال «د. ذاكر»: لنفترض أني قلت إن الأطباء يمنعون الأمراض عن الناس، فإذا جادلني أحدهم: إذا كان الأطباء يمنعون الأمراض عن الناس، فكيف يستقيم أن نجد أعدادًا كبيرة من المرضى في المستشفيات حيث يوجد أطباء أكثر منها في المنازل حيث لا يوجد أطبَّاء.؟!.

***

الشمس في القرآن

وتعالوا لنأخذ نظرة بسيطة عما قاله القرآن عن الشمس في سورة الكهف: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦]؛ أي:

عندما وصل ذو القرنين، وهو الإسكندر الأكبر إلى مغرب الشمس وجدها تغرب في عين ماء عكر، وأنا آسف، فإن الشمس في القرن العشرين عصر العلوم لا تغرب في عين ماء عكر.

* * *

«لا تُغطَّى الشمسُ بغربال»

على الرغم من أن الدكتور ويليام كامبل يتحدث العربية لذا فهو يعلم أن معنى كلمة «وجدها» هو «بدت له» طِبقًا لـ «محمد أسد»، فالله يصف في القرآن كيف بدت الشمس لذي القرنين أنها تغرُب في ماء عكر، هكذا بدت له، وإذا قلت إن طالبًا في الحصة قال: «٢+٢=٥»، وقلتم: أووووه، ذاكر يقول: «٢+٢=٥»!!!.. أنا لم أقل ذلك، أنا أخبرُكم أن الطالب في صفِّي هو الذي قال: «٢+٢=٥».. فأنا لم أُخطئ، بل الطالب هو الذي أخطأ، ولو حلَّلنا هذه الآية من طرق أخرى فالكلمة العربية التي استُخدمت هي كلمة «مَغرِب»، إذ يمكن أن تُستخدم للوقت، وكذلك للمكان، فإذا قلت: مَغرِب الشمس في تمام الساعة السابعة مساءً، فأنا استخدمتُها للوقت، وإذا قلت: مَغرِب الشمس في الغرب، فأنا استخدمتها للمكان، والمعنى المقصود في الآية الوقت، وذلك أنَّ ذا القرنين لم يصلْ إلى مكان غروب الشمس، إنما وصلَ في وقت غروب الشمس، وبذا فلا مشكلة، ولو اعترض الدكتور كامبل بأن هذا مجرد افتراض فسأحلِّل الآية من

ناحية أخرى، حيث إننا نستخدم عبارات من مثل: «شروق الشمس وغروبها»، فهل تشرق الشمس أو تغرب علميًّا؟، بالطبع لا، وإنما هي حركة ظاهرية فقط، إذًا فحركة دوران الأرض حول نفسِها تعطي ظاهرة الشروق والغروب، ومع ذلك نقرأ يوميًّا في الصحف: شروق الشمس في تمام الساعة «٦» صباحًا، وغروب الشمس في تمام الساعة «٧» مساءً... أووووه هذه الصحف خاطئة وغير علمية، ومثل ذلك إذا استعملت كلمة «disaster» التي تعني «كارثة» هي تعني في الأصل «نجم الشر»، غير أني إذا قلتها فالجميعُ يعلم أنني أقصد المصيبة وليس نجمَ الشرِّ، وكذلك يعلم الدكتور كامبل كما أعلم أنا أنه عندما يختلُّ عقليًّا شخص ما فإننا نقول عنه: «مجنون - lunatic»، ولكن ماذا تعني حرفيًّا؟ تعني: «ضُرب القمر» غير أن اللغة تطورت إلى المعنى الجديد، ومثل هذا تمامًا قولُنا: «مشرق الشمس»، هي فقط للتعبير، فالله أعطى البشر التعليمات، فاستخدم تلك الكلمة التي يُفهم منها أنها وقت الغروب فقط، وليس الغروب الفعليَّ للشمس، فهي لا تغرب ولا تشرق، إذًا فالآية التي ذكرها كامبل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦]، لا تُناقض العلم، إنما هي طريقة كلام البشر.

***

يقول القرآن في سورة الفرقان: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٥-٤٦]، إذا كانت الشمسُ عمودية فليس هناك ظِل، أو هناك القليل منه، وعندما تغرب الشمس فإن الظل يطول في الجهة المقابلة لها، حقيقةً فإن الشمس ثابتة بالنسبة للأرض، وهي ليست سببًا لتغير الظل، دورانُ الأرض يتحكَّم في الظل، وإذا طلبنا دقَّة القرن العشرين فإن السورة يجب أن تقول: إنَّ دوران الأرض هو سبب تغير الظل.



الظِلُّ على عينيك وفي عقلك..

استغرب الدكتور ذاكر أين ذُكر في القرآن أن الشمس تتحرك!!، وكتب في كتابه كما قال في حديثه: «تعلَّمنا في المدرسة الابتدائية أن الظلَّ يطول ويقصر بسبب دوران الأرض»، إلَّا أن الذي يقوله القرآن هو أن الشمس دليلُه، وحتى الشخصُ الأمِّيُّ الذي لم يذهب إلى المدرسة يعرف أن الظلَّ سببُه ضوء الشمس، والقرآن صحيح تمامًا، إنه لم يقل إن الشمس تتحرك فتتسبَّب في ظهور الظلال!!، إنما يُستدل على الظلِّ بالشمس، فبدون ضوء الشمس لا يمكن أن

نحصل على الظلِّ، نعم نستطيع الحصول على الظلِّ من المصابيح، فهذا أمر آخر، لكن الآية تشير إلى الظل المتغير بالتمدُّد والتقلص[1].

* * *

وفاة سليمان طبقًا للقرآن

استغرب الدكتور كامبل مما ورد عن وفاة نبي الله سليمان، فكيف مات مستندًا إلى عَصاه، مثلُه في ذلك مثل أيِّ مراقب عمَّال يعملون في الطريق، ولم يأتِ طبَّاخ ليسأله ماذا يريد على العشاء، ولم يأتِ جنرال طلبًا للأوامر، ولم يأتِ أيٌّ من النبلاء ليقول له: فلنذهبْ للصيد، لم يلاحظْه أحد!، حيث يقول القرآن: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤]، وتأسَّف كامبل لأنه لا يصدِّق هذه القصة، وهي لا تتوافق مع علم الاجتماع في القرن الحادي والعشرين، ولا حتى مع علم الاجتماع في القرن السابع؛ لأن الملك لن يُترك وحيدًا هكذا.

* * *

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن القرآن نزل في وقت لا مصابيح فيه، ولا يظهر هذا الأثر كبيرًا مع النار، وأما الشمس فهي مستمرة ومرتفعة، فملاحظة تغير الظل معها ألصق بحياة الناس.

كان من السهولة بمكان أن يردَّ «د. ذاكر» على هذا الادِّعاء، ومن طرق عدَّة، وأوَّلها أنَّ سليمان –عليه السلام- كان نبيًّا ومن الممكن أن تكون معجزة من معجزات الأنبياء، ولكي يسدَّ الطريق على كامبل ضرب له أمثلة بسيدنا عيسى –عليه السلام- ومن الإنجيل كيف أن عيسى –عليه السلام- استطاع أن يحيي الموتى، وأنه وُلد من غير أب لأمٍّ عذراء، ثم حصره في بمحاكمة عقلية محسومة النتائج لصالحه عندما طلب المقارنة من حيث الصعوبة بين الأمرين، فإذا أيَّد الله نبيه عيسى بالمعجزات فلمَ لا تكون هذه معجزة لنبيِّه سليمان، وهذه الحجة لا يستطيع كامبل إنكارها لأنه يؤمن أن سليمان نبيٌّ، وكذلك استدل بموسى –عليه السلام- عندما فلق البحر، وعندما انقلبت عصاه أفعى، وهذا ما يقوله الإنجيل، فالله الذي فعل ذلك مع نبيِّه موسى قادر على أن يجعل رجلًا يستند على عصاه لوقت طويل، ومع ذلك ذهب الدكتور ذاكر إلى إجابات أخرى اعتمد فيها على تحليل الآية، فالله لم يقلْ في القرآن إنه بقي فترة طويلة، والذي قاله إن دابَّة الأرض التي قد تكون نملة أو أي حشرة أو حيوان أتتْ وأكلتْ جزءًا من العصا، فربما يكون نبي الله سليمان مات في لحَظته، ومع ذلك أتفق مع الدكتور كامبل أنه بقي فترة طويلة والإجابة في الآية نفسها، وذلك أنه بعدما سقط سليمان –عليه السلام- قالتِ الجِن: لو علمنا أنه مات لما بقينا في العذاب

الشاقِّ المهين[1]، دلالة على الفترة الطويلة وعلى أن الجنَّ لا يعلمون الغيب من حيث أنهم ظنُّوا أنفسهم عظماء.

ومن خلال تحليل «د. ذاكر» نجده على يقين أن الفترة كانت طويلة فعلَّل ذلك وفق هذا المفهوم، غير أنه أثبت أيضًا بطلان ادِّعاء كامبل وفق منهج التناقضات.. وهنا وصل إلى نتيجة هي أن الإنسان سواء استخدم منهج التناقضات أو التوافقات في القرآن الكريم فلن يجد آية واحد تناقض العلم والمنطق، ويعتمد منهج التناقضات على دراسة نصٍّ ما لإظهار مدى التعارض بينه وبين العلم، بينما يقوم منهج التوافقات على دراسة النصِّ لإظهار مدى التشابه بينه وبين العلم، ولا يختلف أيُّ باحث منصف مع آخر أن القرآن الكريم يوافقه العلم تمام الموافقة، سواءٌ على الدارس أيَّ المنهجين سلك.

* * *

تكوُّن اللَّبن وفقًا للقرآن

جاء في سورة النحل: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]، وطبقًا لعلم القرن العشرين فإنَّ الأمعاء هي التي توجد في البطن، أما الغدد الثديية فهي تحت الجلد عند

(١) وذلك أن لسليمان هيبةً أرعبت الجن الذين سخرهم في العمل وقيَّد نشاطهم.

البشر، أما عند المواشي فهي بين أرجلها تحت الجلد، ولا يوجد رابط بين الصدر والأمعاء والفضلات بأي طريقة، وعلى الرغم من أن الفضلات «الفَرْث» ما زالت داخل الجسم إلَّا أن الحيوان قد انتهى منها، فلا رابط بينها وبين اللبن أو أي شيء آخر.

***

ولِلعِلم كلمة..

استهلَّ الدكتور ذاكر حديثه عن العالم العربي «ابن النفيس» الذي اكتشف الدورة الدموية عند الإنسان بعد «٦٠٠» عام من نزول القرآن، ثم نشر «ويليام هارفي» هذه المعلومة في العالم الغربي بعد «٤٠٠» عام من ابن النفيس؛ أي بعد «١٠٠٠» عام من نزول القرآن الكريم، فالطعام الذي نأكلُه يذهب إلى الأمعاء، ومن الأمعاء فإن مكوِّنات الغذاء تصل إلى أجهزة الجسم المختلفة من خلال الدم، في العديد من الأحيان من خلال النظام البَوابي الخاص بالكبد، وتصل إلى الغدد الثديية المسؤولة عن إنتاج اللَّبن، هذه هي معلومات الطب الحديث، لكن القرآن قدّم هذه المعلومات من قبل عندما قال: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]، وقوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون: ٢١].

***

اتَّجه د. كامبل إلى علم اجتماع القرآن الكريم، وبيَّن كيف وصف القرآن حياة بعض الحيوانات بأنها مجتمعات تشبهُ مجتمعات البشر عندما قال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فكيف يكونون أمثالَنا نحن البشر وبعضُ العناكب تأكل الأمُّ الأبَ بعد أن يتمَّ التزاوج بينهما.. أنا سعيد لأن زوجتي لم تأكلني.. حتى عند النحل، فإن الذكور الزائدة يتم طردها خارجًا لتموت.. وأنا سعيد أيضًا لأن زوجتي لم تطردْني من المنزل بعد أن أنجبنا أربعة أطفال.. وكذلك فإنه عندما يَشِيخ الأسد فإن الأسد الشابَّ يأتي ويُبعده عن زوجاتِه ثم يأخذهنَّ له... لذا فإن العبارة الواردة في القرآن ليست صحيحة؛ لأنه ليست كلُّ الحيوانات أُممًا أمثالنا.

* * *

نَبَا بِكَ الفهمُ..

في ردِّه على هذه النقطة كشف «د. ذاكر» جهل د. كامبل، وعدم قدرته على فهم القرآن الكريم، وذلك أن كلَّ ما ذكره من أن العنكبوت تقتل زوجها وغير ذلك ما هو إلَّا سلوك لتلك الحشرات والحيوانات، والقرآن لم يُشِر إلى السلوك مطلقًا، فإذا كان د. كامبل غيرَ قادر على فهم ما يقوله القرآن الكريم فلا يعني ذلك أنه

خاطئ، وإنما الذي لم يفهمه هو الخاطئ، والقرآن تحدث عن أن الحيوانات والطيور تعيش في مجتمعات مثل البشر، وهذا ما يقوله العلم الحديث اليوم، غير أنه لم يُشِر إلى السلوك كما فهمها الدكتور كامبل خطأً.

* * *

أخطاء الكتاب المقدَّس العلمية

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]

«اعرِفُوا الحقيقةَ والحقيقةُ ستُحرِّرُكم» [السيد المسيح]

في فقرة مناقشة الإنجيل في ضوء العلم الحديث استهلَّ «د. ذاكر» حديثه بمقدمة قصيرة بيَّن فيها أنَّ الكتاب المقدَّس الذي يؤمن به المسيحيُّون على أنه كلام الله ليس الإنجيل الذي يؤمن به المسلمون الذي نزل على عيسى -عليه السلام-، لأنه إضافة إلى كلام الله فإنه يحتوي أيضًا على كلام الأنبياء وكلام المؤرِّخين ومغالطات وكلام مَشين، وبه عدد لا يُحصى من الأخطاء العلمية، وإذا كان هناك معلومات علمية فنحن أمام احتمالات عدة، فقد تكون جزءًا من كلام الله، ولكن ماذا أيضًا عن الأخطاء العلمية؟ لا يمكننا نسبتُها إلى الله، تعالى الله عما يصفون. ثم وضَّح «د. ذاكر» للمسيحيين الحاضرين أن الهدف من المحاضرة والمناظرة ليس التجريح بالمسيحيين والمساس بمشاعرهم، وإنما بيانُ ما في الإنجيل الحالي من أخطاء علمية لمعرفة الحقيقة، إذ من المستحيل أن يحويَ كتاب

منزَّل من الله على أخطاء علمية، عليكم معرفة الحقيقة، وكما قال السيد المسيح -عليه السلام-: «اعرفوا الحقيقةَ والحقيقةُ ستحرِّرُكم»، لدينا العهد القديم والعهد الجديد، أما الآن فعليكم اتِّباع العهد الأخير.. إنه القرآن الكريم.

***

علم الفلك في الكتاب المقدَّس

يطالعنا سِفر التكوين في الإصحاح الأول أن الله خلق السماوات والأرض في «٦» أيام، وتحدَّث عن المساء والصباح، وهذا يعني أن اليوم المقصود هو اليوم المعروف المكوَّن من «٢٤»، وعلماءُ اليوم يخبروننا أن الكون لا يمكن أن يُخلق في «٦» أيام على أن يكون اليوم «٢٤» ساعة طبقًا لمعطيات العلم الحديث، وقد تحدث القرآن الكريم أيضًا عن هذه الأيام الـ «٦»، غير أننا إذا ناقشنا معنى كلمة «أيام» باللغة العربية فهي جمع لكلمة «يوم» الذي قد يعني أنه اليوم المكوَّن من «٢٤» ساعة، أو قد تعني فترة زمنية طويلة أو حقبة، ولا يعترض العلماء اليوم على أن الكون خُلق في «٦» فترات زمنية طويلة.

والنقطة الثانية: يقول الكتاب المقدَّس في سفر التكوين، الإصحاح الأول، الأعداد: «٣-٥»: النُّور خُلق في اليوم الأول، وفي سفر التكوين، الإصحاح الأول، الأعداد: «١٤-١٩»: مصدر النور هو الشمس والنجوم وغيرها خُلقت في اليوم الرابع.. فكيف يمكن أن يُخلق مصدر النور في اليوم الرابع؛ أي: بعد

النور الذي خُلق في اليوم الأول؟!! فهذا كلام غير علمي.

النقطة الثالثة: ورد في سفر التكوين، الإصحاح الأول، الأعداد: «٩-١٣» أن الأرض خُلقت في اليوم الثالث، فكيف يمكن أن يكون هناك نهارٌ وليلٌ من دون الأرض؟ فالنهار يعتمد على دوران الأرض، ومن دون وجود الأرض لا يمكن أن يكون هناك نهار وليل؟!!.

النقطة الرابعة: جاء في سفر التكوين، الإصحاح الأول، الأعداد «٩-١٣» أن الأرض خُلقت في اليوم الثالث، بينما في الأعداد «١٤-١٩» أن الشمس والقمر خُلقا في اليوم الرابع، والعلم اليوم يخبرنا أن الأرض جزء من الجسم الأوَّلي «الشمس»، فلا يمكن أن توجد «الأرض» قبل الشمس، فهذا كلام غير علمي!!.

النقطة الخامسة: جاء في الكتاب المقدَّس في سفر التكوين، الإصحاح الأول، الأعداد: «١١-١٣» أنَّ النباتات كالأعشاب والشجر خُلقت في اليوم الثالث، ووفقًا للأعداد «١٤-١٩» فإن الشمس خُلقت في اليوم الرابع، فكيف يمكن للنباتات أن تأتي للوجود وتستمر بلا أشعة الشمس؟!.

النقطة السادسة: يقول الكتاب المقدَّس في سفر التكوين، الإصحاح الأول، العدد «١٦» إن الله خلق النور الأكبر وهو نور الشمس لحكم النهار، والنور الأصغر وهو نور القمر لحكم الليل، وإذا ما عدنا إلى الترجمة الفعلية للنص العِبري فإنها «مصابيح»، والمصابيح تعني أن تضيء بذاتها، وهذا ما ستعرفونه جيِّدًا إذا قرأتم سفر التكوين، الإصحاح الأول، العددين: «١٦-١٧»، حيث

يقول العدد «١٧»: وجعلها الله في جَلَد السماء لتنير على الأرض، وجملة «تنير على الأرض» تشير إلى أن الشمس والقمر لهما نورهما الخاص، وهو ما يتناقض مع المعرفة العلمية الثابتة، فليس للقمر نورٌ خاص.

ولذلك فهناك بعض الناس يحاولون أن يوفِّقوا فيقولون إن الأيام الـ «٦» المذكورة في الكتاب المقدَّس تعني الحِقَب الطويلة، تمامًا كما يقول القرآن، وليس «٢٤» ساعة فقط، وهذا غير منطقي، لأننا نقرأ في الكتاب المقدَّس لفظَي «صباح ومساء»، وهذا يشير بوضوح إلى أنه المقصود هو اليوم المكوَّن من «٢٤» ساعة، وإذا ما اعتمدت منهج التوافق فلا مشكلة، وسأتَّفق مع جدالك اللاعقلانيِّ، ولكن ستتمكَّن فقط من حلِّ الخطأ العلمي الأول المتعلق بخلق الكون في «٦» أيام، والثاني المتعلِّق بالنور في اليوم الأول، والأرض في اليوم الثالث، أما الـ «٤» الباقية فلا يمكنك حلُّها...

ويذهب بعضهم للقول إنه إذا كانت المقصود باليوم «٢٤» ساعة فلِمَ لا يمكن للنباتات أن تعيش ليوم واحد بلا أشعة الشمس؟ لا بأس، لا اعتراض لديَّ على هذا، إلَّا أنكم لا يمكنكم القول إن المقصود بالأيام «٢٤» ساعة إضافة إلى أنها حِقب طويلة، لا يمكننا الجمع بين القولين، فإذا قلتم إنها حقب طويلة فتكونون قد حلَلْتم الإشكالية الأولى والثالثة، أما الرابعة الباقية فلا تزال قائمة، وأما إذا قلتم إن اليوم يعني «٢٤» ساعة فأنتم تحلُّون الإشكالية الخامسة فقط، أما الخمس الباقية فلا تزال قائمة، وهذا غير علمي...

ثم ألقى الدكتورُ ذاكر خصمَه في بحر الإحراج عائمًا ليقرر المقصود بالأيام في

الكتاب المقدَّس إن كانت حقبًا طويلة مع «٤» أخطاء علمية، أو «٢٤» ساعة مع «٥» أخطاء علمية.

لقد وضعه في موقف رجل حُكم عليه بالإعدام، غير أنه خُيِّر إن كان سيُعدم شنقًا أو رميًا بالرصاص.

* * *

الأرض في الكتاب المقدَّس

قدَّم العلماء في عصرنا الحالي احتمالين لنهاية العالم؛ الأول أنه سيفنى، والثاني أنه سيبقى إلى الأبد، لكن لا يمكن أن يجتمع الاحتمالان مع بعضيهما البعض، سيكون ذلك غيرَ علمي... إلَّا أنهما وردا معًا في الكتاب المقدَّس، ففي الكتاب المقدَّس، كتاب العبرانيين، الإصحاح الأول، العددين: «١٠-١١»: جاء «وأنت يا رب في البَدء أسَّستَ الأرضَ، والسماواتُ هي عمل يديك، هي تَبِيد ولكنْ أنتَ تبقَى، وكلُّها كثَوب تَبلى».

وفي المزامير، الإصحاح «١٠٢»، العددين: «٢٥-٢٦» يقول: «مِن قِدَم البَدْء أسَّستَ الأرضَ، والسماواتُ هي عملُ يديكَ، هي تَبِيد ولكنْ أنتَ تبقَى، وكلُّها كثَوب تَبلى، كَرِداء تُغيرهنَّ فتتغيَّر». وهو ما يتعارض مع ما جاء في سفر الجامعة، الإصحاح الأول، العدد «٤»: «دَورٌ يمضِي ودَورٌ يجِيء، والأرضُ باقيةٌ إلى الأبدِ»، ومع ما جاء في المزامير، الإصحاح «٧٨»، العدد «٦٩»: «وبنَى مثلَ

مُرتفعاتٍ مقدَّسة، كالأرضِ التي أَسَّسها إلى الأبدِ»...

وكما فعل «د. ذاكر» سابقًا فعل فعلَته الآن وترك الدكتور كامبل يتخبَّط في أفكاره ليختار أيَّ الموضعين هو العلمي، وبهذا سيحكُم على الثاني بأنه محض هراء، إذا لا يمكن أن يظلَّ العالم قائمًا إلى الأبد وفي اللحظة نفسِها سينتهي ويفنى، فهذا غير علمي.

* * *

السماء في الكتاب المقدَّس

جاء في الكتاب المقدَّس في سفر أيوب، الإصحاح «٢٦»، العدد «١١»: «أعمدةُ السماءِ ترتعِدُ وترتاعُ مِن زَجرِه»، إذًا فوفقًا لهذا فإن للسماء أعمدة ترفعها، في حين ينفي القرآن رفع السماوات بأعمدة حيث يقول: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [لقمان: ١٠]، ولم يكتفِ الكتاب المقدَّس بهذا، بل جعل للأرض أعمدةً أيضًا، حيث يقول في سفر صموئيل الأول، الإصحاح «٢»، العدد «٨»: «لأنَّ للربِّ أعمدةُ الأرضِ»، وفي سفر أيوب، الإصحاح «٩»، العدد «٦»: «المزعزعُ الأرضَ من مقرِّها، فتتزلزلُ أعمدتُها»، وفي المزامير، الإصحاح «٧٥»، العدد «٣»: «ذابتِ الأرضُ وكلُّ سكانِها، أنا وزَنتُ أعمدتَها».. أيعقلُ هذا..؟!!!.

* * *

جاء في سفر التكوين، الإصحاح الأول، العدد «٢٩»: «وقال الله: إني قد أعطيتُكم كلَّ بَقْل يبذُرُ بذرًا على وجهِ كلِّ الأرضِ، وكلُّ شجرٍ فيه ثمرٌ شجرٌ يبذرُ بذرًا لكم يكونُ طَعامًا»، والنسخة العالمية الجديدة تقول: «كلُّ البذورِ تُثمر نباتاتٍ، وكلُّ شجرةٍ تثمرُ ثمرةً تثمرُ بذورًا، وكلُّها طعامٌ لكم».. واليوم حتى العامِّيُّ يعرف أن هناك بعض النباتات السامَّة، مثل التُّوت البري والإستركنين والداتورة والنباتات التي تحتوي على مادة شبه قلوية ومادة بولياندر وباكايبويد التي من الراجح أن تتسبب في وفاتك إذا أكلت منها... فكيف يُعقل أن يجهل الخالق أن الإنسان سيموت إذا أكل من هذه النباتات؟.. أرجو ألَّا يصف الدكتور كامبل هذه المأكولات النباتية لمرضاه.

* * *

الاختبار العلمي لتحديد المؤمن الحقيقي

وعلى مقولة: «من فمك أَدِينُك» اتَّجه «د. ذاكر» إلى الاختبار العلمي للمؤمن الحقيقي الذي تحدث عنه الكتاب المقدَّس، ليطبقه على الدكتور كامبل، إذا جاء في إنجيل مرقس، الإصحاح «١٦»، العددين «١٧-١٨» أنه ستكون هناك آيات؛ أي: علامات للمؤمنين، ومن هذه العلامات: «باسِمي يُخرجون

الشياطين، ويتكلَّمون بألسنة جديدة»؛ أي: لغات أجنبية، «يحملون حيَّات، وإذا شربوا سُمًّا مُميتًا فلا يضرهم، وعندما يضعون أيديَهم على المرضى فإنهم يبرؤون».. وعلميًّا يُعرف هذا الاختبار بأنه «الاختبار التوكيدي» للمسيحي الحقيقي، ويقول «د. ذاكر» إنه التقى في آخر عشر سنوات من عمره «وذلك من زمن هذه المناظرة» مع آلاف المسيحيين، بمن فيهم المبشِّرون، ولم يلتقِ بمسيحيٍّ واحد على الأقلِّ اجتاز اختبار التوكيد المذكور في الكتاب المقدَّس، لم يلتقِ بأي مسيحيٍّ شرب السمَّ ولم يمُتْ، ولو استعملنا الاصطلاح العلمي لهذا الاختبار فهو اختبار التكذيب؛ أي: لو أن شخصًا مزيَّفًا جرَّب هذا الاختبار وشرب السمَّ فإنه سيموت، والشخص المزيَّف لن يقوم بهذا الاختبار، لأنه إذا حاول اجتياز اختبار التكذيب فسيفشل، ولذا لن يقوم بهذا الاختبار إلَّا المسيحي الحقيقي، وبما أن الدكتور كامبل يدافع عن المسيحية بشراسة، وألَّف كتاب «القرآن والكتاب المقدَّس في ضوء التاريخ والعلم» فيُفترض أنه مسيحيٌّ حقيقيٌّ، لذا كان المطلوب منه أن يثبت أنه مسيحيٌّ حقيقيٌّ عبر اختبار التكذيب، ثم طمأنَ الدكتور ذاكر الحضور بأنه لن يطلب منه أن يشرب السمَّ المميت -حتى لا يعرِّض المناظرة للخطر- إلَّا أنه سيطلب منه أن يتحدث بلغات جديدة، وكما يعرف الجميع فإن في الهند أكثرَ من ألف لغة ولهجة، وكلُّ المطلوب منه أن يقول كلمتين فقط باللغات الرسمية الـ «١٧» المعتمدة في الهند، والكلمتان هما «مئة روبية»، وأردف: ولأسهِّل على الدكتور كامبل فلديَّ ورقة نقدية من فئة «١٠٠» مكتوب عليها كل اللغات الرسمية الـ «١٧» إضافة إلى الإنجليزية، فسأعينه في

البداية وسأذكرها بالهندية: «إكْ سو روبيَّه» واللغات المتبقية مكتوبة هنا، وأطلب منه أن يقرأها، أعلم أن الاختبار يقول: سيتحدثون لغات أجنبية جديدة بأنفسهم من دون الاستعانة بالقراءة، ولكني أريد أن أسهِّل الاختبار؛ لأني أريد أن أرى أحدًا يجتاز الاختبار، فلم يسبق لي ذلك قطُّ، فإما أن يقولها من نفسه أو من ذاكرته، أو على الأقل يقرؤها، فأنا لا أمانع، وسأقبلها منه.. يمكنه قراءتها في فترة الرد الخاص به.. كلمتان فقط.. «مئة روبية».

* * *

علم المياه في الكتاب المقدَّس

جاء في سفر التكوين، الإصحاح «٩»، العددين «١٣» و«١٧» أنه بعد أن أغرق الله العالم بالطوفان في زمن نوح وبعد هبوط الماء إنه سيضع قوسَه في السماء كميثاق ألَّا تكوِّن المياه طوفانًا لتهلك البشرية مرة أخرى، وقد يجد أيُّ شخص بعيد عن المجال العلمي هذا الكلام مقبولًا، غير أننا ندرك اليوم جيدًا أن قوس الطيف ينتج عن انكسار ضوء الشمس في وجود مطر أو ضباب، ولا شك أن آلاف الأقواس ظهرت قبل «نوح» -عليه السلام-، فإذا قال قائل إن هذا القوس لم يكن موجودًا قبل «نوح» فإن هذا يعني أن قانون انكسار الضوء لم يكن موجودًا، وهذا كلام غير علمي على الإطلاق.

* * *

تطهير المنزل:

يطالعنا سفر التكوين بطريقة غير معهودة لتطهير المنزل من داء البرص أو الجُذام، فيقول: «فيأخذُ لتطهير البيت عصفورين وخشب الأرز وقِرْمِزًا والزُّوفا، ويذبح عصفورًا واحدًا في إناء خزَف على ماء حي، ويأخذ خشب الأرز والزُّوفا والقِرْمِز والعصفور الحي ويغمسُها في دم العصفور المذبوح وفي الماء الحي، وينضح البيت سبع مرات».. كيف هذا؟!!، نرشُّ المنزل بالدم لتطهيره من البرص أو الجذام؟!!، تعلمون جميعًا أن الدم بيئة خصبة للجراثيم والبكتيريا والسموم.. أرجو ألَّا يكون الدكتور كامبل يستخدم هذه الطريقة لتطهير غرفة العمليات.

ولادة الطفل الأنثى والذكر:

كلنا يعلم أن الأمَّ بعد أن تلد تكون في فترة النفاس غير نظيفة، ولا اعتراض من الناحية الدينية إن وُصفت بأنها غير نظيفة، إلَّا أنه في سفر اللاويين، الإصحاح «١٢»، الأعداد من «١» إلى «٥» جاء: إن المرأة إذا ولدت ذكرًا تكون نجسة «٧» أيام، ثم تظل نجسة «٣٣» يومًا آخر، وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين، ثم تظل نجسة «٦٦» يومًا آخر.. وباختصار إن المرأة إذا ولدت ذكرًا فإنها تبقى نجسة لمدة «٤٠» يومًا، أما إن ولدت أنثى تبقى نجسة «٨٠» يومًا، والمطلوب من

الدكتور كامبل أن يشرح علميًّا كيف تظل المرأة غير نظيفة إن ولدت أنثى ضعف المدة مقارنة بو لادة ذكر؟.

الكشف عن الزنا:

يقدم لنا الكتاب المقدَّس طريقة جيدة للكشف عن الزنا إذا ارتكبته المرأة، فقد ورد في سفر العدد، الإصحاح «٥»، الأعداد من «١١» إلى «٣١»: يُحضر القِس ماءً مقدَّسًا في إناء، ويأخذ من الغُبار الذي في الأرض ويضعه في الإناء، فيكوِّن الماء المُرَّ، وبعد إلقاء اللعناتِ على الماء يعطيه للمرأة، فإن كانت قد ارتكبت الزنا وشربت الماء فستدخل اللعنة جسدها، ستتورَّم معدتُها، وتصير ملعونة وسط شعبها.. أما إذا لم تكن المرأة قد زنَتْ فستتبرَّأ وتحبل بزَرع... وتعلمون اليوم أن آلاف القضايا قيد الانتظار أمام المحاكم في مختلف أرجاء العالم بسبب زعم الآخرين أن هذه المرأة قد زنت، وقد انتشر أيضًا في وسائل الإعلام المختلفة أن رئيس هذا البلد الكبير «بيل كلينتون» تورَّط في فضيحة جنسية.. ترى لماذا لم تستخدم المحاكم الأمريكية اختبار الماء المرِّ لكشف حقيقة ارتكابه الزنا؟!... كان سينجو في الحال لو استخدموها!!.. لماذا لم يلجأ المنصِّرون المسيحيون في هذا البلد ولا سيما العاملين في المجال الطبي مثل صديقي الدكتور «ويليام كامبل» إلى إجراء اختبار الماء المرِّ لإنقاذ رئيسهم في الحال؟!!.

* * *

أسماء غير متطابقة:

يحتوي الكتاب المقدَّس على آلاف التضاربات، والمئاتُ منها يتعلق بالرياضيات، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما ورد في سفر عزرا، الإصحاح «٢» العدد «١»، وسفر نحميا، الإصحاح «٧»، العدد «٦»، حيث جاء أن العائدين من الذين سباهم الملك البابلي «نبوخذ نصَّر» رجع كلٌّ واحد منهم إلى مدينته، وثمة قائمة بأسماء هؤلاء الأشخاص مذكورة في سفر عزرا، الإصحاح «٢»، الأعداد من «٢» إلى «٦٣»، وسفر نحميا، الإصحاح «٧»، الأعداد من «٧» إلى «٦٥»، إلَّا أنَّ هذه القائمة في أقل من «٦٠» آية حوَتْ ما لا يقل عن «١٨» حالة من هذه الحالات كانت الأسماء فيها غير مطابقة للرقم في هذين الإصحاحَيْن، ثم عرض الدكتور ذاكر هذه القائمة التي لم يملك الوقت لقراءتها كاملة.

اختلاف المجموع وخطأ الجمع:

إذا قام أيٌّ شخص قد أنهى تعليمه الابتدائي بشكل صحيح بعملية جمع لبعض الأعداد لتكون مرجعًا ما فلا شك أنه سيحرِص على أن يكون الناتج صحيحًا، ولعله يعطي هذه العملية لمن هو أخبر منه في ذلك، فكيف بمن ألَّف الكتاب المقدَّس؟!!.. إلَّا أن ذلك لم يحصل، ووقع خلط كبير بين بعض الأعداد الواردة ومجموعها، إذ ورد في سفر عزرا، الإصحاح «٦»، العدد «٦٤» أنه إذا جمعنا عدد

الجمهور فسيصل إلى «٤٢٣٦٠»، غير أن عملية جمع مفردات هذا العدد الوارد في آيات الإصحاح المذكورة أثبتتْ أن الرقم غير صحيح، فالنتيجة هي «٢٩٨١٨»، والطامَّة الكبرى أنه في سفر نحميا، الإصحاح «٧»، العدد «٦٦» نجد الرقم نفسَه الذي في سفر عزرا ؛ أي: «٤٢٣٦٠» إلَّا أن حاصل جمع الأعداد الواردة ليس هذا الرقم، وإنما «٣١٠٨٩»، فكيف فات من ألَّف الكتاب المقدَّس أن يضبط هذه العملية الحسابية؟!.

تضارب في الأعداد:

لو كان الكلام من الله فلن يخطئ في معرفة العدد الصحيح، سيذكره بحرفيَّته في كل موضع، إلَّا أن سفر عزرا، في الإصحاح «٢» العدد «٦٥» جاء أنَّ لهم من المغنِّين والمغنِّيات «٢٠٠»، أما عددهم في سفر نحميا، الإصحاح «٧»، العدد «٦٧» فكان «٢٤٥» مغنيًا ومغنية!! فأي الخبرين هو الصواب، وكيف اختلف بين السِّفْرَين؟!!.

ومنها ما جاء في سفر الملوك «٢»، الإصحاح «٢٤»، العدد «٨» أن «يهوياكين» كان ابن «١٨» سنة حين صار ملكًا، وملكَ ثلاثة أشهر في أورشليم، بينما اختلفت الأرقام في سفر أخبار الأيام «٢»، الإصحاح «٣٦»، العدد «٩» حيث قال إن «يهوياكين» كان ابن «٨» سنوات حين صار ملكًا، وملكَ ثلاثة أشهر وعشرة أيام في أورشليم.. والسؤال: ما العمر الحقيقي لـ«يهوياكين» عندما تسلَّم الحكم؟ أكان «١٨» سنة أم «٨» سنوات، وما مدة حكمه الصحيحة؟،

أهي «٣» أشهر أم «٣» أشهر و«١٠» أيام؟!.

ومنها أن هيكل سليمان -عليه السلام- ذا الحوض البرونزي يتَّسع لـ «٢٠٠٠» مغطس كما جاء في سفر الملوك «١»، الإصحاح «٧»، العدد «٢٦»، غير أن هذا الهيكل زاد في استيعابه ألفًا أخرى ليصبح «٣٠٠٠» مغطس في سفر أخبار الأيام «٢»، الإصحاح «٤»، الآية «٥».. والسؤال: ما العدد الحقيقي الذي يستوعبه هيكل سليمان؟، أهو «٢٠٠٠» أم «٣٠٠٠» مغطس.

ومنها أن «بَعْشا» هجم على بلد بعد وفاته بـ «١٠» أعوام، إذ ورد في سفر الملوك «١»، الإصحاح «١٥»، العدد «٣٣»، أن وفاة «بَعْشا» كانت في السنة الـ «٢٦» من حُكم «آسا»، لا غبار على ذلك.. إلَّا أن القارئ يُصدم عندما يقرأ في سفر أخبار الأيام «٢»، الإصحاح «١٦»، أن «بَعْشا» أغار على «يهوذا» في السنة الـ «٣٦» من حُكم «آسا»، فهل قام «بعشا» بعد موته بـ «١٠» سنين وأغار على «يهوذا»؟!!...

وبعد أن أنهى «د. ذاكر» تفصيله أراد أن يضيِّق الهوَّة أمام الدكتور كامبل بتذكيره بمواطن الأخطاء الواردة في الكتاب المقدَّس حتى تكون حاضرة أمامه فلا يحاول الهروب من أيٍّ منها؛ وهي:

١ - كان خلق الكون في «٦» أيام، لكن ما المقصود بـ «اليوم»، أهو «٢٤» ساعة أم المدة الطويلة؟.

٢ - خلق النور قبل خلق مصدره.

٣- إيجاد اليوم قبل إيجاد الأرض .

٤- خلق الأرض قبل الشمس.

٥- خلق الحياة النباتية قبل الشمس.

٦- نور القمر نابع منه.

٧- هل ستبيد الأرض أم ستظل موجودة إلى الأبد؟.

٨- للأرض أعمدة.

٩- للشمس أعمدة.

١٠- يخبرنا الله أنه بإمكاننا تناول كل النباتات حتى السامَّة.

١١- اختبار التكذيب الوارد في سفر مرقس، الإصحاح «١٦»، العددين «١٧-١٨».

١٢- تظل المرأة نجسة ضعف المدة إذا ولدت أنثى مقارنة بولادة الذكر.

١٣- استخدام الدم لتطهير المنزل من داء البرص أو الجُذام.

١٤- اختبار الماء المرِّ لكشف الزنا.

١٥- وجود «١٨» حالة تضارب في أقل من «٦٠» آية في سفر عزرا، الإصحاح «٢»، وسفر نحميا، الإصحاح «٧».

١٦- اختلاف المجموع النهائي في السِّفرَين السابقَين.

١٧- كم عدد المغنِّين والمغنِّيات؟ «٢٠٠» أم «٢٤٥»؟.

١٨- كم كان عمر «يهوياكين» عندما حكم؟ «١٨» سنة أم «٨» سنوات؟.

١٩- أكانت فترة حكم «يهوياكين» «٣» أشهر أم «٣» أشهر و«١٠» أيام؟

٢٠- أكان يتَّسع حوض «سليمان» لـ «٢٠٠٠» أم لـ «٣٠٠٠» مغطس؟.

٢١- كيف أمكن أن يُغِير «بعشا» بعد وفاته بـ «١٠» سنين على «يهوذا»؟.

٢٢- كيف يقول الله إنه وضع قوس الطيف في السماء كميثاق منه على عدم إغراق الأرض بطوفان؟.

ثم بين الدكتور ذاكر أن هذه النقاط الـ «٢٢» التي ذكرها هي من بين مئات الأخطاء، وهذا ما سمح له به الوقت، وكان على ثقة تامة أن الدكتور كامبل إذا ما اتَّبع الأسلوب العلمي المنطقي فلن يتمكن من الإجابة عن هذه النقاط.. وأردف أننا نتفق على أن الإنجيل كتابٌ سماويٌّ أنزله الله -تعالى- على نبيه عيسى -عليه السلام-، إلَّا أنه ليس هو هذا الإنجيل الذي بين أيدي المسيحيين اليوم، لأنه حُرِّف، قد يكون فيه شيء من كلام الله -تعالى- إلَّا أنه ضم كلامًا ليس لله قطعًا، ولا سيما المتعلِّق بالجانب العلمي المتعارض المتناقض.

وختم حديثه بقوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].. والحمد لله رب العالمين.

ومن ثَمَّ ففي فقرة الأسئلة في آخر المناظرة جاء سؤال للدكتور ذاكر إن كان هناك أخطاء وتناقضات أخرى في الكتاب المقدس، فأجاب إن الوقت لم يسمح له بسرد كلِّ الأخطاء ولو تركوه لبقي «٥» أيام دون أن يستوعبَها كاملة، وذكر بعض الأمثلة الأخرى من هذه التناقضات:

ورد في سفر الملوك «٢»، الإصحاح «٨»، العدد «٢٦»: «وكان أخزيا ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملكَ»، بينما ورد في سفر أخبار اليوم «٢»، الإصحاح «٢٢»،

العدد «٢»: «كان أَخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملكَ»، والسؤال: ما العمر الحقيقي لـ «أخزيا» عندما تسلَّم الحكم؟ «٢٢» أم «٤٢» عامًا؟.

ومنها ما ورد في سفر أخبار اليوم «٢»، الإصحاح «٢١»، العدد «٢٠» أن «يهورام» والد «أَخزيا» كان «ابن اثنتين وثلاثين سنة حين ملكَ، وملكَ ثماني سنين»، ومات وعمره «٤٠» سنة، وبعد موته مباشرة أصبح ابنه «أَخزيا» هو الملك، ويبلغ من العمر «٤٢» عامًا، فكيف مات الأب وعمره «٤٠» عامًا وبعد موته مباشرة كان عمر ابنه «٤٢» عامًا، فكيف يُعقل هذا؟ كيف يكون الابن أكبر من أبيه بعامين؟ هذا لا يحدث حتى في أفلام هوليوود، وكذلك لا يمكن أن يكون هذا من باب المعجزة، فهو أمر غير وارد، إذ من الممكن أن يولد شخص لأم عذراء، لكن لا يمكن بحالٍ من الأحوال أن يكون أكبر من أبيه.

ومن تناقضات الكتاب المقدَّس ما جاء في سفر صموئيل «٢»، الإصحاح «٢٤»، العدد «٩» عند الحديث عن المشاركين في إحدى المعارك، يقول: «فكان إسرائيل ثمانمئة رجل ذي بأس مستلّ السيف، ورجالُ يهوذا خمسمئة ألف رجل»، بينما اختلفتْ أعداد الجنود في سفر أخبار اليوم «١»، الإصحاح «٢١»، العدد «٥»، حيث يقول: «فكان كلُّ إسرائيل مليونًا ومئة ألف رجل مستلّي السيف، ويهوذا عشرة آلاف وأربعمئة وستين رجلًا مستلّي السيف».. تُرى أي الخبرين هو الصواب؟، أشارك من رجال إسرائيل «٨٠٠» ألف رجل أم «١١٠٠٠٠٠» رجل؟، وهل كان عدد جنود يهوذا «٥٠٠٠٠٠» رجل أم «١٠٤٦٠» رجلًا؟.

هذا تضارب واضح؟.

وكذلك ما ورد في الكتاب المقدَّس في سفر صموئيل «٢»، الإصحاح «٦»، العدد «٢٣»: «ولم يكن لميكال بنت شاول ولدٌ إلى يوم موتها»، إلَّا أنَّ «ميكال» هذه التي لم يكن لها ولد هنا حتى موتها صار لديها خمسة أبناء في سفر صموئيل «٢»، الإصحاح «٢١»، العدد «٨»، حيث يقول: «..وبني ميكال ابنة شاول الخمسة»، ونلحظ أن الكلام على المرأة ذاتها عندما ينصُّ على أنها ابنة شاول حتى لا يتبادر إلى الذهن أنها امرأة أخرى.

وفي الحديث عن نسب السيد المسيح -عليه السلام- جاء في إنجيل متَّى، الإصحاح «١»، العدد «١٦» أن والد يسوعَ يوسفُ وأبوه هو يعقوب، في حين ورد في سفر لوقا، الإصحاح «٣»، العدد «٢٣» أن والد يسوع يوسفُ وأبوه هو هالي.. فكيف يكون ليوسف والدان؟!، هالي أم يعقوب؟.

* * *

من كوكبٍ آخر...

وعلى الرغم من أن «د. ذاكر» قد لخص النقاط الـ«٢٢» التي أثارها أولًا حتى لا يتشتَّت الدكتور كامبل في أثناء الرد عليها إلَّا أنَّ الأجوبة على ما يبدو في كوكب آخر بعيدًا عنه، ولعلَّه إنْ أدلى بها زاد خصمُه غلبةً عليه، لأنَّه يكون كمن يزيد الطِّين بِلَّة، ويُحكم الخِناق حول رقبته بدل أن يكون هذا للخصم، لا لشيء إلَّا لأنه لا يملك أيَّ جواب على هذا... وكيف له ذلك وهي مغالطات علمية

منطقية، وعندما جاء دوره للحديث لم يُجب إلَّا على نقطتين فقط من هذه النقاط، وهرب في حديثه إلى أمور أخرى لا صلة لها بصُلب المحاضرة الذي يتحدث عن صلة القرآن الكريم والكتاب المقدَّس بالعلم الحديث... فعمد كامبل إلى الحديث عن نُبوءات الكتاب المقدَّس التي وقعت وتحقَّقت كما يقول، ولم يُجب إلَّا عن نقطتين فقط:

الأولى- المقصود بالأيام في الكتاب المقدَّس:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، أراد أن يرد فثبَّت في أذهان الحضور عجزه عن مجاراة الدكتور ذاكر عندما قال: إنَّ المقصود بالأيام هنا الفترة الزمنية الطويلة مثل القرآن، ولعلّه لم يكن يملك عِلمًا في هذا فاتَّجه مقلِّدًا القرآن في قوله ليكون أخفَّ الضَّررَين، إلَّا أنَّ الدكتور ذاكر كان له بالمرصاد عندما جاء دوره بالحديث وذكَّره بما قاله سابقًا من أنه إذا جعل الأيام فتراتٍ زمنيةً طويلةً كما يقول القرآن فيمكنه بهذا حلُّ مشكلتين فقط، مشكلة خلق الكون في «٦» أيام، ومشكلة أن النور في اليوم الأول والأرض في اليوم الثالث، بينما تبقى المشكلات الأربع الأخرى قائمة، وهذه مشكلة علمية كبيرة، وقد أقرَّ الدكتور كامبل بهذا، حيث قال إنَّ المقصود بالأيام الفترات الزمنية الطويلة.. غير أنه يعترف بوجود مشاكل في هذا، ولا يملك لها إجابات.

الثانية- الاختبار العلمي لتحديد المؤمن الحقيقي المسيحي:

أما النقطة الثانية التي ردَّ عليها الدكتور كامبل هي مسألة اختبار شرب السمِّ،

حيث ادَّعى أن أحد أصدقائه ويُدعى «هاري رادكليف» تناول طعام «الكُسكُس» المسموم في دولة المغرب، ولا يستطيع إحضاره إلى هنا لأنه توفي، وكان قد عاش في مدينة جنوب المغرب، وكان هناك شخصٌ على صلة به دعاه لتناول الغداء أو العشاء عنده، ودعا زوجته وابنه، وعندما وافق هاري على الدعوة أتى شخص وطرق الباب وقال له: ذلك الشخص يريد أن يسمِّمك، ثم ذهبوا، وكان مؤمنًا أنَّ المؤمن الحقيقي لا يتأثَّر بالسم، ولم يعتذر عن عدم الحضور لأنه قبل الدعوة مسبقًا، وكان قرَّر أن ينتظر اللحظة المناسبة عندما يخرج صاحب الدعوة ليقوم هاري ويدير طبق الكُسكُس، فلم يتمكن من ذلك، لذا فقد أكل، أما زوجته فقد كانت خائفة كثيرًا، فلم تتمكَّن من تناول الكثير، ولم يأكل ابنُهما لأنهما أطعماه قبل أن يذهبوا لتلبية الدعوة، لذا لم يأكل إلَّا هاري الذي شعر في تلك الليلة بألم في معدته، وحدث له بعض النزيف، لكنه عاش، وبعد يومين ذهب إلى صديقه وطرق عليه الباب، وعندما فتح له الرجل شحب وجهُه تمامًا، فشكره هاري على الوجبة..

وأما اختبار التحدث باللغات فقال الدكتور كامبل إنه بالطبع لا يمكنُني الحديث باللغات الهندية، وفي الحقيقة لا يمكنُني الحديث باللغات الهندية المنتشرة في أمريكا وليس التي في الهند، ولكن الموضع الذي يشير إليه الكتاب المقدَّس هو تحدُّث الحواريِّين بلغات جديدة كمعجزة، وكانت اللغات الجديدة معروفة للحاضرين، ولم تكن لغاتٍ ضعيفة أو غير معروفة، فإذا حضر شخص من إسبانيا كان أحد حواريِّي يسوع يحدِّثه بلغته الإسبانية، وإذا حضر شخص من

تركيا حدَّثه حواريٌّ آخر بلغته التركية.

ولما جاء دور «د. ذاكر» ما كان منه إلَّا أن يقلب الطاولة على الدكتور كامبل بأنَّ ما جاء في الكتاب المقدَّس في نسخة الملك «جيمس»، إضافة إلى النسخة الدولية الحديثة التي يعتمد عليها الدكتور كامبل هو أنَّ المنصوص عليه شُرب السمِّ وليس أكله، ومع ذلك لجأ الدكتور ذلك إلى منهج الموافقات، ولم يمانع حتى لو أكل السمَّ، ولكن تخيَّلوا.. رجل واحد في المغرب!! وهناك ما يقرب من مليار مسيحي في العالم!! ألا يمكن لأحدهم أن يتقدَّم؟! لا أحد من المليارين!! كنت أظن أن الدكتور كامبل مسيحي مؤمن حقيقي، لذا سألته هو أن يجتازَ الاختبار وليس صديقه هاري الذي توفِّي بالفعل، وقال إن الدم خرج من فمه...

أنا والدكتور كامبل -لكوننا طبيبين- نعرف جيدًا أنه عند تناول السمِّ يحدث النزيف، وقد عالجنا حالات كثير للتسمُّم، فما المذهل في ذلك؟!! وليس هذا هو الاختبار الحقيقي... الاختبار أن تتقدَّم وتقوم بكل هذا ومع ذلك تكون قادرًا على التحدث بلغات أجنبية، وقد ذكر الدكتور كامبل أن تلك اللغات الأجنبية كانوا يعرفونها في وقتها، ولعل الدكتور كامبل لا يعلم أن هنا هنودًا من بين الحضور، وبالتأكيد هناك منهم من يتحدث «الغجراتية» و«المراثية»، حتى أنا أعرفها، إذا ما سألتك بلغة أجنبية كـ«التاميلية» مثلًا، وقلت لك: «نيركود»، فلن أجد ردًّا، لأنها لغات أجنبية، هل هناك من يتحدث التاميلية؟ ما معنى «وِيْلِم»؟ فيرد شخص من الحضور: «ماء»، فيرد الدكتور ذاكر: نعم، جيد جدًّا، هل أنت مسيحي مؤمن؟ -يوجِّه سؤاله لأحد الأشخاص: هل أنت مسلم؟ على

كل حال فإن هذا الاختبار من المفترض أنه موجَّه للمسيحيين المؤمنين، وكثير من الحضور هنا يعرفون لغاتٍ أجنبية، كلُّ ما أطلبه هو أن تتحدَّث إليهم كأن تقول: «ما اسمُك؟»، «كيف حالك؟»، لم ألتقِ حتى الآن بأي مسيحيٍّ اجتاز الاختبار أمامي، لم ألتقِ بأيِّ أحد من بين آلاف الأشخاص الذين التقيتهم، والآن زادوا واحدًا بعد أن التقيت الدكتور كامبل.

* * *

وزاد في الطُّنبُورِ حَرَجًا....

لم يكن ينقص د. كامبل إلَّا أن يزداد حرجًا عندما جاءت فقرة الأسئلة التي يوجِّهها الجمهور للمتناظرَين حيث زاد عليه أحد السائلين المأزق صعوبة، وكسر آخر زجاجة ماء كان يمكن أن تنقذ الدكتور كامبل بسكوته في صحراء الضياع الجافَّة من نور العلم والمعرفة والهداية، فتقدَّم له بهذا السؤال:

- أودُّ أن أطرح هذا السؤال، أو بالأحرى الاختبار للدكتور كامبل، لم لا تخضع لاختبار التكذيب المذكور في إنجيل مرقس، الإصحاح «١٦»، العددين «١٧-١٨» وتثبت للجمهور الحاضر هنا أنك مسيحي مؤمن حقيقي؟.

ومن المستحيل بمكان أن يقوم الدكتور كامبل بشرب السمِّ المميت، فهو يعرف النتيجة تمامًا، إلَّا أنه أخذ يبحث عن مخرج للتهرُّب، فلم يوافق على هذا الطلب،

وعلل أنه لا يوافق على طريقة تفسير «د. ذاكر» للنص، وذلك أن عيسى -عليه السلام- نفسَه قد أغواه الشيطان عندما أخذه إلى قمة الهيكل، وقال له: «إن كنت ابنَ الله فاطرحْ نفسك إلى أسفل»، فردَّ عليه عيسى -عليه السلام-: «مكتوب أيضًا: لا تجرِّب الربَّ إلهَك»، فإذا أردت اليوم أن أقوم بمعجزة هنا أمامكم لكنت بذلك أجرِّب الرب، أما صديقي هاري رادكليف فكان قد وعد بالذهاب إلى المأدبة، وأصر على الوفاء بوعده، وسلَّم أمره للرب، لكن الأمر مختلف، ولن أجرِّب الرب.

وربما كان في اعتقاد الدكتور كامبل أنه بهذا الجواب غيرِ المقنع قد سكب الماء على النار كي تخمد وتنطفئ، وينجو بنفسه، إلَّا أنه اكتشف أن الذي ألقاه على النار لم يكن ماءً بل كان وَقودًا مما زاد اشتعالَها فيه أكثر، فجاءه الرد من «د. ذاكر» بأننا في مثل هذا لا نجرب الربَّ، إنما نحن نجرب البشر، نحن لا نتحدث عن تجربة الربِّ، فهذا الاختبار لتجربتكم أنتم، فالربُّ وعد أيَّ مؤمن صادق ألَّا يموت إن تناول سمًّا مميتًا، وأن يتمكن من التحدُّث بلغات جديدة، نحن لا نجرب الربَّ، لأننا نعلم أن ما قاله حقٌّ، وأنه سينفذ ما قاله، بل نحن نمتحنك أنت لنعرف إن كنت مسيحيًّا مؤمنًا أو لا.

وما إن انتهت عاصفة هذا الإخراج الكبير حتى هبَّت عليه عاصفة أخرى من أحد السائلين من الجمهور عندما سأله:

- د. كامبل، بما أنك طبيب، أيمكنك أن تشرح لنا بصورة علمية الجوانبَ الطبيةَ المختلفة الواردة في الكتاب المقدَّس؟ لأنك لم تردَّ عليها في

تعقيبك؛ مثل استخدام الدم في التطهير، واختبار الماء المُرِّ لاكتشاف الزنا، وأهم شيء نجاسة المرأة عندما تلد بنتًا تكون ضعف المدة مقارنةً بولادة الذكر.

وكما حصل مع د. كامبل في السؤال السابق لا بد أن يحصل هنا، لأن جميع هذه الأسئلة تخرُج من مِشْكاة واحدة، هي مِشْكاة الأغاليط والتحريف والتزوير، فكيف سيجيب عنها؟!، ومع كونِه طبيبًا وكون المناظرة تتحدث عن القرآن والكتاب المقدَّس في ضوء العلم إلَّا أن جوابَه لم يكن من منظور علمي مطلقًا، واكتفى بقوله: أؤمن أن الكتاب المقدَّس كلامُ الربِّ، وأن الربَّ وضع هذه العبارات في تلك المواضع، وليس لي أن أشرح ما قاله الربُّ، ولكن يكفيني إيماني بأن الربَّ وضعها في كتابه المقدَّس.

واستمرت الملاحقات للدكتور كامبل الذي يظن في كل مرة أن النزيف سيتوقَّف ويُغلق هذا الباب إلَّا أن الأمر كان يزداد سوءًا، فجاءه سؤال من الجمهور يقول:

- د. كامبل، إذا كنت لا تستطيع أن تجيب عن التناقضات الموجودة في سفر التكوين المتعلِّقة بالخَلق، أفلا تظنُّ أن ذلك يُثبت أن الكتاب المقدَّس كتابٌ غير علميٍّ، وبناءً على هذا هو ليس كلام الله؟.

ماذا سيقول الدكتور كامبل هذه المرة؟!!.. كعادته في الهروب من الجواب.. قال: أنا أعترف بأن لديَّ بعض المشاكل في هذا، لكن لديَّ كذلك كل النُّبوءات المتحقِّقة، وهذا مهم جدًّا لي، ويَسُوع هو حجر الزاوية، وهو بناء أساسُه الحواريُّون والمتنبِّئون، وقد تنبَّأ المتنبِّئون، ودوَّن الحواريُّون تحقُّق النُّبوءات كما

قدَّرها الربُّ... ولكي يحفظ ماء وجهه أمام السائل أردف كلامه بقوله: أعلم أن هذا لا يجيب عن سؤالك، لكنني أؤمن بالمسيح لأنه مخلِّصي.

وما إن انتهى من هذا المأزق الجديد الذي أجبره في نهاية كلامه على أن يعترف بأنه لا يملك أجوبة عن الأسئلة حتى جاءه سؤال آخر يقول:

- اتَّفق الدكتور كامبل مع «د. ذاكر» على أن الأخطاء التي وردت في الكتاب المقدَّس حقيقية، لكن ليس لها إجابة عنده، فهل هذا يعني أن الدكتور يوافق على أن الكتاب المقدَّس يضمُّ أخطاءً، وأنه بالتالي ليس كلام الله؟.

وكما فعل في المرات السابقة عمَد إليه هنا، وقال: إن ثمةَ أمورًا في الكتاب المقدَّس لا أستطيع أن أفسِّرها ولا جواب عندي عنها الآن، وأنا مستعد أن أنتظر إلى أن يأتي الجواب، هناك العديد من المواضيع في الكتاب المقدَّس التي ثبتت صحتُها بأدلَّة من علم الآثار كالتي تتحدث عن المدن والملوك وما إلى ذلك، وأعتقد أن ثمةَ دلائل كافية أن الكتاب المقدَّس يروي تاريخًا صحيحًا.

فالهروب من الجواب نفسُه نفسُه في كل مرة، ولو استمر سنين طوالًا فلن يصل إلى جواب، فالحقُّ أبلجُ واضح يراه من يريد أن يرى من بعيد، ولا يحتاج إلَّا أن يفتح عينيه ويُعمِل عقلَه، وهذا ما لا يتوافر عند الكثرة الكاثرة من غير المسلمين.

***

عندما لم يتمكن د. كامبل من الصمود في المواجهة علميًّا هرب إلى إثبات صحة الكتاب المقدَّس من خلال تحقُّق النُّبوءات التي جاءت فيه مبينًا أن هذا أكبر دليل على صِحته وصدقه، فذكر عشر نبوءات تحققت على أرض الواقع، منها:

نبوءة النبي إرميا: حيث قال عام «٦٠٠ ق.م» إن المسيح سيكون من نسل داوُد: «ها أيامٌ تأتي يقول الربُّ، وأُقيم لداوُد غصن بِرٍّ، فيملك مِلكٌ، وينجحُ ويُجري حقًّا وعدلًا في الأرض»، سيكون اسمه «يَهُوه».. وقد تحقَّقت النبوءة في الشهر السادس، فأرسل الربُّ جبريل إلى مريم، فقال لها الملاك: «لا تخافي يا مريم، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنًا، وتُسمِّينه «يسوع» هذا يكون عظيمًا وابن العليِّ يُدعى، ويعطيه الربُّ الإله كرسيَّ داوُد أبيه، ولا يكون لـمُلكه نهاية»، ثم قال لها الملاك: «الرُّوح القدُس يحلُّ عليكِ، وقوَّة العليِّ تظللُكِ، فلذلك أيضًا القدوس المولود منك يُدعى ابنَ الله»، في البداية كان داوُد من عائلة صغيرة، لكن بعد أن أصبح ملكًا واشتُهرت عائلته بدأ الجميع يتذكَّر قرابته به، ولو كان قريب المِلك من الجيل السادس...

نبوءة ولادة حاكمٍ خالدٍ في بيت لحم

حيث قال النبي «ميخا» عام «٧٥٠ ق.م»: « أما أنت يا بيت لحم أفراتَة، وأنتِ صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلِّطًا على

إسرائيل، ومخارِجُه منذ القديم منذ أيام الأزل».. وقد تحقَّقت النبوءة عندما كان يوسف ومريم يعيشان في الناصرة، وبعد أن صدر أمر قيصر أوغسطس اضطر يوسف إلى أخذ مريم إلى بيت لحم مسقط رأسه، وورد حول تحقُّق النبوءة: «فصعِد يوسف أيضًا من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داوُد التي تُدعى بيت لحم لكونه من بيت داوُد وعشيرته، وبينما هما هناك تمَّت أيامُها لتلِد، فولدت ابنها البكر»، ما احتمال أن يولد المرء في بيت لحم؟ وُلد نحو ملياري طفل في العالم من زمن «ميخا» حتى الآن، وعاش «٧» آلاف في بيت لحم؛ أي إن رجلًا واحدًا من كل «٢٨٠» ألف رجل وُلد في بيت لحم.

نبوءة رسول يمهِّد الطريق للمسيح

حيث وردت هذه النبوءة في سفر ملاخي، الإصحاح «٣»، العدد «١» وذلك عام «٤٠٠ ق.م»: «ها أنذا أُرسل ملاكي فيُهيِّئ الطريق أمامي، ويأتي بغتةً إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تُسَرُّون به هوَ ذا يأتي قال ربُّ الجنود».. وقد تحقَّقت هذه النبوءة، حيث رأى يوحنَّا المعمدان في اليوم التالي يسوعَ يقترب منه ويقول: «هو ذا حَمَلُ الله الذي يرفع خطيَّة العالم، هذا هو الذي قلتُ عنه يأتي بعدي رجلٌ صار قُدَّامي، لأنه كان قبلي»، والقرآن يؤكد ذلك في سورة آل عمران، الآيات [٣٩-٤٥]، كم قائدًا تعرف حضر قبله مصدِّقًا به؟ تصعب معرفة الجواب، لذا افترضتُ أن رجلًا من كل ألف قائد ظهر قبله مصدقًا به....

وهكذا ظل الدكتور كامبل يعدد باقي النبوءات التي لا تمتُّ إلى موضوع المناظرة في شيء.. ومع ذلك فقد أوقع نفسه في مأزق آخر أمام الدكتور «د. ذاكر» عندما رد عليه ردًّا مفحمًا بأنه لو كانت النبوءات هي المقياس لكن كتاب التنبُّؤات الذي وضعه «نوستراداموس» أعظم كتاب، ولوجب أن نعدَّه كلامَ الله، لكنه ليس كذلك.. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فيمكن إثبات خطأ هذه النبوءات، ولكن سأتبع أسلوب الاتِّفاق وأفترض صحَّتها لنتمكن من استكمال النقاش، ومنطقيًّا إذا كانت هناك نبوءة واحدة فقط لم تتحقَّق فإن هذا يثبت بطلان ادِّعاء أن الكتاب المقدَّس كلام الله، وذلك أنَّه إن كانت هذه النبوءات من الله فلا بدَّ من وقوعها جميعًا دون استثناء، وبالإمكان إعطاء لائحة طويلة من النبوءات التي لم تتحقَّق، فعلى سبيل المثال ما ورد في سفر التكوين، الإصحاح «٤» العدد «١٢» أن الربَّ قال لـ «قايِين»: «تائهًا وهاربًا تكون في الأرض»، وبعد آيات قليلة جاء في سفر التكوين، الإصحاح «٤»، العدد «١٧» أنَّ «قايين» كان يبني مدينة، فهذه نبوءة لم تتحقَّق.

وورد في سفر إرميا، الإصحاح «٣٦»، العدد «٣٠» عن ملك يهوذا «يهوياقيم»: «قال الربُّ عن يهوياقيم ملك يهوذا: لا يكونُ له جالسٌ على كرسيِّ داود، وتكون جثَّته مطروحة للحَر نهارًا وللبرد ليلًا»، إلَّا أنه بعدها في سفر الملوك «٢»، الإصحاح «٢٤»، العدد «٦» ورد: «ثم اضطجع يهوياقيم مع أبنائه، وملَكَ يهوياكين ابنُه عوضًا عنه»، وهذه أيضًا نبوءة لم تتحقَّق.

وكذلك ورد في سفر حزقيال، الإصحاح «٢٦» أنَّ نبوخذ نصَّر سيدمِّر مدينة صُور، لكننا نعرف أنَّ الإسكندر الأكبر هو من دمَّر مدينة صُور، فهذه نبوءة لم تتحقَّق.

وكذلك ورد في كتاب إشعياء، الإصحاح «٧»، العدد «١٤» أنَّ «أَمْلا»؛ أي: العذراء، تحبل وتلد ابنًا، وتدعوه عمَّانوئيل، ويقول المسيحيون إنها إشارة إلى يسوع –عليه السلام– ابن السيدة العذراء... إلَّا أنَّ كلمة «أملا» العبرية تعني «شابَّة» ولا تعني «عذراء»، أما كلمة «عذراء» بالعبرية فهي كلمة «بايتولا»، وهي غير واردة هنا، لكن نظرًا لأننا نستخدم أسلوب الاتفاق فسأوافقهم أنها عذراء، مذكور أن الطفل اسمه «عمَّانوئيل»، لكن لم يأتِ في الكتاب المقدَّس مطلقًا أنَّ اسم المسيح –عليه السلام– «عمَّانوئيل»، هذه نبوءة أخرى لم تتحقَّق.

ثم أردف الدكتور ذاكر أنه يستطيع أن يقدِّم الكثير أيضًا من النبوءات المذكورة في الكتاب المقدَّس ولم تتحقق، مع أنَّ ورود نبوءة واحدة غير محقَّقة يثبت أنَّ الكتاب المقدَّس ليس كلام الله.

***

علم الحيوان في الكتاب المقدَّس

بعد أن عجز الدكتور كامبل عن الـ«٢٢» نقطة التي أثارها «د. ذاكر» حيث لم يُجب إلَّا على اثنتين فقط، وقد ردَّ «د. ذاكر» ما قاله حول هاتين النقطتين فاجأه

بجملة من المغالطات في مجال علم الحيوان، حيث تناول ما ورد في الكتاب المقدَّس من الحيوانات ليبيِّن الأخطاء التي وقع بها في هذا المجال.

الأرنب مجترٌّ: حيث ورد في سفر اللاويين، الإصحاح «١١»، العدد «٦» أن الأرنب يجترُّ، وجميعنا يعلم أنه ليس من المجترَّات، إلَّا أنَّ الناس قديمًا ظنُّوه مجترًّا بسبب حركته، كما إنَّ معدته ليست مقسَّمة.

النملة: ورد في سفر الأمثال، الإصحاح «٦»، العدد «٧» أنَّ النملة ليس لها قائد أو عريف أو متسلِّط، إلَّا أننا اليوم أصبحنا نعرف أنَّ النملة حشرة معقَّدة تعيش وفق نظام معقَّد، به ملكة وحكام وجنود وعاملون، مما يعني أنَّ كلام الكتاب المقدَّس يتعارض مع العلم.

الأفعى تأكل التراب: هذا ما ورد في سفر التكوين، الإصحاح «٣»، العدد «١٤»: «على بطنك تسعين وترابًا تأكلين كلَّ أيام حياتك» وفي سفر إشعياء، الإصحاح «٦٥»، العدد «٢٥»: «أما الحيةُ فالترابُ طعامُها»، ولم يرد في أي كتاب جيولوجي أنَّ الحية تأكل التراب.

الحشرات ذوات الأرجل الأربع: جاء في سفر اللاويين، الإصحاح «١١»، العدد «٢٠»: «وكلُّ دبيب الطير الماشي على أربع فهو مكروهٌ لكم»، وقد ذكر بعض علماء الدين أن الخطأ يرجع إلى ترجمة الكلمة العبرية إلى «طير» في نسخة الملك جيمس، فالمقصود بها الحشرات أو الكائنات المجنَّحة، وقد صُحِّحت الترجمة في النسخة الدولية الحديثة لتصبح: «الكائنات ذات الأربع»، فتقول الآية: «وكل دبيب الطير الماشي على أربع؛ أي: الحشرات فهو مكروه لكم»، وأود أن أسأل

الدكتور ويليام كامبل: ما الحشرة التي لديها «٤» أرجل؟! لا يوجد أي طائر أو حشرة في العالم لها «٤» أرجل.

فرس وحيد القرن: لقد حوى الكتاب المقدَّس أسماء حيوانات أسطورية كما لو أنها حقيقة؛ مثل: الفرس وحيد القرن، فقد ورد في سفر إشعياء، الإصحاح «٣٤»، العدد «٧» حديث عن فرس وحيد القرن، وكأنه حيوانٌ حقيقي، ويذكر القاموس أن الفرس وحيد القرن حيوانٌ له جسم فرس وقَرن، ولا يوجد هذا إلَّا في الأساطير.

وبعد أن أنهى «د. ذاكر» كلامه توجَّه إلى الجمهور بكل لباقة، وقدَّم اعتذاره إن كان قد جرح مشاعر الحضور المسيحيِّين من غير قصد، وأوضح أنه في مَعرِض الردِّ على ادِّعاءات الدكتور كامبل، لا لأمر آخر، ثم ختم حديثه بقول الله -تعالى-: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

* * *

علم الفلك في القرآن الكريم

الانفجار الكبير

لقد أثبت علماء الفلك في العصر الحديث أن الكون قد خُلق وفق نظرية الانفجار الكبير، حيث كان الكون في الأصل غمامة أساسية واحدة، ثم تقسَّمت وانفصلت بانفجار كبير، فتكونت المجرَّات والنجوم والشمس والأرض، وهذا

المعلومة قد ذكرها القرآن منذ أكثر من «١٤٠٠» سنة في قول الله -تعالى-: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

حركة الشمس حول محورها

يقول د. ذاكر: عندما كنت في المدرسة تعلمت أن الشمس كانت ثابتة بالنسبة إلى الأرض، وأن القمر والأرض يدوران حول محورَيهما والشمس ثابتة، إلَّا أن الذي قرأته في القرآن الكريم قول الله -تعالى-: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، والآن والحمد لله أثبت العلم الحديث ما ذكره القرآن، فكلمة «يسبحون» التي تصف حركة جسد متحرِّك عندما تشير إلى جِرْم سماوي فإنها تعني أنه يدور حول محوره، ولذلك فإن ما يقوله القرآن الكريم هو أن الشمس والقمر يدوران في فلكَيهما وحول محورَيهما، ونحن نعرف اليوم أن الشمس تستغرق ما يقرب من «٢٥» يومًا لتكمل دورتها.

الكون في توسُّع مستمر

لقد بذل العالم الأمريكي «إدوين هابل» جهدًا كبيرًا حتى اكتشف أن الكون يتمدَّد ويتوسَّع، وبهذا يكون قد توصَّل لما قاله القرآن الكريم في قوله -تعالى-: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، فكلمة «مُوسِعون» تدلُّ على أن الكون يتَّسع ويتمدَّد.

لقد كان كلُّ مفسري القرآن الكريم يعرفون المياه المالحة والمياه العذبة، ولكنهم تساءلوا عن معنى البرزخ بينهما الذي لا يجعلهما يمتزجان في قوله -تعالى-: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩-٢٠]، فبعد تقدم علم المياه في أيامنا هذه اكتشفوا أنَّه إذا تدفَّق أحد نوعَي الماء إلى الآخر فإنه يفقد تكوينه وماهيته، ويتجانس ويتماهى مع النوع الثاني الذي تدفَّق إليه، فيكون البرزخ في منطقة التجانس هذه، وهو فاصل غير مرئي بين النوعين، وكثير من علماء العصر الحديث يؤيِّدون هذه الحقيقة، مثل عالم المحيطات «هاي».. وتماشيًا مع مبدأ التوافق الذي اعتمده الدكتور ذاكر فقد تماشى مع ادِّعاء الدكتور كامبل عندما قال إنه من السهل إدراك ظاهرة ملوحة المياه وعذوبتها، فقد كان الصيادون قديمًا يعلمون هذه الحقيقة، ويعلمون أن هناك مياهًا عذبة ومياهًا مالحة، فربما سافر النبي «محمد» في إحدى رحلاته الاستكشافية إلى «سوريا» عبر البحر أو تحدَّث إلى هؤلاء الصيادين، يقول الدكتور ذاكر: أتوافق معه أن اكتشاف نوعَي المياه أمر سهل، إلَّا أنه لم يكن أحدٌ يعرف أو يعلم بوجود فاصل غير مرئي بين النوعين إلَّا في الفترة الأخيرة، فالاكتشاف العلمي في الآية هو وجود «البرزخ»، وليس إدراك ملوحة المياه وعذوبتها.

***

لا شك أن اللغةَ العربي متَّكأٌ أساسي تركز عليه الدعوة إلى الله لما لهذه اللغة من خصوصية عظيمة خصَّها الله -تعالى- بها بسبب نزول القرآن الكريم بهذه اللغة نظرًا لما اختصها الله عن غيرها من ميزات هيأتها لتستوعب كلام الله ومعانيه، ولا بد لكلِّ داعية إلى الله أن يمتلك زمامها بشكل جيد حتى يتمكن من قيادة سفينته جيدًا فلا تتلاطمُها الأمواج وترمي بها أو تحرِف مسارها عن الطريق الصحيح، أو على الأقل تجعلها ترتجُّ قليلًا حتى مع أمهر قادة السفن، ومع الأسف فإن اثنين من أمهر الدعاة إلى الله -تعالى- وأكثرهم فاعلية وشهرة في العالم أجمع لم يتعلَّما هذه اللغة، وهما الشيخ «أحمد ديدات» -رحمه الله- وتلميذه الألمعيُّ «د. ذاكر»، ومن خلال تتبُّع مسيرتهما الدعوية لم يكن ينقصهما إلَّا تعلُّم هذه اللغة ليُغلقا عليهما بابًا من سهام الأعداء وليفتحا أبوابًا أخرى للدعوة إلى الله من خلال كُوَّتها النورانية، ولـمَّا لم يتيسَّر لهما ذلك فعلى الأقل لو استعانا بخبير لغوي أو أكثر على اختلاف مشاربهم ومآكلهم ليكون ذلك عونًا لهما في مواجهة الطعن في القرآن من هذا الباب، ولا يخفى على أحد مهارة الشيخين في التصدِّي لمثل هؤلاء، إلَّا أنه لو كان السلاح في اليد لكان التسديد سيُوقع الخصم بدلًا من أن تتصدَّى لضرباته.

ها هو أحد المجادلين يقف أمام «د. ذاكر» ويحمل بيده كتابًا مشبوهًا أَلَّفه القِسُّ «عبد الفادي»، وسمَّاه «هل القرآن معصوم؟»، وقد ضمَّنه مجموعة من الأغاليط

المتنوعة التي من بينها أخطاء لغوية -على حدِّ زعمه-، فيسأله:

- «دكتور ذاكر، قلت إنه لا يوجد خطأ واحد في القرآن، لكنني أرى أكثر من «٢٠» خطأً نحويًا باللغة العربية، وسأخبرك ببعضها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى..﴾ [المائدة: ٦٩]، وقال في سورة الحج: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى﴾ [الحج: ١٧]، وقد جعل السائل هذه الآية أيضًا من سورة البقرة، إلَّا أن هناك اختلافًا بينهما، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٢]، ولأن السائل كان يظنُّ نفسه قد وقع على مَطعَن لا يُردُّ فقد رفع صوته بالسؤال: أيهما أصحُّ: «الصابئون» أم «الصابئين»؟، هذا أولًا، أما ثانيًا فقد ورد في سوره طه، الآية: «٦٣»: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾، وهذا أيضًا خطأ، والصحيح: إنَّ هذين لساحران، أيمكنك أن تبرر ذلك؟، وأردف السائل أنَّ هناك أخطاءً أخرى لكنه اكتفى بهذا.

ومع أن ردَّ الدكتور ذاكر كان قويًا من جوانب إلَّا أنه كان سيكون أقوى لو كان يستند إلى خبير لغوي ليسدِّد أجوبته الخارقة إلى هؤلاء الأدعياء، كيف لا وهو يعلم بهذا المطاعن من قبل، وها هو يقول للسائل إنَّ الكتاب الذي تقرأ منه بعنوان: «هل القرآن معصوم؟» لمؤلفه عبد الفادي، الحمد لله مازال نظري جيدًا.. وقال له: سأردَّ على العشرين خطأ دفعةً واحدة لأنني قرأت الكتاب جيدًا، وكان جوابه أنَّ العرب عندما وضعوا قواعد اللغة الأولى استندوا إلى القرآن الكريم في وضع القواعد، لذلك فالقرآن أسبقُ من عملية التقعيد الذي كان القرآنُ أحد المصادر الأساسَ فيها، فكيف يكون في المصدر خطأٌ ومنه

أُخذت القاعدة، هذا لا يمكن، فالقرآن يمثل المستوى الأعلى من اللغة العربية، وعلماءُ النحو استقَوا قواعد اللغة منه، لأنها عملية تأصيل لغوي، وتحليل لهذه اللغة من حيث علاقة المفردات ببعضها البعض، ومن حيث التركيب اللغوي، ولذلك يستحيل أن تجد خطأً في القرآن.

غير أنَّه ما كان يَضِيرُه لو فنَّد تلك المزاعم واحدةً واحدةً، سيكون الإفحام أشدَّ مما كان، كيف لا وهناك بعض اللفتات في التعليل اللغوي كان يلجأ إليها الشيخ «أحمد ديدات» و«د. ذاكر» في بعض الأحيان، إلَّا أنَّ المسكوت عنه في هذه المسائل يعطي مادة دسمة وقوة في الحجَّة والإقناع أكثر من الإجابة العامة بمفردها.

***

مفهوم الإله في الديانات الرئيسية

إنَّه «الله» وليس «god»

يستغرب الكثيرون من كثرة غلبة إشارة المسلمين إلى «الرب» بقولهم «الله» أكثر من أي اسم أو وصف آخر، مع أنَّه ليس فرضًا ولا واجبًا عليهم، وذلك بنص قول الله -تعالى-: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، إذًا فيمكننا أن ندعو الإله العظيم الله -سبحانه وتعالى- بأي اسم، إلَّا أنَّه ليس كأيٍّ كائن آخر، فذلك بشرط أن يكون اسماً نقياً، يجب أن يكون اسماً صحيحاً، يجب أن يكون اسماً أطلقه هو على نفسه، وقد ورد في القرآن والحديث الصحيح ما لا يقل عن «٩٩» اسماً، مثل: «الرحمن، الرحيم، الكريم، الحكيم»، إلَّا أنَّ درة تاج هذه الأسماء هو لفظ الجلالة «الله»، والإشارة إلى أسماء الله الحسنى قد تكررت كثيرًا في القرآن، فهي لم ترد في سورة الإسراء فحَسْبُ، إنما تكررت أيضاً في [طه :٨]، و[الأعراف: ١٨٠]، و[الحشر: ٢٤].. إذًا فالأمر فيه سعة، فلماذا نفضل نحن المسلمين أن ندعو الله بالكلمة العربية «الله» على غيرها؟ وثمة أمر مهمٌّ آخر هو تفضيل هذا اللفظ الشريف على الكلمة الإنكليزية «god»، لا لشيء إلَّا لأنَّ الإسلام وضع محدِّدات دقيقة لاستعمال الكلمات والمصطلحات، إذ يمكن التلاعب بسهولة بكثير من الكلمات وتغيير معناها وحَرفُها عن مسارها، فعلى سبيل المثال إذا أضفنا الحرف «s» إلى كلمة

«god» الإنجليزية فإنَّها ستصبح «gods»؛ أي جمع كلمة «god» التي تقابل «آلهة»، «أرباب»، أما كلمة «الله» فلا تُجمع، وهذا ما جاء به قرآننا الكريم عندما قال -تعالى-: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١]، وإذا ما أضفنا «diss» إلى كلمة «god» فإنها تصبح «goddiss»؛ أي: إلهة «إله أنثى»، بينما في الإسلام ليس هناك تذكير أو تأنيث لكلمة «الله»، فليس لـ «الله» -سبحانه وتعالى- جنس، وإذا أضفنا كلمة «father» إلى «god» فإنها تصبح «godfather»؛ أي: «العَرَّاب»، إنه أبي الروحي، أو حارسي، وليست هناك كلمة مثل «الله أب»، أو «أبو الله» في الإسلام، وإذا أضفنا كلمة «mother» إلى «god» فإنها تصبح «godmother»، وليست هناك كلمة مثل «أم الله» أو «الله أم» في الإسلام، وغير هذا...

والذي يُفهم من هذا أنَّ هذا اللفظ كما جاء في كتب العربية أنَّه اسم عَلَم خاص على الذات الإلهية متفرِّد به عمَّا سواه، لذلك فاحترازًا من أن يُفهم غير المقصود أو أن يُشرك بالله بقصد أو من دون قصد فلفظ الجلالة هذا في اللغة العربية قاطع من حيث الدلالة.

ثم أردف د. ذاكر أنَّ معظم الكتب المقدَّسة الرئيسية هناك لفظ موازٍ لهذه الكلمة العربية، فإذا قرأنا كتب السِّيخ المقدسة فسنجد أن أحد الأسماء التي تطلق على الرب هو «الله»، وكذلك في كتاب مرقس، الإصحاح «١٥»، الآية «٣٤»، وفي كتاب متى، الإصحاح «٢٧»، الآية «٤٦»، حيث صاح المسيح -عليه السلام-

حين وضع على الصليب: «إِيْلايْ إِيْلايْ لِمَا شَبقْتَنِي»[1]؛ أي: إلهي إلهي لمَ تركتني؟.

هل تبدو هذه الجملة قريبة اللفظ من نظيرتها باللغة الإنكليزية؟ بالطبع لا، ولكن إذا ترجمناها إلى اللغة العربية فستصبح: «يا الله، يا الله، لم تركتني»، فالألفاظ متشابهة، وذلك أنَّ العِبرية والعربية لغتان شقيقتان، وإذا ما فتحنا قاموس «شوبهيل» لوجدنا أنَّها تُلفظ «الله»، ويظهر تمامًا التشابه اللفظي بين كلمتي «إيلاي» و«الله»، إذًا فكلمة «الله» مذكورة في الكتاب المقدَّس، وإذا ما أتينا إلى الكتب الهندوسية المقدَّسة لوجدناها فيها أيضًا، وإنَّنا نقرأ في «الفيداس»: «ثمة أوبانيشاد منفصل اسمه ألُّوه أوبانيشاد»[2]، ويظهر التشابه الكبير بين كلمتي «ألُّوه» و«الله»، إذًا فكلمة «الله» مذكورة في الكتب المقدسة الرئيسية في العالم، هذا هو الاسم الصحيح للإله الحقيقي.

***

إلة من البشر!

تنحرف أفكار بعض الناس وتأويلاتهم، فيذهب بهم الشيطان كل مذهب،

---

(١) الألف في «لِمَا» مثبتة في المصدر، وحقُّها الحذف لأنها استفهامية.

(٢) الأوبانيشاد: آخر جزء من كتب الهندوس المقدسة، وتعني «القُرْب من»، وقد صِيغ على شكل حوار بين معلِّم وتلميذ.

ويصور لهم ما يوسوس به في قلوبهم على أنه تعظيم للإله الخالق القادر على كل شيء، فتقودُهم نفوسُهم في تأويل قدرة الله المطلقة إلى انحرافات وضلالات فنسمعهم يقولون: «بما أنَّ الإله هو العظيم، وهو يعلم كلَّ شيء وله القدرة على كل شيء إذًا فهو يستطيع أن يفعل أيَّ شيء»، إلى هنا والكلام جميل صحيح، لكن الكارثة تكمن فيما يذهبون إليه من تعليل لهذه القدرة، فيقولون: «بما أن الإله يستطيع أن يفعل أيَّ شيء فلماذا لا يمكنه أن يصبح رجلاً»؟، يتَّهمون المسلمين بأنهم يقيِّدون قوى الإله، هكذا يسوِّل لهم الشيطان عبادة الأشخاص، ويصرِفهم عن عبادة الإله الحقيقي الذي هو الله الذي لا إله إلَّا هو...

يا لها من حجة واهية!.. كيف نستطيع نحن البشر أن نقيِّد قوى الإله؟!، وأيُّ إله هذا الذي يستطيع المخلوقات أن يقيِّدوه؟!!.

وهنا يلجأ «د. ذاكر» إلى أسلوب الموافقات، وبدأت خيوط حكمته تلتفُّ حول أولئك المنظِّرين الذين لا يقدرون على النظر ولا يستطيعونه، ويقول لهم لغرض النقاش: سأتفق معكم أنَّ الإله يمكنه أن يفعل أيَّ شيء وكلَّ شيء، وأنتم تقولون إنَّ الإله يمكن أن يصبح كائنًا بشريًّا، إذًا عليكم أن تدركوا أنه ما إنْ يصبح الإله كائناً بشرياً حتى يفقد ألوهيَّته!، لا يمكنك أن تقول إنه يوجد إله بشري، فإذا قلت إنه يوجد إله بشري والإله أصبح بشريًّا ولديه قوى الإله، فذلك لا يكون منطقياً، والسبب لأنه إذا أتينا إلى تعريف الإله وتعريف الكائن البشري من خلال بعض الخصائص فإنَّ الإله خالد، والكائن البشري فانٍ، وبهذا يمكنك أن تحصل إما على شخص خالد أو على شخص فانٍ، ولا يمكنك

الحصول على شخص خالد وفانٍ في الوقت نفسه، فهذا بلا معنى، وليس منطقياً، وذلك لأنَّ الإله العظيم ليس له بداية، بينما للكائنات البشرية بداية، لا يمكنك الحصول على شخص ليس له بداية وله بداية في الوقت نفسِه، فهذا بلا معنى، وليس منطقيًّا، والإله العظيم ليس له نهاية، بينما للكائنات البشرية نهاية، لا يمكنك الحصول على شخص ليس له نهاية وله نهاية في الوقت نفسه، فهذا بلا معنى، وليس منطقيًّا..

هذا مثل أن تقول: «رأيت رجلًا طويلًا قصيرًا»، فإمَّا هو رجل طويل أو رجل قصير، ولا يمكنك أن تستخدم مصطلح «طويل قصير»، إما أن تقول: «رجل طويل» أو «رجل قصير» أو «رجل متوسط»، ولا يمكنك الحصول على رجل طويل قصير ، أو رجل سمين نحيف، وعلى نحو مشابه لا يمكنك الحصول على إله بشري.

فعلى سبيل المثال، الإله العظيم ليس بحاجة أن يأكل، بينما الكائنات البشرية بحاجة أن يأكلوا، والقرآن الكريم يقول: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]، نحن البشر بحاجة للراحة والنوم، أمَّا الإله العظيم فليس بحاجة للراحة والنوم، والقرآن الكريم يقول: ﴿اللهُ لَا إِله إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ووفقًا لأسلوب الموافقات فعلى هؤلاء الذين اتَّهموا المسلمين بتقييد قوى الله أن يقِرُّوا وفق معتقدهم أن الإله يمكنه فعل أيِّ شيء وكلِّ شيء أنْ لا ينكروا أنَّ الإله قادر على الكذب، أليست تلك من صفات البشر؟!، ولكن قول الكذب صفة غير إلهية، ليست من صفات

الإله الحقيقي، لأنَّ الإله سيفقد ألوهيته في اللحظة التي يكذب فيها، وبشكل مشابه، إذا قلت إنَّ الإله العظيم أصبح كائناً بشرياً، لكنني ألْفِت انتباهك إلى أنه سيفقد قوى الإله، وإذا فقد قوى الإله فما فائدة عبادة هذا البشري الذي أصبح مثلي ومثلك؟!.

وبالمقابل عندما يقولون إن هذا البشري أصبح إلهاً، إذا استطاع كائن بشري أن يصبح إلهاً إذًا فأنا وأنت أيضاً يمكننا أن نصبح إلهين غداً!.

ثم ينتقل «د. ذاكر» إلى التطبيق العملي لفرضية الموافقات المتمثلة بالموافقة افتراضًا على أن يكون الإله بشرًا كحالة المسيح -عليه السلام- فيتقدم بالسؤال: إن كان الإله قد أصبح بشريًّا فمن كان يتحكَّم بالكون لأكثر من «٣٠» عاماً ؟، إذا اتفقت مع المسيحيين أن الإله قد أصبح بشراً فمن تحكَّم بالكون في هذه الثلاثين عاماً؟، وإذا اتفقنا على فكرة أن الإله يستطيع فعل أيِّ شيء وكلِّ شيء فالإله قادر على الظلم أيضاً، لكن الظلم صفة غير إلهية، والله -تعالى- يقول: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، في اللحظة التي يمارس الإله فيها الظلم فإنه سيفقد ألوهيَّته.. إذا اتفقنا على فكرة أن الإله يستطيع فعل أيِّ شيء وكلِّ شيء فإن الإله يمكنه أيضاً أن ينسى، لكن النسيان صفة غير إلهية، يقول الله -تعالى-: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]، في اللحظة التي ينسى الإله فيها سيفقد ألوهيَّته.. وبالحُجة نفسها فإن الإله يمكنه أيضاً أن يرتكب الخطأ، لكن ارتكاب الأخطاء هو صفة غير إلهية، والله -تعالى- يقول: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ [طه: ٥٢]، في اللحظة التي يُخطئ الإله فيها فإنه سيفقد ألوهيته...

وأمَّا في القرآن الكريم فإنَّه لا يوجد موضع واحد يقول إنَّ الإله يمكنه فعل أيِّ شيء وكلِّ شيء، ماذا يقول القرآن؟، يقول في مواضع عدة: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، [البقرة: ٢٠]، [البقرة: ١٠٩]، [البقرة: ١٤٨]، [آل عمران: ١٦٥]، [النحل: ٧٧]، [النور: ٤٥]، [العنكبوت: ٢٠]، [النور: ١]، كما جاء ما يشبهها في العديد من المواضع.

وأما الإجابة الحقيقية عن هذا الادِّعاء فهي قوله –تعالى-: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، فالله يفعل ما يريد فعله، وبما يليق بالحضرة الإلهية والذات العليَّة، فالله لن يريد أن يقوم بأشياء غير إلهية مثل قول كذبة، أو ارتكاب خطأ، أو أن يصبح كائناً بشريًّا، لكنَّ الذهاب إلى أنَّ الإله يستطيع فعل أيِّ شيء وكلِّ شيء، فهذا غير منطقي، وإنَّ ما جاء به محرِّفو الديانات من ادِّعاءات كاذبة مضلِّلة لا يعني أنَّ الإله يمكن أن يختار أن يكون بشرًا، وهنا تأتي الإجابة عن سؤال مفادُه أنَّ كل الأديان الرئيسة الأخرى في العالم تؤمن بأن الإله العظيم أصبح بشراً مرة أو عددًا من المرات، لكننا –يقول د. ذاكر- إذا حلَّلنا قضية أنَّ كل الأديان الرئيسة في العالم عدا الإسلام تؤمن بأن الإله العظيم أصبح بشراً مرة أو عددًا من المرات، ويؤمنون بفلسفة تُدعى: «التجسيم» الذي يعني أنَّ الإله العظيم يأخذ أشكالًا ويصبح كائنًا بشريًّا، وعندما نسألهم أنه لماذا يجب على الإله العظيم أن يصبح كائنًا بشريًا؟ فيقولون إنَّ الإله العظيم مقدَّس جدًّا ونقيٌّ جدًّا ونبيل جدًّا، هو لا يعرف عيوب الكائنات البشرية، هو لا يعرف بماذا يشعر الإنسان عندما يتألَّم، عندما يكون غاضبًا، عندما يحتاج أمورًا معينة، هو لا يعلم حاجات

الكائن البشري، وبماذا يشعر... إلى آخره من هذه الافتراءات، لهذا السبب جاء الإله العظيم إلى هذا العالم وأصبح كائنًا بشريًا ليعلم ما هو الجيِّد وما هو السيِّئ للكائنات البشرية.

قد يبدو هذا ظاهرياً منطقيًّا جيدًا جدًّا، فالإله العظيم مقدَّس جدًّا ونقيٌّ جدًّا ونبيل جدًّا، وأما عن قولهم: لا يعرف عيوب الكائنات البشرية، ولا يعرف بماذا يشعر الإنسان عندما يتألَّم وعندما يواجه مشاكل فأقول لهم: افترضوا أنه حدث وصنعتُ مشغِّل أقراص مضغوطة، أنا خلقتُ مشغل أقراص مضغوطة، ولأنني صانع لمشغل أقراص مضغوطة فهل عليَّ أن أصبح مشغل أقراص مضغوطة لأعلم ما الجيِّد وما السيِّئ لهذا المشغِّل؟ لأنني الصانع والخالق ليس عليَّ أن أصبح مشغل الأقراص، ماذا أفعل إذًا؟.. أكتب كتيِّبًا فيه تعليمات التشغيل، مثل: إن أردتَ تشغيل القرص المضغوط فأدخِل القرص واضغطْ زر العرض، وإذا أردت أن تتخطَّى فاضغط زر التخطِّي، وإذا أردت أن تتوقَّف فاضغط زر التوقُّف.. لكنْ ليس عليَّ مطلقًا أن أصبح مشغِّل الأقراص المضغوطة حتى أعرف ما الجيِّد وما السيِّئ لهذا المشغِّل.. لأنني أنا الصانع.. وبشكل مشابه فالإله العظيم هو خالق الكائنات البشرية، إذًا فليس عليه أن يصبح كائنًا بشريًّا حتى يعلم الجيِّد والسيِّئ للبشر، فماذا يفعل إذًا؟.. إنه يختار رجلًا من بين البشر، ينقل تعليمات الإله العظيم للبشر، هذا الرجل هو الذي نسمِّيه «الرسول»، إنه هو الذي يبلِّغ رسالة الإله إلى البشر، والإله ليس عليه أن يأتي بنفسه، وكانت هناك رسالات عِدَّة، والرسالة الأخيرة كانت رسالة الإسلام، وكان كتاب التعليمات

الأخير للكائنات البشرية هو «القرآن الكـريم»، إذًا فـإنَّ فلسـفة التجسـيم التـي اعتنقوها هي السبب الذي جعلهم يعتقدون أنَّ الإله العظيم أصبح كائنًا بشـريًّا، وهي فلسفة خاطئة منحرفة لا أصلَ لها من الصحة.

واستمرارًا في إلصاق صفات لا تليـق بالحضـرة الإلهيـة فإننـا نجـد كثـيرًا مـن الديانات التي انحرفت عن جادة الإيمان إن كانت سماوية، وغيرها من الديانات الوضعية التي وضعها البشر تدأب على تقديم الطعام للآلهة، فتتقدَّم السائلة مـن د. ذاكر بسؤاله عن قبول المسلمين لـ «البراسـاد» وهـو الطعـام الـذي يقدمونـه لآلهتهم، لا شك أنَّه طعام لا يُبتغى به وجه الله، وهو مدفوع إلى الأصنام بشـكل أو بآخر، وقد جاء تحريم هذا النوع من الطعـام في أكثـر مـن موضـع في القـرآن الكريم، لأنَّه طعام ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ [المائـدة: ٣]، [الأنعـام: ١٣٥]، [النحـل: ١١٥]، وفي موضع آخر: ﴿أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، إذاً فكـل طعـام يُـذكر عليـه اسمٌ غير اسم الله فهو حرام على المسلمين.

إلَّا أنَّ إزالة الإبهام والغموض لم يقف عند خط الدفاع، بـل تعـدَّاه إلى الخطـوط الأمامية حيث بيَّن أنَّ في كتب الهندوس أنفسِهم ولا سيما «الفيداس» مـذكور أنَّ «الربَّ لا صورة له»؛ أي: لا يأخذ أي شكل من الأشكال سواءٌ أكانـت صـورة أو صنمًا أو تمثالًا أو رسمًا، حتى تقديم الطعام للصنم محرَّم في «الفيداس» لأنَّه من الخطأ اقتراف ذلك.

وربَّما ظنَّ من ظنَّ أنَّ الفرصة مواتية ليسدِّد سهمه، فيأتي السؤال أنَّه في «السِّـند»

لا يوجد في «غورو دوارا»[١] أية أصنام، ومازال الـ «براساد» يُقدَّم في «غورو دوارا»، إذًا فالطعام لا يُقدَّم للأصنام، ولكنَّ «د. ذاكر» مع هذا لا يقبلها لأنه مسلم، فكيف يكون ذلك؟، أليست الحُجة التي من أجلها حرَّم الإسلام هذا الطعام منتفية هنا وغير موجودة؟ فلماذا يصرُّ المسلمون على تحريم هذا الطعام؟!

لكنَّ شخصًا درس كتبهم كلَّها لن يكون عاجزًا عن الردِّ بكلمات تخترق الحواجز والحُجُب، كيف لا وهو الموسوعيُّ الذي لم يترك شاردة ولا واردة عندهم إلَّا وقلَّبها تمحيصًا وتدقيقًا، ولم يفُتْه أن يدرس الـ «غورو غرانث»، وحتى كتب السيخ المقدَّسة كـ «الأدي غرانث» فإنَّها تتحدث عن وحدانية الرب، وتحظر وجود أصنام أو صور لله، هناك أسماء عديدة له مثل: «الرحيم» و«الكريم» وغير هذا، لكن المؤسف أنك حين تذهب إلى «غورو دوارا» وعلى الرغم من أن السِّيخ لا يؤمنون بصنع صور للرب إلَّا أنهم يعبدون الـ «غرانث» بصفته المرشد لهم، وحين يقدِّمون الطعام له فكأنهم يقدِّمونه للأصنام بطريقة غير مباشرة، مع أن كتبهم المقدَّسة تحرِّم عبادة الأصنام إلَّا أنهم يقدمون الطعام بشكل غير مباشر، وحتى الـ «غورو غرانث» يقول: «إن الرب لا يحتاج إلى تناول الطعام»

---

(١) وتعني المَدخل إلى المعلم، وهو مكان عبادة السِّيخ، وهو مفتوح لجميع الناس من جميع الديانات، وله أقسام؛ منها: القاعة الرئيسية والتي تسمى «داربار صاحب»، حيث تضمُّ النَّص المقدَّس للديانة السيخية، والنَّص المقدَّس يتم وضعه في «غورو غرانث»، أو على العرش في مكانة مركزية بارزة، وكثيرًا ما يتم الطبخ في «الغورو دوارا» حيث يقدم للناس الطعام مجانًا، وقد يضمُّ «الغورو دوارا» في بعض الأحيان مكتبة، وروضة أطفال، وفصولًا دراسية تعليمية، وأكبر «غورو دوارا» هو الهيكل الذهبي أو معبد «هارماندير صاحب» الذي يقع في مدينة «أمريتسار» في ولاية البنجاب في الهند

فلماذا تقدمون الطعام له؟!، إذًا فأنتم لا تتَّبعون كتبكم، لا تتَّبعون ما جاء في الـ «الآدي غرانث» الذي يقول: إن الرب لا يحتاج إلى طعام ليبقى حياً، إذًا فلمَ تقدمون الطعام للرب؟، يقول القرآن: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]، هو الذي يرزق جميع الكائنات، ولا يحتاج إلى طعام.

إنَّه الله الواحد الذي لا يتمثل في شيء، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وإنَّ تسمية الإله في الديانات الأخرى بعيدة كل البُعد عن مفهوم الإله في الدِّين الإسلامي، فليس ما يدعوه الهندوس «براهما» هو الله -تعالى عما يصفون-، ولذا فلن يحصلوا على الخلاص الذي يدَّعونه، لأنَّك إذا قرأت الكتب المقدسة الهندوسية في «ريجفيدا»، الكتاب «٢»، ترنيمة «١»، الآية «٣» فإنَّ واحدة من الصفات المعطاة للإله هي «براهما» التي تعني «الخالق» في اللغة العربية، وهذا لا غبار عليه، لأنَّ المسلمين يؤمنون أنَّ الله هو الخالق، أمَّا تصوير الـ «براهما» بأنَّ لديه أربعة رؤوس، وعلى كل رأس يوجد تاج فنحن المسلمين نعترض بشدَّة على ذلك، فالله ليس كذلك، وأمَّا بالنسبة لكم فإنَّكم بذلك تخالفون «سفيتاسفاتارا أوبانيشاد»، الجزء «٤»، الآية «١٩» حيث وردَ: «لذلك الإله لا يوجد براتيما»، و«براتيما» في اللغة السنسكريتية تعني: صورة، أو رَسْمة، أو منحوتة، أو تمثالًا أو صنمًا، و يقول «الفيداس ياجورفيدا»، الجزء «٣٢»، العدد «٣»: «لذلك الإلهِ لا صورةَ ولا مثيلَ ولا رسمَ ولا تصويرَ ولا منحوتَ ولا تمثالَ»، إنَّه في اللحظة التي يُعطى الإله فيها صورة أو أيَّ مفهوم مشابه فهذا يعني أنه ليس الإله الصحيح، إنَّ كتب «الفيدا» تنص على أن المرء يجب أن يؤمن بربٍّ واحد، وهذا

مذكور في «أوبانيشاد تشاندوغيا»، الباب «٦»، الجزء «٢»، الآية «١»: «الإله وحدَه لا شريك له»، ومذكور في «الياجورفيدا»، الباب «٣٢»، الآية«٣»، لذلك وطبقاً لكتب الفيدا فالإله ليس له براثيما، ليست هناك صورة أو تمثال أو صنم أو نحت أو أيُّ مفهوم آخر من هذا القبيل.. هذا حال من انحرف مفهوم الإله لديه وعبدَ شيئًا من الكائنات أو أشركَ بالله معبودًا آخر، فكيف حال من لا يؤمن بوجود الإله من أصله؟!.

***

جسرٌ مع الملحدين

في الحقيقة إنَّ هذا الصِّنف من الناس هو المفضل لدى «د. ذاكر» على غيره من غير المسلمين، وثمَّة «٨» قواعد للتعامل معهم:

أولًا- تهنئة الملحد:

لا بدَّ من إلقاء التحية وتقديم التهنئة لهذا الملحد، وذلك لأن بعض المؤمنين بالله يؤمنون إيماناً أعمى، فعلى سبيل المثال فإن كان الشخص مسيحياً فهو مؤمن بالمسيحية لأن أباه كذلك، و إن كان هندوسياً فذلك لأن أباه هندوسيٌّ، أكثر الناس يتَّبعون ديانات آبائهم بإيمان أعمى، وعلى العكس، فإن الملحد حتى إن كان منتمياً لعائلة مؤمنة بالأديان فإنه يستخدم عقله ليرفض وجود إله؛ مهما

كانت الصفات والمفاهيم التي تعلَّمها عن الإله في دينه السابق ربما لا تبدو له منطقية، وقبل أنْ تتوجَّه سهام النقد إلى «د. ذاكر» بسبب تهنئته للملحد فإنَّه يبرر ذلك أنَّ التهنئة لأنَّ هذا الملحد يوافق على الجزء الأول من لفظ الشهادة، وهي قوله: «لا إله»، لذلك فإنه قد خفَّف بذلك نصف الـمَهمة، وهي إزالة قناعته عن أنَّ الإله الذي يعبده إله غير صحيح، وتصحيح المفهوم الخاطئ عن الإله، فلا ينقصه الآن إلَّا النصف الثاني من الشهادة، وهو عبارة «إلَّا الله»، فيكون بهذا قد اختصر نصف الطريق

ثانياً- المفهوم المنطقي لله:

السؤال الأول للملحد هو: «ما تعريف الإله؟»، لكي يقول أحدهم إنه «لا إله» فإنه يجب أن يعرف معنى الإله، فمثلًا، إن كنتُ أحمل كتاباً وقلت: «إنه قلم» فإن قال أحدهم لي: «لا، هذا ليس قلمًا» فلا بد أنه يعرف ما تعريف القلم، حتى إن كان لا يستطيع معرفة الشيء الذي أحمله بيدي، حتى يقول إنه ليس قلماً فعلى الأقل لابد أن يعرف معنى كلمة «قلم». والأمر نفسه ينطبق على هذا الملحد الذي يقول: «لا إله»، فعلى الأقل يجب أن يعرف مفهوم الإله، ولا شك فإنَّ مفهومه عن الإله سيكون مأخوذاً مما يحيط به من أشياء حسب رأيه، «الإله الذي يعبده الكثير من الناس له صفات بشرية»، ولهذا السبب فهو لا يؤمن بهذا الإله، وبالمثل، فإنَّ المسلم أيضًا لا يؤمن بتلك الآلهة المزعومة أو الخاطئة.

ولا بدَّ أنَّ هذا الملحد يحمل أفكارًا سلبية عن الأديان عمومًا، وبسبب وسائل

الإعلام فربما حمل مشاعر سلبية على الإسلام خاصة، وهنا يأتي دور الداعية الحقيقي في توضيح معنى الإله الحقيقي، ثم إظهار الوجه الحقيقي للإسلام أيضًا من أنَّه دِين الرحمة والعدل والمساواة، ودِين العلم والعقل والمنطق، وهذا ما دأبَ عليه «د. ذاكر» في جميع محاضراته، واستطاع أن يستقطب الكثير من غير المسلمين إلى الإسلام.

ثالثاً- القرآن و العلم الحديث:

هناك الكثير من الأدلة التي تكون كافية للبعض الذي عنده أرضية جيدة خصبة لاستقبال بذور الدعوة لتبرهن على وجود الله، ولكن هناك فئة أرضُها قاحلة لا تقتنع إلَّا بدليل علمي قاطع، وهذا من حقِّه، ولا سيما أنَّ هذا العصر هو عصر التقدم والتطور والتكنولوجيا، يقول د. ذاكر: إذًا دعونا نلجأ للعلوم، لكي نضرب عصفورين بحجر واحد، بمعنى أن نثبت وجود الله و حينئذ نثبت أن القرآن هو وحي من عند الله.

إذا عُرضت على ملحدٍ إحدى الآلات المعقدة أو مادة جديدة لم يرها أحد من قبلُ ولم يسمع بها أحد، و سُئل الملحد: «من أول شخص يمكنه أن يعطينا تفاصيل ميكانيكية عن هذا الشيء المجهول؟»، سيجيب الملحد بعد وقت قصير: «إنه الصانع»؛ وبعضهم سيجيب: «المُنتِج»، «المُصَنِّع».. أو شيئًا من هذا القبيل، فكل الكلمات تشير إلى المعنى نفسِه، والآن إذا نظرنا إلى هذا الكون بما فيه من دقَّة في الصنع والإحكام في النظام، وكل ذلك مثبت علميًّا، بل إنَّ نظام

الحركة في المجموعة الشمسية القريبة منا أعقد وأدقُّ وأحكمُ من أيٍّ جهاز صنعه البشر، فإن تعاملنا معه على أنه نظام، فمن صنع هـذا النظـام؟ مـن أنتجـه؟ مـن برمجه ليسير دون خلل؟.

رابعاً- الحقائق العلمية المذكورة في القرآن:

هناك حقائق علمية كثيرة جاءت في القرآن الكريم، وقد عقد «د. ذاكر» عن هـذا الموضوع محاضرة كاملة بعنوان: «القرآن والعلم الحديث، متوافقان أم لا؟»، كـما أنَّه ذكر الكثير من الحقائق في مناظرته مع د. ويليام كامبل[1].

خامساً- نظرية الاحتمالية:

هنا أظهر «د. ذاكر» براعته في العلوم العقلية وبيَّن أنَّه في الرياضيات توجد نظرية تسمى نظرية الاحتمال، بمعنى أنك في حـال لـديك خيـاران «أحـدهما صـواب والآخر خاطئ» فإن الفـرص التـي لـديك في اختيـار الإجابـة الصـحيحة هـي النصف فقط، حيث إنَّ أحد الخيارين صحيح، لـذا فـاحتمال أن تكـون الإجابـة صحيحة هي «٥٠٪»، والأمر نفسه ينطبق على القُرعـة «بالعملـة المعدنيـة» فـإن نسبة تخمينك للإجابة الصحيحة هي «٥٠٪»، إذاً، إذا اقترعتَ مرة أخـرى فـإن نسبة تخمينك للإجابة الصحيحة تكون «٥٠٪» أيضًا؛ أي إنها تعـادل النصـف.. لكن نسبة صحة تخمينك في المرتين «رمي القطعة المعدنية مرتين» تكـون «١ / ٢»

(١) انظر ص٥١.

ضرب «١/ ٢» التي تعادل «١/ ٤»، إذًا، فإن «٥٠٪» للمرة الأولى والـ «٥٠٪» للمرة الثانية تعادل «٢٥٪» كمجموع كُلِّي للمرتين.. وإذا اقترعتَ بالعملة مرة ثالثة فإن نسبة تخمينك تتضاعف ثلاث مرات، وتكون «١/ ٢» ضرب «١/ ٢» ضرب «١/ ٢» فتصبح النتيجة «١/ ٨»، أو «٥٠٪» ضرب «٥٠٪» ضرب «٥٠٪» فتكون النتيجة «١٢.٥٪».

وأيضًا لِلنَّرْد ستة أوجه، فإذا ألقينا حجر النَّرد وخمَّنَّا الرقم الذي سيظهر فإن احتمال أنْ تكون الإجابة صحيحة «١» من أصل «٦»، وتكون نسبة صحة الإجابة هي السُّدُس؛ وإذا ألقينا حجر النَّرْد مرة أخرى فإن نسبة صحة تخمينك في المرتين تعادل «١/ ٦» ضرب «١/ ٦» التي تعادل «١/ ٣٦»، فإذا رمينا حجر النَّرْد لمرة ثالثة فإن مجمل نسبة صحة التخمين تكون «١/ ٦» ضرب «١/ ٦» ضرب «١/ ٦» التي تعادل «١/ ٢١٦» وهي أقل من «٠.٥٪».

وبعد أنِ استعرض «د. ذاكر» تلك العمليات الحسابية لجأ إلى تطبيقها على القرآن الكريم قائلًا: لنفترض أن شخصاً قد خمّن أن كل المعلومات المذكورة في القرآن لم تكن تُعرف آنذاك، دعونا نناقش احتمالية أن كلَّ التخمينات صحيحة في وقت واحد، فعندما نزل القرآن كان الناس يظنون أن الأرض مسطحة، هناك احتمالات كثيرة حول شكل الأرض، فلماذا لا تكون مثلثة، أو مكعَّبة، أو خماسية، أو سداسية، أو سباعية، أو مثمَّنة، أو كُروية... إلخ.

فلنفترض أن الاحتمالات حول شكل الأرض كانت ثلاثين احتمالًا، فإن القرآن الكريم نصّ على أن الأرض كروية بوضوح، فإن كان ذلك تخمينًا لكانت نسبة

صحة التخمين هي «١» من أصل «٣٠».

ماذا عن ضوء القمر؟ قد يكون الضوء منبعثًا من القمر أو انعكاسًا لضوء الشمس، لكن القرآن أوضح أنه انعكاسٌ لنور الشمس، فإن كان ذلك تخمينًا فإن نسبة صحة التخمين تكون «١/ ٢»، واحتمالية صحة الإجابتين «ضوء القمر وكُروية الارض» تكون «١/ ٣٠» ضرب «١/ ٢» تساوي «١/ ٦٠».

بالإضافة إلى ذلك فقد ذكر القرآن أنَّ كلَّ شيء حيٍّ مكون من ماء، كل شيء حي يحتمل أن يكون مكوناً من الخشب، أو الحجر، أو النحاس، أو الألومنيوم، أو الحديد، أو الذهب، أو الأوكسجين أو النيتروجين، أو الهيدروجين، أو الزيت، أو الماء، أو الإسمنت أو الكونكريت... إلخ، لنقلْ إن الاختيارات قد تصل إلى «١٠.٠٠٠»؛ والقرآن صرّح من بينها أن كل شيء حي مكون من ماء، فإن كان ذلك تخمينًا لكانت نسبة صحة التخمين هي «١» من أصل «١٠.٠٠٠»، واحتمالية صحة الإجابات الثلاثة «كروية الأرض، وضوء القمر، وخلق الأشياء من ماء» تكون «١/ ٣٠» ضرب «١/ ٢» ضرب «١/ ١٠.٠٠٠» التي تعادل «٠.٠٠١٧.٠٪»، نلاحظ أنَّ القرآن الكريم ذكر العديد من الأشياء التي لم تكن تُعرف آنذاك في عصر الرسول -صلى الله عليه وسلم- في ثلاثة خيارات فقط، كانت الاحتمالية «٠.٠٠١٧.٠٪»، ثم توجّه إلى الجمهور بالصدمة ليترك الحكم لهم بأن يرجعوا إلى نظرية الاحتمالات في مئات من الحقائق التي قد ذكرها القرآن الكريم، فلو كانت كلُّها تخميناتٍ وبعد ذلك ثبتَ أنها حقيقة بدون خطأ واحد، فإن ذلك أكثر من قدرة البشر، فإن الإنسان لا يستطيع تخمين كل ذلك دون

خطأ. وهذه النظرية أظن أنها كافية لكي تثبت للإنسان الذي يرجِّح التفكير المنطقي أن القرآن وَحْي منزَّل من الله.

سادساً- الخالق هو كاتب القرآن:

بعد أن ظهر أنَّ القرآن الكريم فيه الكثير من الحقائق العلمية فالإجابة المنطقية الوحيدة للسؤال حول مَن ذكر كل تلك الحقائق العلمية منذ «١٤٠٠» سنة وقبل أن يكتشفها الإنسان هي الإجابة نفسُها التي قالها الملحد عند إجابة السؤال: «من أول شخص يمكنه أن يعطينا تفاصيل ميكانيكية عن هذا الشيء المجهول؟»، الإجابة هي: «الخالق»، «المُبدع»، «المُصَنِّع» لهذا الكون وكل ما فيه، إنه في اللغة الإنكليزية «god» الذي يعني «إله»، إلَّا أنَّ الأصح قولها بالعربية «الله».

سابعاً- القرآن كتابُ آياتٍ وليس كتابَ علومٍ:

لا شك أنَّ القرآن الكريم ليس كتابًا في العلوم، إنما هو كتاب مقدَّس سماوي ويحتوي على أكثر من ستة آلاف آية، منها أكثر من ألف آية تتحدث عن العلم، وقد يظنُّ الكثير من الناس أنَّ «د. ذاكر» يحاول أن يثبت أن القرآن هو كلام الله بالاستناد إلى أدلَّة علمية كأداة قياس؛ نظرًا لأن أي أداة قياس تُعد أكبر وأهمَّ من الشيء الذي تقيسه إلَّا أنَّه أوضح خطأ هذا الاعتقاد، فبالنسبة للمسلمين فإن القرآن هو الفرقان وهو الأصل والفيصل؛ بمعنى أنه الأداة التي نحكم بها على الأمور والأشياء إن كانت صحيحة أو غير صحيحة، القرآن أداة القياس المطلقة

التي هي أفضل وأعلى من قياس العلوم.

غير أنَّ هذا الملحد الذي له نصيب من التعليم فإنَّ الأداة المعتمدة لديه في القياس هو العلم، فهو أداته المطلقة للحكم على الأشياء التي يؤمن بها.. لكن ما العلوم التي ينبغي الأخذ بها؟! أليس من الممكن أن يتراجع العلم إلى الخلف، بلى كذلك، لذلك فإنَّ «د. ذاكر» يركز على ما ثبتَتْ صحته من العلوم وكان ذا دلائل على أرض الواقع، أما النظريات العلمية التي ما زالت تستند إلى فرضيات وتحليلات فليس لها مكان من البحث والاستشهاد، ولذلك يحاول «د. ذاكر» أن يثبت لهذا النوع من الملحدين أنَّ القرآن هو كلام الله بأداة القياس التي يعترف بها، ألا وهي العلم الذي اكتُشف في الآونة الأخيرة وقد أخبرنا عنه القرآن منذ أكثر من «١٤٠٠» عام، وفي نهاية المناقشة يتوصل كلا الطرفين إلى أنَّ الإله أكبر من العلم، ولا يتعارض معه.

ثامناً- العلم ألغى فكرة الآلهة المزعومة وأكَّد وجود الله:

حتى لا يكون د. ذاكر محصورًا في فلك أقوال علماء المسلمين فإننا نراه يقتبس من كلِّ العلماء على اختلاف مآكلهم ومشاربهم طالما تلك المقولات تخدم البشرية، وخدمةُ البشرية هذه هي صُلب الإسلام، والآن مع الفيلسوف الشهير «فرانسيس بيكون» صاحب المقولة الجميلة التي تتحدث عن العلم والدِّين، التي تقول: «إن قِلَّة العلم تجعل الإنسان ملحدًا، أما التعمُّق فيه فيجعله مؤمنًا بالله»، والعلماء عندما يتحدثون عن مفهوم الألوهية فإنهم ينفون الآلهة المزيفة، ولكنهم

لا ينفون الله، وعندما نترجم ذلك إلى اللغة العربية فإننا نقول: «لا إله إلَّا الله»

يقول الله –تعالى–: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

حسنًا.. ها هو مفهوم الإله قد استقر في الأذهان، إلَّا أنَّ بعض الناس يتساءلون عن عدم استجابة الله –تعالى– لدعائهم، لماذا ندعو الله فلا يستجيب لنا؟، ألم يقل الله –تعالى–: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، إنه النقيض تماماً حيث يأمرنا الله بالدعاء ولا استجابة.. يقول الله في محكم التنزيل: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ولا شكَّ أنَّ الله يختار لنا الأفضل والحسن، ولكننا لا ندرك حقيقة هذا، نحن لا نعلم الغيب، لذلك لا نستطيع أن نعلم أيَّ شرٍّ قد منعه الله عنا بعدم الاستجابة لهذا الدعاء، ربما تكون المنيَّة فيه فيحجبه الله –تعالى– ليحفظنا، وضرب «د. ذاكر» مثالًا بذاك الفتى الصغير ذي الـ «١٢» ربيعًا من عمره الذي دأب كثيرًا على دعاء الله –تعالى–: «يا الله، أعطِني دراجة نارية سريعة جدًّا».. يدعو ويدعو ولكن لا يوجد استجابة، الله وحده يعلم أنَّه إذا منحه تلك الدراجة فستصيبُه حادثة، ويفقد رجله، ويصبح معوَّقًا، لذا فعدم استجابة الله –سبحانه وتعالى– لدعائه هو في الحقيقة استجابة للدعاء.

الشخص الصالح يدعو ويدعو، ولكنه لا يعلم أنَّه يسأل اللهَ أشياءَ ليست في مصلحته، والله يعلم وهو لا يعلم، لذا فعدم استجابة الله –سبحانه وتعالى– لدعائه هو في الحقيقة استجابة للدعاء.

وليس للإنسان أن يقارن نفسه بالآخرين، فربما كانت استجابة الله لدعاء بعضهم من باب الاستدراج، وليقيم الله عليهم الحجة يوم القيامة لعلمه بحالهم، ففي كثير من الأحيان يطلبون الثروة فتكون هذه الثروة سببًا في بُعدهم عن الله وغرقهم في المعاصي، ويزداد طغيانهم، وإن زادت ثروتُهم فإنما يزدادون طغيانًا يقرِّبهم من نار جهنم، يقول الله -تعالى-: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٥-١٦]، لذا لا ينبغي على الإطلاق أن نيْئَس، فالله موجود دائمًا، وهو الذي يعلم ما لا نعلم، وللأسف فإنَّ كثيرًا من ضعيفي الإيمان عندما تتأخَّر الاستجابة يجنحون إلى إنهاء حياتهم بالانتحار بعد أن تسيطر عليهم أفكار سلبية فيقعون في ما حرَّمه الإسلام، يقول الله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، نعم، إنَّ الله بنا رحيم، وما منع عنَّا إلَّا ليحفظنا.

وكثير من الناس تأخذهم الشكوى والتأفُّف مما يحيق بهم، فلا تسيل على ألسنتهم إلَّا عبارات التذمُّر، ولا تعلو وجوهَهم إلَّا علامات الوجوم والاكتئاب ظنًّا منهم أنَّ الله حمَّلهم فوق طاقتهم، والله -تعالى- يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فما على الإنسان إلَّا أنْ يسلِّم أمره إلى الله الذي يريد له الخير أكثر من نفسه، ما عليه إلَّا الرضا بقضاء الله وقدره، وإنَّ كثرة التشكِّي لن تعيد مفقودًا ولن تجلب خيرًا.. إنَّنا لا نعرف قيمة ما نحن فيه، ولا ندرك ما نحن فيه من نِعَم، هل فكَّر أحدٌ ما بشكر الله على الهواء الذي نتنفَّسه؟ أليس توقُّف

هذا النفَس لبضع دقائق كفيل بإنهاء حياة البشر، ثم ماذا يطلب الله منا مقابل هذه النعمة؟!.. لا شيء، إنَّها بالمجان، وينبغي أن نتفكَّر ونتبصَّر في كل نعمة منَّ الله بها علينا.

وبعد هذا العرض لمفهوم الإله لا يزال في ذهن السائل الْتباسٌ من حيث إنه تعامل مع كثير من المسلمين وكان تعريف الله عندهم نقيض تعريف العقائد الأخرى التي يرفض المسلمون تعريفها له، فلماذا؟.

لا شكَّ أنَّ تعريف الله في الإسلام يحدِّد ما يجب أن يكون عليه الإله، وما لا يجب أن يكون عليه، فإضافة إلى معرفة ماهيَّة الله من الضروري معرفة ما لا يتوافق مع هذه الماهيَّة، فإذا ما افترض أحد ما زورًا وبهتانًا أنَّ كذا وكذا هو إله فبإمكاننا بسهولة معرفة خطأ هذا الادِّعاء.. وبالإجابة على السؤال فإن أفضل ردٍّ يمكن أن يقوله أيُّ مسلم هو ما ذُكر في القرآن الكريم في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (١) اللهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، فالله واحد، وهو الكامل الخالد الذي لم يلد ولم يولد، ولا يشبهه شيء، هذا الاختبار الحقيقي للردِّ على أي شخص يقول إنَّ كذا وكذا هو إله، فإذا ما حصل تطابق للمرشَّح مع هذا التعريف في أجزائه الأربعة فلا اعتراض لأي مسلم على المرشَّح، وعلى سبيل المثال يقول بعض الناس إن الرجل الهندي «باجوان راجنيش» إله، وإذا ما أتينا لنجري الاختبار على «باجوان راجنيش» وأخذنا الجزء الأول، فهو ليس واحدًا في ذاته، وهناك المئات بل الآلاف في الهند ممن ادَّعوا الألوهية، فلذلك لم يكن الوحيد، وأما الجزء الثاني فلم يكن كذلك كاملًا

وخالدًا، وإذا ما قرأنا سيرته الذاتية فإننا نجد أنه كان يعاني عـدة أمـراض، منهـا «الرَّبـو» و«السـكري» وآلام الظهـر المزمنـة، فـأي إلـه هـذا الـذي يعـاني هـذه الأمراض، وأما الجزء الثالث المتعلق بـالولادة فـإن «راجنـيش» وُلـد في «ماديـا براديش»، ولديه أبٌ وأمٌّ، وذهب إلى أمريكـا عـام «١٩٨١م» واسـتقطب آلاف الأمريكيين، وفي ولايـة أوريجـون أنشـأ معهـده الجديـد تحـت اسـم «راجنـيش سبيورام»، وفيما بعد ألقت السلطات الأمريكية القبض عليه، وزجَّت بـه خلـف القضبان، ثم قال «راجنيش» إنَّ السلطات الأمريكيـة سـمَّمته بـبطء، فلنتخيَّـل كيف أن الإله القادر على كل شيء قد تمَّ تسميمه ببطء، ثم عاد إلى الهند إلى مدينة «بونا» في عام «١٩٨٥م» بعد أن طردته السـلطات الأمريكيـة، ثـم أنشـأ مركـزًا جديدًا يُـدعى حاليًّـا «أوشـو كوميـون» الـذي إن زاره أحـد اليـوم وذهـب إلى «صَمادي» حيث حُفظ رمادُه عقب وفاته فإنه سيقرأ على حجر هناك: «أوشـو - أي: باجوان راجنيش- لم يُولد ولم يمت، ولكنه زار الأرض اعتبارًا من الحـادي عشر من ديسمبر ١٩٣١م وحتى التاسع عشر من يناير ١٩٩٠م».. لكنهم نسُـوا أن يكتبوا على الصَّمادي أنه لم يسـتطع الحصول على تصـاريـح دخـول «فـيـزا» لـ«٢١» بلدًا في العالم.. تخيَّلوا أن الإله القادر على كـل شيء يـأتي ليـزور الأرض لكنه غير قادر على زيارة بعض البلدان ويطلب فيزا لذلك، وأما الأخير فهو: «لم يكن له كفوًا أحد»، فبمجرد إمكانية مقارنة الإله مع أي شيء آخر في هـذا العـالم فهو ليس إلهًا، ونحن نعرف «بـاجوان راجنـيش» كـان لـه لحيـة بيضـاء كسـائر البشـر، وكانت له عينان اثنتان وأنف واحـد وفـم واحـد ويـدان، وعـلى سـبيل

المقارنة فقد يقول شخص إنَّ الله -سبحانه وتعالى- أقوى بألف مرة من «آرنولد شوارزينغر» الذي فاز بلقب سيد العالم: أقوى رجل في العالم، ولقب سيد الكون: أقوى رجل في الكون، إلَّا أنه بمجرد المقارنة فلن يكون ذلك إلهًا سواء مع «آرنولد شوارزينغر» أو «داراسينغ» أو «كينغ كونغ» سواء بألف مرة أو بمليون مرة، هذا وبإيجاز مفهوم الله -سبحانه وتعالى- .. وأما تعارض هذا المفهوم مع الأديان الأخرى فهناك فهم خاطئ أنَّ مفهوم الله -سبحانه وتعالى- في القرآن يتعارض مع الأديان الأخرى، لأنَّه يتعارض مع ممارسات الأديان الأخرى ولا يتعارض مع الكتب المقدَّسة للديانات الأخرى، وذلك أنه ولسوء الحظِّ فإن أتباع معظم الديانات الأخرى لا يقرؤون كتبهم المقدَّسة، ولذلك فإذا حلَّلنا ممارسات غير المسلمين نجدها تتعارض، ولمعرفة مفهوم الإله في أي دين من الأديان علينا أن ننظر في الكتب المقدَّسة ولا نأخذ المفهوم من أتباع ذلك الدين، فعلى سبيل المثال إذا أردت أن تعرف مفهوم الإله في الديانة «السيخية» فإن أفضل مرجع لذلك هو كتاب «غورو غرانث صاحب»، فإذا قرأت المجلد الأول، الجزء الأول، الآية الأولى من «غورو غرانث صاحب» المعروف باسم «جابجي» فإن الآية تقول: «إنَّ الإله واحد، يُدعى الحق، يُدعى الأبدي، هو حيٌّ، هو رحيم، متعالٍ عن الخوف والحزن»، وإذا كنت تعرف عن السيخية فإنها تؤمن بعبادة إله واحد، ولا تؤمن بعبادة الأصنام، ويُدعى هذا الإله في هيئته الظاهرة: «إك أونكارا»، ويُدعى في هيئته الباطنة: «أونكارا»، وإذا قرأت الكتب المقدَّسة السيخية فهناك سمات عدة للإله القادر، إذا قرأت الستَّة المقدَّسة فالإله

القادر يُدعى: «سا – تا – نا – ما»، يُدعى: «الاسم المقدس»، يُدعى: «سكارتار» الخالق، يُدعى: «الرحيم»، يُدعى: «واهي غورو» الإله الواحد الحقيقي، إذًا فمفهوم الإله واحد في كل من الإسلام والسيخية، والأمر نفسُه إذا عدت إلى الديانة الهندوسية، إذا عدت إلى الكتب الهندوسية المقدَّسة فقد ورد بشكل واضح في «أوبانيشاد – شاندوغيا»، الجزء السادس، القسم «٢»، الآية «١»: «الإله واحد لا ثاني له»، وورد في «أوبانيشاد – سفيتاسفتارا»، الجزء «٦»، الآية «٩»: «لا آباء لذلك الإله، لا يعلو عليه أحد، ولا يسوده أحد»، لقد ورد في «أوبانيشاد – سفيتاسفتارا»، الجزء «٤»، الآية «١٩»، وكذلك في: «ياجورفيدا»، الجزء «٣٢»، الآية «٣»: «نا تاسيا براتيما أستي»؛ أي: لا يوجد «براتيما» لهذا الإله، وتعني «براتيما» في اللغة السنسكريتية: الرمز أو الصورة أو اللوحة أو الوصف، أو لوحة الوجه، أو الصنم، أو التمثال، أو النحت، فهذا يعني أنه ليس للإله رمز أو رسم أو لوحة وجه أو صورة أو نحت أو صنم أو تمثال، ومع ذلك للأسف تجد الهندوس يعبدون الأصنام!!.. من المُلام؟، أنا أقتبس من «الفيداس»، وهو أعلى سلطة بين كل كتب الهندوس، إذًا لماذا يعبدون الأصنام؟!!.. لأن علماء الهندوسية يقولون: أترى أخي، كما تعلم، فإنَّه في مستوى المبتدئين لا يستطيع الناس الإدراك، وبالتالي من أجل التركيز نحتاج إلى صنم، وعندما نبلغ مستوى إدراك أرقى فلا نحتاج للصنم بعدها، إلَّا أنني –يقول الدكتور ذاكر–: أُخبر علماء الهندوسية أننا نحن المسلمين قد بلغنا مسبقًا مستوى إدراك أرقى وأعلى.. إنها أسس الهندوسية، أُسس الفيداس، لكن هناك

بعض الطوائف الهندوسية مثل «آريا ساماج» تستنكر كليًّا عبادة الأصنام، وبالمثل لو ذهبت إلى المسيحية فإنها تعارض عبادة الأصنام، ومع ذلك تجد أنَّ الكاثوليك يصنعون رمزًا للإله، ويقولون إنَّ عيسى -عليه السلام- هو الربُّ، فما نتوصل إليه هو أنه لو عدت إلى كتب المسيحية فإنَّ منظور الإسلام والمسيحية بشأن عيسى -عليه السلام- متشابه، إلَّا أنَّ معظم المسيحيين يزعمون أنَّ عيسى -عليه السلام- ادَّعى الألوهية، وفي الحقيقة لو قرأت الإنجيل فلا يوجد عبارة واحدة واضحة التأويل في الإنجيل كلِّه يقول فيها عيسى -عليه السلام- عن نفسه: أنا الربُّ أو اعبدوني، إذا استطاع أيُّ مسيحي أن يشير إلى أيِّ عبارة واضحة التأويل لا يعتريها الشكُّ في الإنجيل على لسان عيسى -عليه السلام- يقول فيها: أنا الربُّ أو اعبدوني فسوف أعتنق المسيحية اليوم.. لو قرأت في إنجيل يوحنَّا، الإصحاح «١٤»، العدد «٢٨» لوجدت أنَّ عيسى -عليه السلام- قال: «أبي أعظم منِّي»، وفي إنجيل يوحنَّا، الإصحاح «١٠»، العدد «٢٩»: «أبي هو أعظم من الجميع»، وفي إنجيل متَّى، الإصحاح «١٢»، العدد «٢٨»: «أنا بروح الله أُخرج الشياطين»، وفي إنجيل لوقا، الإصحاح «١١»، العدد «٢٠»: «كنت بإصبع الله أُخرج الشياطين»، وفي إنجيل يوحنَّا، الإصحاح «٥»، العدد «٣٠»: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا، كما أسمع أَدِين، ودَيْنونتي عادلة، لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني»، إنَّ أي شخص يقول: لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الله سُيعدُّ مسلمًا، إذًا فعيسى -عليه السلام- كان مسلمًا، فهو لم يدِّع الألوهية مطلقًا، ولقد ورد بشكل واضح في

سفر أعمال الرُّسل، الإصحاح «٢»، العدد «٢٢»: «أيها الرجـال الإسرائيليـون، اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري رجلٌ قد تبرهن لكم من قبـل الله بقـوَّات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم، كما كنتم أيضًـا تعلمـون»، إذًا لـو قرأنا الإنجيل لوجدنا أنَّ الإيمان بإله واحد، وكذلك اليهودية، إله ليس له رمـز، وجاء ذلك بشكل واضح في سفر التثنية، الإصحاح «٥»، الأعـداد «٧-٩»: «لا يكن لك آلهة أُخرى أمامي، لا تصنع له تمثالًا منحوتًا صورةً ما مما في السـماء مـن فوق ومـا في الأرض مـن أسـفل، ومـا في المـاء مـن تحـت، لا تسـجد لهـنَّ، ولا تعبدهنَّ، لأني أنا الربُّ، إلهك إله غيور»..

***

الديانة الإنسانية

ما زال ذلك السائل الملحد يشـكِّك في صـحة العقيـدة ويحـاول أنْ يـبرر موقفـه مخاطبًا «د. ذاكر»: لكونكَ ولدتَ في أسرة مسلمة فأنت تدافع عن الإسلام، ولو وُلـدت في أسرة هندوسـية لكـان مـن الممكـن أن حـديثك اليـوم عـن الديانـة الهندوسية، وأشعر أنَّ هذه حالة شديدة من حـالات التأصُّـل العِرقـي، بحيـث تعتقد أنَّ ديانتك ومعتقدك وقناعتك أعلى مـن غيرهـا، ولهـذا السـبب قلـت إن «السيخية» أو «آريا ساماج» أو أي ديانة تنبذ عبادة الأصـنام فإنـك تتفـق معهـا وتدعمها، وبالنسبة لي ينبغي أن نناقش ديانة الإنسانية الأكبر، وأن نتوقـف عـن

التلاعب بهذا التوجه، فهل لديك أي تعليق سيدي؟. مع العلم عندما سأل مقدِّم المحاضرة السائل عن اسمه أجابه، ثم قال: لا تسأل عن ديانتي.

وهنا كان لا بدَّ من إيقافه عند حدِّه، فقال له «د. ذاكر»: لقد كنت مسلمًا لأنَّ أبي مسلم حتى سن الـ «١٩»، وبعدها بدأت بمقارنة الأديان، والآن أنا مسلم بالاختيار، وصدِّقني إن استطعت أن تدلَّني على أي دين آخر أفضل من الإسلام منطقيًّا فأنا على استعداد لاعتناق ذلك الدين اليوم، وأما ما تتحدث عنه؛ أي: «دين الإنسانية» فمن كتبه؟ «المهاتما غاندي»؟ هل تعلم أنَّ المسلم لا يكون مسلمًا جيِّدًا إلَّا إنْ كان إنسانيًّا؟ وأنت طلبت في البداية ألَّا نسأل عن ديانتك ثم تأتي الآن وتقول إنك تعتنق دين الإنسانية، فأنت تخجل من الكلام عن وجهة نظرك، ثم تتحدث عن الإنسانية، وأعود لأسألك: من كتبَ دين «الإنسانية»؟، هل يوجد كتاب أو إرشادات في هذه الإنسانية؟، أعود وأذكِّرك أنَّ المسلم لا يكون مسلمًا إلَّا إذا كان إنسانيًّا، وكل الديانات الأخرى لا تصرِّح بهذا، وأنا آسف لأن أقول هذا، أنت لم تدرس الديانات الأخرى، أستطيع أن أعطيك محاضرة واقتباسات من «الفيداس»، من النصوص الهندوسية، ومن الإنجيل ضد الإنسانية، فأنا لست هنا لانتقاد الأديان، فإذا لم تكن قد درست أي ديانة أخرى فمن فضلك لا تتحدث فيما لا تعرف، وعملًا بقول القرآن الكريم: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، [الأنبياء: ٧]، وأنت لست طالب مقارنة أديان، فرجاءً لا تطرح تعليقات دون علم واطِّلاع، وأتحداك أنْ تشير إلى آية واحدة من القرآن أو إلى إحدى تعاليم سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-

ضد الإنسانية، فلا تقلْ: كل الأديان تقول ذلـك، آسـف، فمعلوماتـك ضـعيفة جدًّا، عندما تتحدث عن الإنسانية فإنك تتحدث عن المستوى الابتدائي، وأما ما أتحدث عنه فليس فقط تجاوز المستوى الابتدائي والمتوسط، أنـا أتحـدث عـن مـا يقابل الدراسات العليا، فالإسلام يعني المستوى الأعلى، بينما الإنسانية فقط بـلا مستوى مقارنة بالإسلام، وأما ما تظنُّه من تعاليم الإسلام أنه ضد الإنسانية فهو كمن يشتكي ويقول: «أووه، الدكتور يعطيني حقنة، وهـي مؤلمـة!»، ربـما هـي مؤلمة، ولكنها مفيدة لك، وكم يقول: «الدكتور يقطع الزائدة الدودية!»، نعم إنه يفعل ذلك لينقذ حياتك، فالدكتور يعلم وأنت لا تعلم، وإذا كان لدين خياران: اجتيازُ المرحلة الابتدائية والمتوسطة أو إكمالُ الدراسات العليا فالأفضـل اختيـار الدراسات العليا، وليس الابتدائية والمتوسطة، الإنسـانية جيـدة لكـنَّ الإسـلام يتجاوزها بمراحل في السموّ، أما فيما يخصُّ سؤالك أنني أؤيـد الإسـلام لأنـني ولدت في أسرة مسلمة فقلت لك إنني أتحـداك إنْ أثبـتَّ لي أي ديـن آخـر أكثـر منطقية وأفضل من الإسلام فسأعتنقه، كنـت كـذلك حتـى سـنٍّ معيَّنـة، لكـن درست أغلب الأديان الرئيسـية الأخـرى، وعقيـدتي هـي أن الإسـلام أكثرُهـا منطقية وأفضلها للإنسانية، هو الـدين الوحيـد الـذي لديـه الحلـول لمشكلات الإنسانية، ولأثبت لك أنَّ حُجتك ضعيفة فهل تعلم أنـه مـن ضـمن أكثـر مـن ثلاثين «عالِمًا» لدينا من أنحاء العالم المختلفة ممن يتحدثون على المنصة من أمريكـا وكنـدا والقليـل مـن بريطانيـا وماليزيـا والسـعودية والإمـارات والصـومال والسودان أكثر من «١٠» لم يُولدوا ضمن أُسر مسلمة، هل تعلم ذلك؟، بعضهم

اعتنق الإسلام في مرحلة المراهقة، وبعضهم في العشرين وآخرون في الثلاثين من العمر، والله هو الذي هداهم، فهم مسلمون بالاختيار، فمنطقك الذي يقول لأننا ولدنا في عوائل مسلمة فنحن نؤيد الإسلام منطق غير صحيح، هؤلاء درسوا الإسلام ووجدوه أفضل طريقة للحياة، وما أطلبه منك هو أنْ تدرس الإسلام وتدرس الإنسانية وتحاول أنْ تجد النقاط التي يطرحها الإسلام ضد الإنسانية، عندها سوف تعرف ما هو الدين الأفضل.. أنا لا أسأل عن دينك، ولكنني أطلب منك أن تتقبَّل الدين الأفضل.

* * *

إعلام جلاد ومسلم ضحية

كان الإعلام ولا يزال ذاك السلاح الشَّاكيَ الحادَّ السِّنان الذي يُطعن به الخصوم، وتطالعنا كتب التاريخ بنماذج كثيرة من هذا القبيل، فيوم كان الشِّعر في العصور الجاهلية وما بعدها بمنزلة وسائل الإعلام كان يرفع أقوامًا ويحط من شأن أقوامٍ آخرين، حتى إذا ظهر شاعر في قبيلة ما أقامت تلك القبيلة الأفراح والولائم وجاءتها القبائل الحليفة مهنِّئة.. إنه فتح عظيم، لقد جاء من يدافع عن أعراض القبيلة بلسانه الحادِّ الذي سيجري ما يقوله على كل لسان وتسير به الرُّكْبان، وإذا لم يكن في هذه القبيلة شاعر والتصق بهم وصفٌ سيِّئ فالويل ثم الويل لهم من عيون الآخرين وألسنتهم السليطة، وهذا حال قبيلة «أنف الناقة» التي إنْ سُئل أحد رجالها عن اسم قبيلته كان يكتمه ويقول: أنا من بني قُريع فينتسب للجدِّ الأعلى.. كل هذا والإعلام وقتها عمل فيهم ما عمل وحطَّ من شأنهم إلى أنْ تهيَّأت لهم أسبابٌ أخرى أطفأت كلَّ الأصوات وجعلتْهم من عِلية القوم.. وها هو الحطيئة الشاعر الكبير يمدحهم بشعر ارتجَّت له أرجاء المعمورة في جزيرة العرب، فانكسرت حول أعناقِهم كل القيود، وشمخوا برؤوسهم عاليًا بعد أن كانوا ينكِّسونها خِزيًا وعارًا، أشرقت شمسهم بعد أفول طويل إذ قال:

قَوْمٌ هُمُ الأَنْفُ، وَالأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ

وَمَنْ يُسَوِّيْ بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنَبَا

لقد صاروا في أعلى الرأس بينما غيرهم في مؤخرة الناقة، وتردَّد هذا البيت في كل مسمع حتى صار لقب الأمس البائس «أنف الناقة» وسامًا عاليًا وفخرًا لا يدانيه أي فخر...

وعلى النقيض من ذلك فقد كانت قبيلة بني نُمير من القبائل ذات السيادة وكان الواحد منهم إن سُئل عن نسبه يقول مفخِّمًا صوته ورافعَه عاليًا: «من بني نمير»، وكان لسيدها الراعي النميري مكانة بين أقرانه، إلَّا أنه انحاز إلى «الفرزدق» ضد «جرير» في الحرب الهجائية التي دارت بين جرير من جهة والفرزدق والأخطل من جهة أخرى، مع باقي الشعراء الذين ناصروا أحد الفريقين، وقد تمكَّن جرير بقوة شعره من الصمود في وجه أعتى الشعراء مجتمعين، وقد أرسل غيرَ مرة إلى الراعي النميري كي يكفَّ عن مناصرة الفرزدق، ويذكِّره أن الفرزدق أقرب إلى جرير في النسب من الراعي النميري، وقال له كما يروي صاحب الأغاني: «يا أبا جندل، إنك شيخُ مُضَر وشاعرُها، وقد بلغني أنك تفضِّل عليَّ الفرزدقَ وأنت يُسمع قولُك، وهو ابن عمي دونَك، فإن كان لا بد من تفضيل، فأنا أحقُّ به لمدحي قومك وذكري إياهم، قال وابنُه جندل على فرس له، فأقبل يسير بفرسه حتى ضرب عجز دابتي وأنا قائم فكاد يقطع إصبع رجلي، وقال: لا أراكَ واقفًا على هذا الكلب من بني كليب، فمضى، وناديته: أنا ابن يربوع، إنَّ أهلَك بعثوك مائرًا من هَبُّود -اسم مكان- وبئس المائرُ، وإنما بعثني أهلي لأقعدَ على قارعة هذا المِربد فلا يسبُّهم أحد إلَّا سَبَبْتُه، وإنَّ عليَّ نذرًا إنْ جعلتُ في عيني غمضًا حتى أُخزيَك»، وأخذ جرير ينسج قصيدته التي سماها النقاد «الفاضحة والدامغة»

لأنها فضحت بني نمير ودمغتْ ذكرهم وأهلكتْهم وجعلتْهم سُبَّة بين العرب، وقد وصلت ثمانين بيتًا، ومنها البيت المشهور:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ
فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا

وعندما أنشدها جرير في سوق المربد نكَّس الفرزدق رأسه، وخزيَ الراعي النميري، وقام من مجلسه قاصدًا قومه، وقال لهم: «رِكابَكم رِكابَكم، فليس لكم ها هنا مقامٌ، فضحكم والله جرير»، وهنا لم يعُدْ بنو نمير قادرين على النظر في وجه أحد، واعتلاهم الخزي والعار، وما كان من بني نمير إلَّا أن لملموا حوائجهم وأغراضهم وما استطاعوا حملَه وهربوا من المكان كلِّه، وساحوا في الأرض، إنَّه الرحيل... ولكن هيهات هيهات، إذ بينما هم ينصبون بيوتهم كان ذِكرُهم قد سبقهم، ولم يعد لهم شأن سوى أن يرحلوا من مكان إلى مكان لا يُذكرون فيه بتلك القصيدة، إلَّا أنهم ما ساروا إلى مكان إلَّا سار خِزيُهم وعارهم أمامهم، حتى صاروا يُخفون نسبَهم عمن يسألهم من الغرباء وينتسبون إلى جدهم الأعلى «عامر بن صعصعة» هربًا من أن يقولوا: «من بني نمير» بعد أن كان هذا الانتساب فخرًا لهم..

وذات حسرة وغفلة مرّت امرأةٌ بقومٍ من بني نمير فرشقُوها بأبصارهم وأداموا النّظر إليها، فقالت: قبّحكم الله يا بني نمير، فو الله ما أخذتم بقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ**﴾ [النور: ٣٠]، ولا أخذتم بقول الشّاعر:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّـكَ مِـنْ نُمَـيْرٍ

فَــلَا كَعْبًــا بَلَغْـــتَ وَلَا كِلَابَــا

فأطرقوا رؤوسهم خجلًا.

أقول قولي هذا وأنا أمهِّد لما حصل مع المسلمين اليوم على اختلاف الظروف والأحداث عما كانت عليه في عصورهم الأولى، إذ يطرح السؤال نفسه: إذا كان الإسلام هو الدِّين الأفضل فلماذا هناك العديد من المسلمين غير شرفاء وغير موثوق بهم و يمارسون نشاطات مثل الغش و الرشوة و تجارة المخدِّرات... وما إلى ذلك؟، وهنا ركَّز «د. ذاكر» جوابه على ما أسلفته من خطورة وسائل الإعلام بقوله:

١ - الإعلام يشوِّه صورة الإسلام

أ- الإسلام بلا شك هو أفضل الديانات، لكن الإعلام بين أيدى الغربيين الذين يسيطرون عليه ويتحكَّمون بموادِّه وتوجُّهاته، وهم يخافون من الإسلام، فإن وسائل الإعلام هناك تبثُّ وتطبع باستمرار معلومات ضد الإسلام من خلال الأغاليط التي ينشرونها، أو اقتطاع أجزاء من الكلام وإخراجه عن سياقه ونشره على أنه الإسلام، وليس للناس مصدرٌ آخر للمعلومات أهم من وسائل الإعلام.

ب- عندما تنفجر قنبلة هنا أو هناك في أيِّ مكان فإن أصابع الاتِّهام تتوجَّه مباشرة إلى المسلمين دون أي دليل أو إثبات، ويظهر ذلك واضحًا في العناوين

الرئيسية في الأخبار، ثم لاحقًا عندما يكتشفون أن غير المسلمين هم المسؤولون عن الانفجار يظهرون الخبر مع الأخبار الفرعية غير المهمة.

ج- رجل مسلم في الـ «٥٠» من العمر يتزوَّج من فتاة في الـ «١٥» من عمرها.. يا للهول..!! تمتلئ عنوانات الصحف الغربية منددِّين بهذا الفعل المَشين، ومدافعين عن كرامة المرأة وحرِّيتها وحقوقها، مع أن الزواج برضا الطرفين، ليس ذلك مهمًّا، المهم أنه مادة دسمة للغربيين، ويستمرُّ التطبيل والتزمير والعزف على هذه الأوتار لتشويه الإسلام، في الوقت نفسِه نجد شخصًا غير مسلم يبلغ من العمر «٥٠» عامًا قام باغتصاب فتاة قاصر عمرها «٦» سنوات فحسب، إلَّا أننا لا نجد هذا الخبر في الصفحات الرئيسية لوسائل الإعلام الغربية أو العنوانات الرئيسية لنشرات الأخبار، فربما تقرؤه في الداخل أو الأخبار الموجزة التي تمرُّ مرور اللِّئام الذين إنْ أقاموا وإن رحلوا فهم لئام، وربما إن كان ذلك الرجل أوروبيًّا فلا يعلم به أحد...

هناك يا سادة يا كرام «٢٧١٣» حالة اغتصاب تحدث يوميًّا في أمريكا ولا تظهر في الأخبار ولا يتكلم عنها أحد، لأنها صارت من أفعال الحياة اليومية هناك، أصبحت أسلوب حياة معتادًا للأمريكيين.

٢- الخراف السوداء في كل مجتمع

والمقصد أن هناك أفرادًا مسيئين في كل مجتمع، ولا يقتصر ذلك على المسلمين، فليس كل المسلمين منزَّهين عن الأفعال الآثمة، وليست كل الأيادي نظيفة،

فهناك من يسرق وهناك من يزني وهناك من يغش وهناك من يعاقر الخمر، لكن ما الذي يحصل؟!! لا تُركَّز عدسات الكاميرات إلَّا على هؤلاء... لا تُسلَّط الأضواء إلَّا على هؤلاء.. ولا تظهر إلَّا أسماء هؤلاء، مع التركيز على أنهم مسلمون مع قليل من البهارات والتوابل حتى يكون طعم التشويه سائغًا في حلوق الجُهَّال وأعداء الإسلام الذين يبحثون عن أية حُجة، وكأنَّ هذه الأفعال حكرٌ على المسلمين دون غيرهم، ماذا عنهم هم...؟!! لا شيء، إن صدر الفعل عن المسلم فهو العار والشَّنار والجريمة النكراء، وإن صدر عن غيرهم فتبدأ نفوسهم الحاقدة بالبحث عن مبرِّرات، والتهوين من هذا الفعل... هناك خِراف سوداء في كل المجتمعات تخالف ألوانها اللون المعتاد، إلَّا أنَّ هذا السواد يعدُّ شاذًّا إن كان في المسلمين، تنفر منه العيون وتشمئزُّ من الأنفس، فإذا ما كان في غيره صار لونًا جميلًا.

٣- المسلمون هم الأفضل على العموم

على الرغم من بعض المسيئين في المجتمع الإسلامي، إلَّا أنَّ المجتمع بمجموعه العام وبما يمتلك من أخلاق إسلامية هو أفضل من غيره من المجتمعات كافة، فنحن لا نعاقر الخمر بصورة جماعية هستيرية تدعو إلى القَرف والغثيان، وتجعل الإنسان مغيَّبًا عن نفسه وعن الواقع حوله، وتدفعُه إلى القيام بأفعال مَشينة تجاه نفسه وأهله ومن حوله، ومجتمعنا الإسلامي أكثر المجتمعات تبرُّعًا لرعاية الفقراء والمحتاجين سواء من خلال الصدقات أو أموال الزكاة، أضف إلى ذلك

ما يتمتع به المجتمع الإسلامي من العِفَّة والطهارة والحرص على الأعراض والأخلاق الحميدة.. إنَّ مجتمعًا تكون الأولوية فيه للأخلاق الحسنة والاعتدال والطهارة هو أفضل المجتمعات بلا منازع.

٤- لا تحكم على السيارة عن طريق السائق

هذا العنوان يقودنا إلى أن نكون منصفين في الحكم على الأشياء والأمور، فلو أنك تريد أن تحكمَ على جودة آخر موديل من «المرسيدس»، إلَّا أنَّ الشخص الجالس خلف المقود لا يستطيع القيادةَ لسبب ما، إما لجهله أو لتهوره فمن تلوم؟! السيارة أم السائق ؟! بالتأكيد السائق! إذا أردنا أن نعرف جودة السيارة فينبغي لنا ألَّا ننظر إلى السائق، إنما إلى إمكانيات السيارة: مدى سرعتها ، إجمالي استهلاكها للوقود، معدلات الأمان بها... وكذلك الحال في الحكم على الإسلام، فلو سلمنا جدلًا أن المسلمين سيِّئون فإننا لا نستطيع أن نحكم على الإسلام من خلال تابعيه، إذا أساء التابع استعمال المصدر فمن الجهل الحكم على المصدر، إذا أردت أن تحكم إلى أيِّ مدى يكون الإسلام جيدًا فإن ذلك يكون من خلال مصادره الأساسية، القرآن الكريم والحديث الصحيح.

٥- احكمْ على الإسلام من خلال أفضل التابعين: النبي محمد - صلى الله عليه وسلم-

كما أُسلف سابقًا.. إذا أردت الحكم على السيارة فلا تحكم من خلال السائق أما

إذا أردت الحكم عليها عمليًّا فضَعْ خلف دفَّة القيادة سائقًا ماهرًا، فهو الذي يستطيع أن يبرز لك ما فيها من إمكانات وقدرات، وكذلك الحكم على الإسلام، ينبغي ألَّا يكون إلَّا من خلال النماذج الفاضلة، التي تحكم من خلالها إلى أيِّ مدى يكون الإسلام جيدًا، وخير من يمثِّل ذلك هو رسولنا الكريم محمد -صلى الله عليه وسلم-.. فإلى جانب المسلمين هناك العديد من المؤرِّخين المنصفين غير المتحيِّزين من غير المسلمين الذين نظروا بعين العدل والموضوعية وإحقاق الحق وصرَّحوا أن الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- هو أفضل الخلق أجمعين، أحد هؤلاء هو «مايكل هارت» الذي ألف كتاب: «العظماء المئة الأكثر تأثيرًا في التاريخ من الرجال»، ففي قمة هؤلاء صاحب الرقم «١» هو النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-»، نبي الإسلام، وهناك العديد من الأمثلة لغير المسلمين يكِنُّون الامتنان للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- مثل «توماس كارليل» و «لامارتين» وغيرهما.. عندما ينظر الإنسان على اختلاف توجهاته وانتماءاته ومَنبته الطبقي والاجتماعي وتيَّاره السياسي وآرائه الفكرية وسنِّه وجنسه بعين الموضوعية فإنَّه يرى الإسلام على حقيقته، أما أن ينظر من خلال العين الحاقدة فإنه وإن رأى الحقيقة لكنه يتعامى عنها.. ولذلك قال الشاعر:

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيْلَةٌ

وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي

صحيح أنَّ هناك منحرفين عن جادة الصواب لكنَّ النماذج الصحيحة للإسلام كثيرة، وينبغي للمسلمين إخراجها للإعلام حتى تكون قدوة للمسلمين أولًا

ولمن أراد الدخول في الإسلام او الاقتراب منه، وهنا أذكر قصة تلك السيدة التي وقفت أمام «د. ذاكر» وقد عاشت خليطًا من الأديان، تقول: أنا السيدة «بهافانا أنصاري»، وُلدت في مجتمع «جَايْنِي» (الجاينيَّة اسم دين)، وعشت في مجتمع «هندوسي»، وتعلمت في «دَيْر»، وتزوجت «مسلماً» وفقاً لقانون الزواج الهندي، وأنا أنتظر بلهفة وإخلاص كي أعتنق الإسلام ديناً لي بكل جوارحي، لأنَّني أشعر أنَّني وُلدت من جديد..

ولكنَّ ما سمعتْ عنه السيدة «بهافانا أنصاري» عن الإسلام من خلال الدُّعاة والمحاضرات لم تجِدْه على أرض الواقع، أرادت أن تقترب من الإسلام فاصطدمت بما يبعِّد عن الإسلام، لم تجدْ أناسًا يمارسونه بإخلاص، فتخاطب «د. ذاكر» قائلة: - إنهم لا يجتذبونني، فهل تستطيع أن تعطيني حلًا رجاء؟ لأنك تصف الأصولية في الإسلام بالإيجابية، وتصف التعصُّب في الإسلام بالإيجابي، ولكنني لا أجد ذلك عند الممارسة العملية، لذا هل تستطيع أن ترشدني رجاء؟.

فأجابها «د. ذاكر» مهنِّئًا على قربها من الإسلام، وصحَّح مفهومًا لدى الناس هو «تغيير الدين إلى الإسلام» بأنَّه ليس تغييرًا وإنَّما هو العودة إلى الأصل، فكما يقول نبينا الحبيب محمد -عليه الصلاة والسلام- «كلُّ مولود يُولد على الفطرة»؛ أي يولد مسلماً، لكنَّه يتأثر بوالديه وبمن حوله، فإذا أسلم شخص ما فإنَّه يعود إلى فطرته وأصله، أمَّا بالنسبة للسؤال فأنا أوافقك الرأي، أوافقك الرأي بأن كثيراً من المسلمين لا يتَّبعون تعاليم الإسلام، ولكن تقول الإحصائيات: إن الدِّين

الأكثر عددًا من حيث الأفراد هو الدِّين المسيحي، إذ يصل إلى قرابة مليارين، وعدد المسلمين يتراوح بين «١.٣» و«١.٤» مليار مسلم، ولكن إذا نظرنا إلى نسب تطبيق تعاليم الأديان بين أتباع تلك الأديان لوجدنا انَّ أعلى نسبة هي بين المسلمين، ومع ذلك فأوافقك الرأي، لأنَّ عدد المسلمين الذين يلتزمون بدينهم قليل مقارنة بعدد أتباع الدين الإسلامي، فلهذا إنْ أردت أن تفهمي الإسلام فلا تنظري إلى المسلمين، ودائماً أقول: إذا أردتم أن تفهموا أيَّ دين فلا تنظروا إلى أتباع ذلك الدين، ولكن انظروا إلى المصادر الموثوقة، رجاءً لا تنظري إليَّ، لا تنظري إلى المسلمين المحيطين بك، وقد أعطيت مثالًا قبل قليل عن السيارة والسائق، فإذا أردنا أن نعرف مدى جودة السيارة وأَجلسْنا شخصاً لا يعرف القيادة خلف مِقْودها، وتسبب بحادث، وحطَّم السيارة فمن ستلومين؟ السيارة أم السائق؟، ستلومين السائق، فرجاءً لا تفهمي الإسلام عبر النظر إلى المسلمين، إننا نلقي هذه المحاضرات لهذا السبب، لأجل المسلمين وغير المسلمين على حدٍّ سواء، نحاول أن نجعل المسلمين المقصِّرين أكثر قُرباً إلى الحق والالتزام، لأنهم قد يكونون مسلمين بالاسم، إننا نحاول أن نجعلهم مسلمين قولًا وفعلًا، وفي الوقت نفسِه نبلغ رسالة الإسلام لغير المسلمين لكي يفهموا هذا الدين، ورغم أنك وُلدتِ في عائلة تتبع الديانة «الجاينيَّة» وكان هناك أشخاص غير مسلمين يحيطون بك فقد تزوَّجت بمسلم، ولكن ربما بعد أن سمعتِ المحاضرة اليوم وتعلمت أشياء كثيرة عن الإسلام عدتِ إلى الإيمان، وربما اتخذتِ لقب «أنصاري» ليكون اسمًا فحسب، ولكنك اليوم عدتِ إلى الإيمان الصحيح،

ونحن نهنئك يا أختي، ورجاءً، إذا أردت النظر إلى مسلم وفهم الإسلام فإنَّ القدوة والمثل الأفضل هو خاتم الأنبياء محمد -صلى الله عليه وسلم-، وإنّ هذا الكتاب «القرآن» وأحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- يحويان الحلَّ الأمثل لمشاكل البشرية، فلا تنظري إلى المسلمين، قد يكون بعض المسلمين قريبين من الإسلام ويطبِّقون تعاليمه، وقد يكون البعض بعيدين كل البعد عنه، لذا فانظري إلى المصدر الرئيس، افهميه واتَّبعيه، وإن شاء الله ستكونين في حالة سلام وطُمأنينة في الدنيا والآخرة.

* * *

المرأة في الإسلام

«النساءُ شقائقُ الرجالِ»[1] هكذا قال نبينا المصطفى محمد –صلى الله عليه وسلم، لم يكن للمرأة في سابق عهدِها تلك المكانة التي خصَّها بها الإسلام، فقد كانت النظرة في جاهليَّتها دونيَّة لا تحمل لها ذلك الوقار إلَّا من بعض الاستثناءات التي لا تُذكر، إلَّا أنَّ أعداء الإسلام لا ينفكُّون عن البحث وتزييف الحقائق وقلب المفاهيم لتشويه صورة الإسلام، وإيجاد أنفاق مظلمة يضلِّلون بها الآخرين، ويقدمون لهم مادة كبيرة لتنفيرهم من الإسلام، وإظهاره بمظهر المضطهِد الظالم المتخلِّف عن ركب الحضارة، بينما الحقيقة على خلاف ذلك، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تُعد وتُحصى، وإنَّ مقارنة بسيطة بين مكانة المرأة في الإسلام وما كانت عليه أيام الجاهلية تُظهِر الفرق الكبير بين المعاملتين، ففي الجاهلية كانت المرأة تتعرَّض لكل أنواع الاضطهاد والظلم، ولا تعدو أن تكون إلَّا مستودعًا للأبناء، فضُربت وعُذِّبت وقُتلت ووُئِدت، وكان اسم المرأة مرتبطًا أشدَّ الارتباط بالشرف والعار، إنها مصدر للفضيحة، ولا بد من التخلص منها.

وكذلك لو نظرنا إلى حال المرأة اليوم في أوروبا أو أمريكا لوجدناها في وضعٍ مزرٍ قياسًا بالمكانة الحقيقية التي وضعها بها الإسلام، وإن ما تظهر بها المرأة

---

(١) سنن أبي داود، رقم: ٢٣٦.

الغربية من حرية وغيرها ما هو إلَّا امتهان للمرأة وحطٌّ من شأنها، فليس السماح لها بفعل ما يحلو لها حرية.. وليس التعرِّي والانحلال الأخلاقي من الحرية في شيء.. إنَّ مفهوم الحرية عندهم لا يعدو إلَّا أن يكون: افعلي ما تريدين، والبَسي كما تريدين، واخلعي ما تريدين، واسهري إلى ما تريدين ومع مَن تريدين، الحرية عندهم في أن تقيم علاقة كما تريد ومع مَن تريد.. حتى غدت بهذه الشاكلة سِلعة رخيصة ومتعة عابرة، فأي حرية هذه؟!! وبعد أن تبلغ الثامنة عشرة لا يحق لأحد أن يسألها عن شيء، وليس للأب أو الأم أو الأخ سلطة عليها في أيِّ شيء، وأما العمل فهو واجب عليها، وعليها أن تُعيل نفسها وتبحث عن مصدر للأموال تمامًا كالرجل، وإذا لم تجد فلا يمنعها أحد إنِ أرخصتْ جسدها وباعتْ شرفها في سبيل ذلك، فلا يُشكِّل هذا مطعنًا عندهم ولا يمسُّ الشرف الكرامة.. أهذه هي المساواة التي نادَوا بها؟!!

أما في الإسلام فقد منحها كامل حقوقها وجعلها درَّة مصونة، ولها كلُّ التقدير والاحترام، وإنَّ من أهم النقاط التي تهمُّ هؤلاء، هو أن الإسلام صانها من التعب والنصب في سبيل الإنفاق على بيتها، فالإسلام أمر الرجل بذلك، ولا تتكلَّف المرأة من ذلك شيئًا، حتى إن كانت غنيَّة فلا يحق للرجل أن يأخذ من مالها شيئًا، ولا يحقُّ له أن يطالبها بدفع أي مبلغ، حتى الثياب التي ترتديها واللقمة التي تأكلها فهي من مسؤولية الرجل، أما إن أرادت أن تعمل فلم يمنعها الإسلام من ذلك، وأمرها بالحجاب حرصًا عليها ولكي لا تكون سلعة رخيصة، ومن أرادها فعليه أن يبذل الغالي في سبيلها، لا أن تكون مشاعًا لكل

عين، ولكل من هبَّ ودبَّ، ولها كلُّ الحقِّ في أن تتملَّك وتبيع وتشتري وتتعلَّم وتُعلِّم وتخرج وأن يؤخذ رأيُها في شريك حياتها، ولها حقُّ طلب الانفصال إذا استحالت العيشة معه، وبعد ذلك لها حقُّ النفقة عليها وعلى أولادها حتى إن كانت ذات مال وعقارات وتجارات، إنها تمارس حياتها كاملة، ولكن ضمن ما يحفظ كرامتها بعيدًا عن الامتهان في الوقت الذي نجد فيه المرأة الأوروبية منهكة تمامًا من العمل ويضحكون عليها بالحرية الزائفة ليتمتعوا بها.

***

«ليتني حمارة...»

يحكي لي أحد أقاربي من سوريا وكان يحضِّر لشهادة الدكتوراه في أوروبا أنه في السنة الأولى التي يتعلمون فيها اللغة دار حديث بينه وبين معلمة اللغة، وكان ذلك في أول لقاء مع المعلمة، وما إن عرفَتْهم أنهم عرب حتى بادرَتْهم بسَيل من الأسئلة الساخرة عن المرأة من مثل:

- كم صار عدد الزوجات عندك؟!.

- أما زلتم تربطون المرأة بحبل الخيمة؟!..

وما إلى ذلك من أسئلة، ولكن ما إن وضَّح لها أن الأفكار التي يبثُّها الإعلام لهم خاطئة مضلِّلة غير صحيحة وفيها استغباء للعقول، ووضح لها مكانة المرأة الحقيقية في الإسلام حتى أخذت تقارن بين وضعها ووضع المرأة المسلمة،

وكيف أنها مجبورة على العمل ليلَ نهارَ، ولا تَفرِق عن الرجل في ذلك في شيء، وكانت تفتقر لكل ميزة خصَّ الإسلام بها المرأة التي جعلها ملكة في بيتها وأسرتها ومجتمعها.. ثم رسم لها عقلُها ما كان ينبغي أن تكون عليه لو كانت مسلمة حتى قالت عبارة عميقة تدلُّ على حجم المعاناة الحقيقي الذي تحس به المرأة.. قالت وبالحرف: «يا ليتني حمارة عندكم»، تمنت أن تكون حمارة تُعامل تلك المعاملة وتحتل تلك المكانة.

وتتلخَّص أهم المطاعن التي رصدها د. ذاكر عن المرأة فيما يأتي:

١ - لماذا تعادل شهادة الرجل في الإسلام شهادة امرأتين؟، ألا يُعدُّ ذلك إنقاصًا من قيمة المرأة وقَدرها؟.

لا ليس الأمر كذلك، ولكنه التضليل، وليس حقيقيًا أن شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد، إنما ذلك في حالة خاصَّة محدودة لحكمةٍ ما، وقد ذكر القرآن في ما يقرب من خمس مواضع الشهودَ دون أن يحدِّد ما إذا كان الشاهد ذكرًا أو أنثى، فشهادة الأنثى هنا مساوية لشهادة الرجل، والموضع الذي جاء فيه أن شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد جاءت في التعاملات المالية في قوله -تعالى-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ..**﴾ إلى قوله -تعالى-: ﴿**.. فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى...**﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فهذه الآية من القرآن تتحدث فقط عن التعاملات المالية، ففي مثل هذه الحالات يُستحسن أن يكون

هناك اتفاق مكتوب بين الأطراف، وأن يوجد شاهدان على هذا الاتفاق، ويُفضل أن يكونا رجلين، أما في حالة عدم وجود رجلين فليكُنِ الشهود رجلًا وامرأتين.

على سبيل المثال، إذا أراد شخص أن يجري عملية جراحية بسبب مرض معيَّن فسيُفضل أن يأخذ بنصيحة جرَّاحين اثنين مؤهَّلين لتأكيد العلاج، ففي حالة أنه لم يجد جرَّاحين اثنين فخِيارُه الثاني سيكون جراحًا واحدًا وطبيبين عامَّين من الحاصلين على بكالوريوس الطب.. وكذلك الحال في التعاملات المالية، الأفضل وجود رجلين، لأن الإسلام يريد من الرجال أن يكونوا مصدر الرزق لعائلاتهم. وبما أن المسؤولية المادية في الإسلام يتحمَّلها الرجال كافة فلابد إذًا أن يكونوا أكثر معرفة وخبرة في التعاملات المالية من النساء، فلذلك كان ينبغي أن يكون الشهود من الرجال، إلَّا أنه كخِيار ثانٍ فمن الممكن أن يكون الشهود رجلًا وامرأتين، ولكنْ ما الحكمة من وراء ذلك؟.. الحكمة أنها إذا أخطأت إحداهما ذكَّرتها الأخرى، وكلمة «تَضِل» المستخدمة في القرآن هنا بمعنى «ترتبك» أو «تخطئ»، وقد أخطأ الكثير في ترجمة هذه الكلمة، وذهبوا إلى أن المعنى «تنسى».. وكما نرى فإن التعاملات المالية تشكل الحالة الوحيدة التي تعادل فيها شهادةُ امرأتين شهادةَ رجل واحد.

و مع ذلك فإن بعض العلماء يرون أن السلوك الأنثوي قد يكون له تأثيرٌ على الشاهدة في جريمة قتل مثلًا، ففي مثل تلك الظروف تكون المرأة خائفةً أكثر مما يكون الرجل، وما ذلك إلَّا بسبب حالتها العاطفية التي تجعلها مضطربة

مرتبكة، وبالتالي بالنسبة لبعض الفقهاء فإنه حتى في حالات القتل فإن شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد، وما ذلك إلّا بسبب حالتها العاطفية في مثل بعض القضايا التي تشهد فيها، فإذا ما شهدت امرأة ثانية كان الاطمئنان أكبر على أن تلك الشهادة لم تؤثر فيها الحالة العاطفية. أما في كل الحالات الأخرى فإن شهادة امرأة واحدة تعادل شهادة رجل واحد، وهناك أمثلة عدة في القرآن تتحدث عن الشهود بدون تحديد جنسهم، فعند كتابة وصية عن الميراث فإن المطلوب للشهادة شخصان عادلان ليشهدا، يقول الله -تعالى-:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦]، ويقول أيضًا: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لله﴾ [الطلاق: ٢]، ويقول الله -تعالى- أيضًا: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤]... في هذه المواطن لم يحدِّد القرآن الكريم جنس الشهود.

نعم هناك بعضهم يعتقدون أن مبدأ معادلة شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد ينبغي تطبيقه في كلِّ الحالات، إلّا أنَّ هذا لا يمكن أن يؤخذ حُكمًا اتفاقيًّا؛ وذلك لأن قول الله -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٦] يؤكد أنَّ شهادة امرأة واحدة تعادل شهادة رجل واحد. ومن أمثلة شهادة امرأة واحدة أمُّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- إذ سندُها للأحاديث كشاهدة واحدة يكفي.

إضافة إلى ذلك فقد اتَّفق العديد من الفقهاء على أن شهادة امرأة واحدة كافيـة في حالة رؤية الهلال لتحديد ميعاد بداية شهر رمضان المبارك، ولـنلاحظْ خطـورة هذا الموقف وأهميَّته، فعليه تتحـدَّد بدايـة أحـد أركـان الإسـلام وهـو الصـيام، فشهادة امرأة واحـدة أنهـا رأتْ هـلال الشـهر كافيـة ليبـدأ المسـلمون الصـيام، والمجتمع المسلم كلُّه من رجال و نساء يقبل شهادتها، ويقول بعـض الفقهـاء إن شاهدًا واحدًا يكفي في إثبات أول رمضان، أمـا في نهايتـه فـالمطلوب شـاهدان، وعليه فامرأة واحدة يكفي في أول الشهر، وامرأتان في آخر الشهر تكفيان لإنهـاء الصيام، إذ لا فرق مطلقًا بين أن يكون الشهود رجالًا أو نساءً.

وفوق هذا فهناك بعض الأمور تقتضي أن تكون الشهادة فيهـا للنسـاء ولا تُقبـل شهادة الرجال، فعلى سبيل المثال فإن التعامل مـع مشـكلات النسـاء، وفي أثنـاء غسل أي امرأة فإنَّ أي شهادة في هذا الموقف ينبغي أن تكون من امرأة.

إذًا فهناك مساواة بين الطرفين الرجالِ والنساءِ في الشهادة، والأمـر الـذي يظهـر وكأنه عدم مساواة بينهما إنما هو في التعاملات المالية فقـط، ولـيس بسـبب عـدم وجود مساواة بين الجنسين في الإسلام، و إنما سببُه هو اختلاف طبيعـة الرجـال والنساء في المجتمع كما يبيِّنهـا الإسـلام، فعنـدما اختلفـت طبيعـة الرجـل عـن مشكلات النساء لم يقلِ الإسلام إن شهادة رجلين تعادل شـهادة امـرأة واحـدة، إنما لم يقبل شهادته نهائيًّا لعـدم اختصاصـه، وكـما قـالوا: المسـألة اختصـاص لا انتقاص.

* * *

٢- لماذا لا يُسمح للنساء بتطليق أزواجهنَّ؟.

ومن المطاعن التي يوجِّهونها للإسلام بخصوص شأن النساء عدم السماح لهنَّ بتطليق أزواجهنَّ!... وعمومًا - كما يقول «د. ذاكر» - يمكن أن نقسِّم الطلاق إلى «٥» فئات، تكون الأولى بالتراضي المتبادل بين الطرفين، والثانية من طرف واحد وهو الزوج، والثالثة تكون مذكورة في العَقْد، فعندما تتزوج المرأة رجلًا فتلقائيًا تذهب الصلاحيات إلى الرجل حسب أحكام الإسلام، وبما أن الزواج عَقْد فيمكن للمرأة أن تضع شروطها في العَقْد، وهذا ما لا يمنعه القرآن، بشرط ألَّا تتعارض تلك الشروط مع تعاليم الدين الإسلامي، كأنْ تشترط عدم الصلاة مثلًا، فهذا لا يجوز في الإسلام، وهذا الشرط باطل، وإنما يحقُّ لها اشتراط أي شيء في الأمور المباحة، ومن هذه الشروط أن تشترط كَوْن أمر الطلاق بيدها هي لا بيد زوجها، وهذا ما يُسمَّى بـ «طلاق التفويض»؛ أي إن الرجل فوَّض الزوجة وأعطاها صلاحيات إيقاع الطلاق بينهما، والفئة الرابعة إذا لم تكتب المرأة شروطها في العَقْد وأرادت هي الطلاق فيما بعد، وليس الزوج من يريد تطليقَها، فيمكنها ذلك، وهذا ما يُسمَّى بـ «الخُلع»، وله أحكامه الخاصة، أما الفئة الخامسة فإذا كان الزوج غير موافق على طلاقها ولكنه يعاملُها معاملة سيِّئة ويحرمها من حقوقها، فيمكنها عندئذٍ الذهاب إلى المحكمة وطلب فسخ عَقْد الزواج، إذًا ففي الحالات العادية يكون الأمر بيد الرجل، وثمةَ حكمة من وراء ذلك، وهي أن المرأة هي الجانب الرابح في الزواج، بينما الرجل هو الذي يدفع، فإذا تزوجَتِ المرأة مرة أخرى فستحصل على مهر جديد، والرجل أيضًا يدفع،

وهكذا في كل مرة، فلو استمر الحال على هذه الشاكلة فسيصبح الأمر تجارة، يخسر الرجل وتربح المرأة التي تحصل على الحماية من العائلة، من المجتمع، من الدولة، وهكذا، أما الرجل فيخسر وفق هذا المنطق، إلَّا أنَّ المرأة إذا أرادت ذلك فيمكنها كتابة ذلك في العَقْد، وتكون قادرة على تطليق الرجل.

* * *

٣- لماذا يفرِّق الإسلام بين الرجل والمرأة في التعاملات؟.

ومما اتَّهموا الإسلام به أيضًا أنه يفرِّق بين الرجل والمرأة في التعاملات فهناك اختلاف في طريقة تعامل المرأة بالنسبة للصلاة، فهي لا تختلط بالرجال إذا أرادت الصلاة في كلِّ المساجد، أما في الحج فليس الأمر كذلك، حيث يؤدُّون الصلاة معًا، فلماذا؟.

وهنا فإنَّ ما لم يستطع السائل إدراكه أنه حتى في الحج سواء في مكة أو منى أو مزدلفة أو غيرها من أماكن الحج فأماكن الصلاة نفسُها، إلَّا أنَّ الوضعية مختلفة، ففي الطواف مثلًا لا يوجد أماكن مفصولة للنساء عن الرجال، لكن إذا ما انتهى الطواف فإنَّ النساء يذهبْنَ إلى أماكن بعيدة عن الرجال، ولكنْ يحدث أحيانًا أن موعد الصلاة يحين في الطواف، فيتعذَّر على النساء الانسحاب بعيدًا، ولكن مهما كان الأمر فالنساء يأتينَ مع العائلات ولا يختلطنَ بالرجال الأجانب، إلَّا أنه لصغر المساحة في الحرم يظهرنَ كأنهنَّ مع الرجال، وفي الحالات العادية تكون مداخل البوابات منفصلة، وكذلك في مِنى ومُزْدلفة وعَرَفات، إلَّا أنَّ في مِنى ومُزْدلفة وعَرَفات مساحاتٍ واسعة، وفي كلِّ الأحوال لا تجد رجلًا بجانب امرأة

أجنبية عنه، لذلك فحكم الانفصال موجود، ولكنَّ الذي يجعل الأمر يبدو أنَّه اختلاط ضِيق المساحة في الحرم ليس إلَّا.

***

٤ - لماذا يُسمح للرجل المسلم أن يتخذ أكثر من زوجة ؟! بمعنى آخر: لماذا يسمح الإسلام بتعدد الزوجات ؟!.

سؤال معروف مشهور وجد فيه المزوِّرون سبيلًا لاتِّهام الإسلام بأنَّه يهين المرأة ويجعلها كالمتاع... وليس كذلك، فتعدد الأزواج هو نظام للزواج بحيث يكون للشخص الواحد أكثر من زوج أو زوجة، وقد يكون على نوعين :

الأول: تعدد الزوجات، حيث يتزوج الرجل أكثر من امرأة.

الثاني: تعدد الأزواج، حيت تتزوج المرأة أكثر من رجل.

وفي الإسلام يكون تعدد الزوجات بعدد محدود فقط هو المسموح به، أما تعدد الأزواج فهو ممنوع بتاتًا.

وإذا ما أتينا الآن إلى السؤال الرئيسي: لماذا يسمح للرجل بأن يتخذ أكثر من زوجة؟ فثمة ملاحظات مهمة لا يعرفها الكثير أو يتجاهلونها:

١ -القرآن هو الكتاب المقدَّس «الوحيد» الذي ينصُّ على الزواج بـ «امرأة واحدة» فقط.

نعم، القرآن هو الكتاب المقدَّس الوحيد على وجه الأرض الذي ينصُّ صراحة على «الزواج من امرأة واحدة فقط»، و لا يوجد كتاب ديني آخر يحدِّد للرجل

الزواج من زوجة واحدة، سواء كان هذا الكتاب هو «الفيداس، الراماين، المهابهارت، الجيتا، التلمود، الإنجيل»، لقد خلَتْ كلُّ هذه الكتب المقدسة من أي نصٍّ يقول إنَّ على الرجل أن يتزوج امرأة واحدة فقط، لا نستطيع أن نجد فيها تحديدًا لعدد الزوجات، بل طبقًا لهذه الكتب يستطيع الرجل أن يتزوج ما يحلو له من النساء، والذين حدَّدوا الأمر بامرأة واحدة إنما هم الكهنة الهندوس والكنيسة المسيحية والحاخامات وليس الكتب المقدسة، هم من حدَّد عدد الزوجات وحصروه بواحدة فقط.

والأمثلة كثيرة على التعدد في تلك الأديان، فهناك من الشخصيات الهندوسية المتدينة طبقًا لكتبهم المقدسة متزوجون بأكثر من زوجة، الملك «داشرات» والد راما «أحد آلهة الهندوس»، كان لديه أكثر من زوجة، «كريشنا» «أحد آلهة الهندوس» كذلك كان يستطيع الحصول على «١٦١٠٨» زوجات، وفيما مضى كان يُسمح للرجل المسيحي اتِّخاذ العديد من الزوجات كما يشاؤون، حيث إن الكتاب المقدس لم يضع قيودًا على عدد الزوجات، فقط منذ قرون قليلة ماضية قامت الكنيسة بتحديد عدد الزوجات إلى واحدة.

وفي اليهودية فإنَّه طبقًا للقانون التلْمودي فتعدد الزوجات مسموح به، فـ «إبراهيم» الخليل كان لديه «٣» زوجات، و«سليمان» كان يتخذ المئات من الزوجات، لقد ظل تعدد الزوجات في اليهودية قائمًا حتى جاء الحاخام «جرشوم بن يهودا ٩٦٠ ق.م - ١٠٣٠ ق.م» وأصدر مرسومًا ضد ذلك.

إن تجمُّعات «السفارديم» اليهودية التي تعيش في البلاد الإسلامية ظلت تمارس

التعددية حتى أواخر عـام «١٩٥٠م» إلى أن جـاء كبـير الحاخامـات الإسرائـيلي وعمم حظر الزواج بأكثر من واحدة.

٢-الهندوس أكثر تعدُّدية للزوجات من المسلمين

في عام «١٩٧٥م» صـدر تقريـر «حـال المـرأة في الإسـلام Committee of The Status of Woman in Islam»، وقد ذكـر في الصـفحتين «٦٦ – ٦٧» أن نسـبة تعـدُّد الزوجـات بـين أعـوام «١٩٥١م» و «١٩٦١م» كانـت «٥.٠٦٪» بين الهندوس و«٤.٣١٪» بين المسلمين، وطبقًا للقـانون الهنـدي فـإن الرجال المسلمين فقط هم من يُسمح لهم بتعدد الزوجـات، ومـن غـير القـانوني لأي شخص آخر غير مسلم أن يتخذ أكثر من زوجة، وعلى الرغم من كَوْن ذلك غيرَ قانوني فإن الهندوسيين لديهم تعدُّد زوجات أكثر مقارنة بالمسلمين.

فيما سبق لم يكن هناك قيود على الرجـال الهندوسـيين بالنسـبة لعـدد الزوجـات المسموح بها، ففي عام «١٩٥٤م» تم إصدار وثيقة الزواج الهندوسي التي تـنصُّ على أنه من غير القانوني أن يتَّخذ الهندوسي أكثر من زوجة، وفي الوقت الحـاضر ليست الكتب الهندوسية المقدَّسة هي التي تمنع الرجل الهندوسي مـن أن يتـزوج أكثر من زوجة، إنما القانون الهندي هو الذي يمنع ذلك.

٣- القرآن قيَّد تعدُّد الزوجات بعدد محدَّد

نذكِّر أن القرآن هـو الكتـاب الـديني الوحيـد عـلى وجـه الأرض الـذي يقـول

للرجل: «تزوج واحدة فقط»، وقد جاء ذلك في قوله -تعالى-: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣]...

قبل نزول هذه الآيات لم يكن هناك حدٌّ أقصى لتعدد الزوجات، وأغلب الرجال كان لديه العديد من الزوجات، وقد وصل الأمر ببعضهم أن يكون له المئات، إلَّا أنَّ الإسلام عندما جاء وضع حدًّا لعدد الزوجات وهو «٤» زوجات فقط، وأعطى الرجل الرُّخصة ليتزوج مثنى أو ثلاث أو رباع بشرط واحد هو أن يعدل بينهنَّ.

في سورة النساء نفسها يقول الله -تعالى-: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء:١٢٩]، لذلك فتعدُّد الزوجات ليس قاعدة بل هو استثناء، فالعديد من الناس لديهم لَبْس وسوء فهم أن تعدد الزوجات إلزاميٌّ للمسلم، أو هو مرخَّص على وجه الإطلاق... وبوجه عام فالإسلام فيه «٥» أقسام من الأفعال:

أ - الفرض: الإلزامي أو الإجباري.

ب - المستحب: المفضَّل أو المزكَّى.

ث - المباح: المسموح به أو المتاح.

ج - المكروه: غير المرغوب فيه، ولكنه ليس حرامًا.

د - الحرام: الممنوع أو المحرَّم.

وتعدُّد الزوجات يقع في البند الأوسط من الأشياء المسموح بها، لذا فلا نستطيع

أن نقول إن الرجل المسلم المتزوج من اثنتين أو ثلاثة أو أربعة أفضل من المتزوج من زوجة واحدة.

٤ – معدَّل عمر النساء أطول من معدَّل عمر الرجال

من المعلوم طبيعيا أن نسبة الذكور للإناث متساوية عند الولادة، لكنَّ الطفلة الأنثى أقوى مناعة من الطفل الذكر؛ أي إنها تستطيع أن تقاوم الجراثيم والأمراض أكثر من الطفل الذكر، ولهذه الأسباب في العمر الطفولي هناك وفَيَات للأطفال الذكور أكثر من الإناث.

وفي خلال الحروب فهناك العديد من الرجال يموتون مقارنة بالنساء، وكذلك في الحوادث يموت الرجال أكثر من النساء. ومعدل عمر النساء أطول من معدل عمر الرجال، وفي أي وقت من الأوقات يجد المرء المزيد من النساء الأرامل في العالم أكثر من الرجال.

٥ – في الهند عدد السكان الذكور أكبر من عدد الإناث نتيجة لقتل الأَجِنَّة الإناث «الإجهاض» أو وأد البنات.

الهند واحدة من الدول القليلة مع الدولة المجاورة لها، التي يقل فيها عدد الإناث عن الذكور، والسبب هو المعدل العالي لقتل الأطفال الإناث في الهند، حقيقةً هنالك أكثر من مليون من الإناث يتم التخلُّص منهنَّ وهنَّ أجنَّة في بطون أمَّهاتهنَّ كل عام بعد معرفة نوع الجنين أنه أنثى، لو أوقفوا هذا الفعل الشرِّير

فسنجد أن الهند أيضاً يكون فيها عدد الإناث أكثر من عدد الذكور.

٦- التعداد السكاني العالمي للنساء أكثر من التعداد السكاني العالمي للذكور

في الولايات المتحدة الأمريكية يفوق عدد النساء الرجال بـ«٧.٨» ملايين نسمة، وفي ولاية نيويورك وحدَها هناك زيادة بمعدل مليون أنثى عن الرجال، وفي مجتمع الذكور في نيويورك هناك الثلث شواذ، في الولايات المتحدة الأمريكية إجمالًا هناك «٢٥» مليون شاذ، وهذا يعني أن هؤلاء الرجال لا يرغبون في الزواج من الإناث، وفي بريطانيا هناك «٤» ملايين زيادة في عدد الإناث عن الذكور، و في ألمانيا هناك «٥» ملايين زيادة في عدد الإناث عن الذكور، وفي روسيا هناك «٩» ملايين زيادة في عدد الإناث عن الذكور، ولا يعلم أحد على وجه الدقة كم عدد الملايين التي تزيد بها الإناث عن الذكور في العالم.

٧- إلزام كل رجل بزوجة واحدة هو قانون غير عملي

حتى لو أن كلَّ رجل تزوج من امرأة واحدة فسيبقى هناك أكثر من «٣٠» مليون امرأة في أمريكا وحدها لن يستطعْنَ الحصول على زوج آخذين بعين الاعتبار أن أمريكا بها «٢٥» مليون شاذ، وسيكون هناك أكثر من «٤» ملايين امرأة في بريطانيا لن يستطعْنَ الحصول على زوج، و«٥» ملايين في ألمانيا، و«٩» ملايين في روسيا.

على افتراض أن أختي قُدِّر لها أن تكون من بين النساء اللواتي لم يتزوجْنَ في

الولايات المتحدة الأمريكية، أو لنفترضْ أن أختك قُدِّر لها أن تكون من ضمن النساء اللواتي لم يتزوجْنَ في الولايات المتحدة الأمريكية فسيبقى لديها خياران:

الأول- إما أن تتزوج رجلًا متزوجًا بالفعل.

الثاني- أن تصبح مُلْكية عامة، وليس هناك خِيار ثالث.

وبالطبع فكل ذوات الحياء والعفَّة لن يكون أمامهنَّ إلَّا الخيار الأول.. أما في المجتمع الغربي فمن الشائع للرجل أن يكون لديه عشيقات أو علاقات خارج نطاق الزواج، وهذه الحالة تؤدي بالمرأة إلى حياة غير آمنة وشائنة ومخزية، والعجيب في الموضوع أن هذا المجتمع نفسَه لا يقبل رجلًا لديه أكثر من زوجة بحيث تظل المرأة شريفة ومكانتها مصونة في المجتمع وتقودها إلى حياة آمنة، إنما يقبل أن يكون له أكثر من عشيقة مهما بلغ العدد.. إذًا فالخياران الوحيدان أمام المرأة التي لم تجد زوجًا إما أن تكون زوجة لرجل متزوج أو تكون مُلْكية عامة.. والإسلام يأمر أن تُعطى المرأة مكانة محترمة بأن يُسمح لها بالاختيار الأول ويحرم عليها الثاني.

هناك العديد من الأسباب الأخرى التي جعلت الإسلام يسمح بتعدد الزوجات المحدود، ولكن السبب الرئيسي هو حماية المرأة والحفاظ على عفَّتها وشرفها.

***

٥- لماذا يضيِّق الإسلام على المرأة بالحجاب؟.

وفيما يخص اتِّهام الإسلام بأنه يضيِّق على المرأة بالحجاب ويمنعُها من حريتها

فعلى الخلاف من ذلك، إذ لم يأمر الإسلام المرأة بالحجاب إلَّا صونًا لها من أن تُحملِق فيها العيون، وتلُوْكها الألسنة، وأن يكون هناك أي سبب يجعل النفوس المريضة تنقضُّ عليها وتمسُّ شرفها، وذلك من طرق عدة:

أ- الاسلام يصف الطرق التي تمنع التحرُّش بالمرأة واغتصابَها:

ليس هناك دين من الأديان إلَّا أكَّد أن مضايقة النساء واغتصابَهنَّ خطيئة جسيمة، ومن هذه الأديان كان الدين الإسلامي الحنيف، إلَّا أنَّ تعامُل الإسلام مع هذه القضية كان مختلفًا عن باقي الأديان نظرًا لما للمرأة من مكانة وقيمة، فهو لم يدعُ إلى احترام المرأة وتجريم الاغتصاب والمضايقات كباقي الأديان فقط، إنما يدلُّنا على الطرق التي تمكِّن المجتمع من القضاء على هذه الجرائم من الأصل.

ب- حجاب الرجل «غض البصر»:

لا يقتصر الحجاب في الإسلام على المرأة فحسب، بل للرجل حجابُه الخاصُّ أيضًا، ولا أفضل له من غضِّ البصر ليكون حجابًا يحميه من شرور ما قد تسوِّل له نفسه، ولذلك يقول القرآن الكريم: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]، فإذا ما غضَّ الرجل بصرَه فإنه يحمي نفسه من أن تخطر في ذهنه أيُّ فكرة غريزية أو مَشِينة، ولا يكون مبتدئًا قاصدًا النظر، ولا مثنيًا إنْ عاجلتْه عينُه فنظر النظرة الأولى، فعليه أن يلتزم حجابه بغضِّ البصر.

ج- حجاب المرأة:

أما حجاب المرأة فقد ذكره الله -تعالى- في قوله: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

الحدُّ الشرعي لحجاب المرأة هو تغطية كامل جسدها باستثناء بعض الأجزاء التي سمح الإسلام بكشفها مثل الوجه والكفين إلى الرُّسُغين فقط، وأما تغطية الجسد بكامله حتى الأجزاء المسموح بكشفها فلهنَّ حرية الاختيار في ذلك، وهناك بعض من العلماء يصرُّون على ضرورة تغطية المرأة لكامل الجسد حتى الوجه والكفين.

د- الحجاب يمنع المضايقات «التحرُّش»:

يتساءل الكثيرون ولاسيما أعداء الإسلام عن السبب الذي جعل الإسلام يفرض الحجاب على النساء، ووجدوا فيه راحةً لقلوبهم السوداء وأفكارِهم العفِنة كي يدسُّوا على الإسلام ويطعنوا فيه، إلَّا أنهم لم يعلموا بذلك أنهم قد عطَّلوا عقولهم وقادهم الشيطان إلى مواخير الغواية، ولنفترض أنَّ هناك أُختين توءمين -كما يقول «د. ذاكر»- وهما على القدر نفسه من الجمال تمشيان في الشارع أمام جميع الناس، إلَّا أنَّ إحداهما ترتدي الحجاب الإسلامي الذي يغطِّي كامل جسدها ويستره، ما عدا الوجه والكفين إلى الرسغين، وهذا ما سمح به الإسلام

للظهور، بينما الأخرى ترتدي تنُّورة قصيرة أو شورتًا، وعلى ناصية الشارع يقف ذئب بشري همَجي يسيل لعابُه وهو يرى النساء أو يشمُّ رائحتهنَّ، ينتظر الفرصة المناسبة للمضايقة، فيا تُرى، على أيِّ الفتاتين سيركِّز انتباهه ويرشُّ سمومه؟ على الفتاة التي ترتدي الحجاب الإسلامي أم الفتاة التي ترتدي تنُّورة قصيرة أو شورتًا قصيرًا ؟ على اللباس المحتشم أم اللباس المغري الذي يُظهِر أكثر مما يُخفي، ويكشف أكثر مما يستر وهو طريقة خطيرة لإغواء الجنس الآخر وإثارة كَوَامن شهواتهم ودوافعِهم الداخلية التي يترجمونها بهذه الطريقة إلى أفعال خارجية شنيعة؟ لا شك، بل بلا أدنى شك إنَّ اللباس الإسلامي لا يحرِّك في النفس هذه النوازع ، إنما اللباس الفاضح المغري هو الذي يجذب إليه أمثال هؤلاء، ويهيِّج نفوسهم السقيمة للمضايقات والتحرش والاغتصاب، يقول الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٩].

فالقرآن ذكر أن الحجاب فُرض على النساء حتى يُعرفنَ كنساء محتشمات، وهذا سيحميهنَّ من التعرض للمضايقات، اللباس المحتشم درعٌ واقٍ يحمي المرأة من رَصاص النفوس المريضة، ولا يسمح لها بالاختراق، بينما التي لا درعَ لها لا تلبث أن تكون فريسة سهلة لهذه المضايقات بشكل أو بآخر.

***

يُذكِّرني ما قاله «د. ذاكر» بحادثة طريفة في إحدى الدول العربية تناقلَتْها وسائل التواصل الاجتماعي عن ذلك الرجل الذي أوقف الحافلة ليصعد هو وزوجته التي لم تترك مسحوقًا للتجميل إلّا ووضعتْه لتُكمل زينتها، تنبعث منها روائح العطور الأنثوية الأخَّاذة كاشفة مساحاتٍ كبيرة من جسدها إلّا من بعض القماش الذي يستر أجزاءً قليلة فقط، مع علم النساء اللواتي يفعلْنَ ذلك أنَّ الرجال سينظرون إليهنَّ ويكون ذلك مدعاة للسرور لديهنَّ، ولا سيما قبل الزواج، وغالبًا ما يتَّهم أمثال هؤلاء الآخرين بأنهم متخلِّفون غير حضاريين، والمهم أنهما صعِدا الحافلة، وكان جلوس المرأة والرجل قبالة رجل عجوز، إلّا أنَّه لمسافة طويلة من الرحلة ما انفكَّ يحدِّقُ بجسم المرأة المكشوف، ويتقصَّدُ التدقيق و«البَحْلَقَة»، الأمر الذي جعل الركَّاب في دهشة من هذا، وجعل زوجَها يتململ شيئًا فشيئًا، يتلفَّت حواليه وهو ساكت، لكن الرجل العجوز زاد من وتيرة تحدِيقه حتى بدأ يمدُّ رأسَه إلى الأمام نحو المرأة بشكل لافت للنظر متقصِّدًا متعمِّدًا حتى نفِد صبر الزوج، ولمَّا لم يبقَ للودِّ قضية نهرَ الزوجُ الرجلَ العجوزَ ونهاهُ عن فعله هذا، وبدأ يوبِّخُه بأنه رجل كبير في السنِّ ولا يجمُل به هذا الفعل، و.. وهنا كانت الصدمة عندما تكلَّم هذا العجوز، دُهش الجميع لما سمعوه منه إذ قال للرجل: بل عيبٌ عليك أنت، ترى لماذا كشفت كلَّ هذه الأجزاء من جسم امرأتِك؟ بما أنها لم تسترْها وتخرج بين الناس لتزدادَ جمالًا بهذا

اللباس فمعناها أنت تقول لنـا: انظـروا واسـتمتعوا، وإلَّا كيـف سـيظهر جمـال امرأتك؟!، وما الفائدة إذًا مـن هـذا اللبـاس؟!، ألـيس لتظهـر بـأبهى منظـر؟، والناس هم الذين سيحكمون عليها، وها نحن ننفِّذ وننظر لنرى إن كانت جميلة أو لا، ولو رأيتَني أمدُّ عيني إلى جزء مستور منها فيحقُّ لك الكلام، وأنا لم أفعـل هذا، أنت من يعرض الجسم العاري في مكان عام، فليس من حقـك أن تطالـب أحدًا بصرف وجهِه عنها، فهذا ليس بيتَها، والمكان للجميع.. وهنا بُهت الرجـل ولم يستطع ردَّ الجواب، كما أنه أعجب كلَّ من كان في الحافلة وشفى غليلهم.

هـ- عقوبة الإعدام للمغتصب:

كثيرًا ما يتَّهم قصيرو النظر الإسلامَ بأنه همجيٌّ لا رحمة فيه لمجرد علمهم بـبعض الأحكام دون أن تدرك عقولهم الصغيرة الحكمة من وراء تلك الأحكِام، فإذا ما وقَعوا هم في المشكلة التي وضع الإسلام لهـا الحـلَّ تجـدهم يُرعِـدون ويُزبِـدون وينسَون ما كالُوه للإسلام من أوصاف لأنَّه نـصَّ عـلى تلـك الأحكـام، ومنهـا عقوبة الإعدام للذي يثبُت عليه فعل الزنى من الـمُحصَنين، ولـكـي يـضـع «د. ذاكر» أمثال هؤلاء على المِحَك في أثناء طرح الأسئلة عليه كان يجعلهم يلفُّون الحبل حول أعناقهم من حيث لا يشعرون، إذ يقول لأحدهم:

- افترِضْ -لا قدَّر الله- أنَّ شخصًا ما اغتصب زوجتك أو والـدتك أو أختـك، وكنت أنت القاضي، وقد أتَوا بالمغتصب أمامك، فما هي العقوبة التـي سـتحكم بها عليه؟؟.

جميع من وُجِّه إليه هذا السؤال أجابوا: «لا بد من قتله»، وبعضُهم وصل به الأمر وهو يتخيَّل الموقف يحصل أمامه لدرجة أن يقول: «أعذبُه حتى الموت»، وهنا يأتي السهمُ الـمُراش من «د. ذاكر»:

- إذًا، إذا اغتُصبتْ زوجتُك أو والدتُك فأنت تريد إعدام القاتل، لكن إذا كانت زوجة شخص آخر أو والدته قد اغتُصبتْ فعقوبة الإعدام حينها تكون حكمًا همجيًّا!!، فلماذا الكيل بمكيالين؟!.

و- كل «٣٢» ثانية تحدث حالة اغتصاب في أمريكا:

تدَّعي كثير من الدول المتقدِّمة أنها متحضِّرة وعلى درجة من الرُّقي في التعاملات بين سُكَّانها، إلَّا أن نظرة فاحصة لما يجري في خفايا هذا المجتمع ودهاليزه تُظهر النقيض مما يقولون، فمن المفترض أن أمريكا مثلًا واحدة من أكثر دول العالم تقدمًا، لكننا لو قرأنا أحد تقارير مكتب التحقيقات الفيدرالي لوجدنا أن «١٠٢.٥٥٥» حالة اغتصاب قد وقعت في عام «١٩٩٠م»، وأن هذا العدد يشكل «١٦٪» فقط من الحالات -كما يقول التقرير- وهي التي قد تمَّ التبليغ عنها، وسُكت عن الباقي لأمر أو لآخر، إذًا فحتى نعرف العدد الفعلي لحالات الاغتصاب التي حدثت في هذا العام فإن الحالات التي تم التبليغ عنها يجب أن تُضرب في «٦.٢٥»؛ أي إننا نتحدث عن «٦٤٠٩٦٨» حالة قد حدثت بالفعل في عام «١٩٩٠م»، ولو قُسمت على عدد أيام السنة «٣٦٥» يومًا فسنحصل على معدل يساوي «١٧٥٦» حالة اغتصاب يومياً.. وثمة تقرير آخر زاد الطين بِلَّة

عندما ذكر رقمًا أكبر من هذا لحالات الاغتصاب اليومية في الولايات المتحدة الأمريكية أوصلها إلى ما يقرب من «١٩٠٠» حالة اغتصاب تحدث كلَّ يوم..

وأما في عام «١٩٩٦م» فطبقًا لاستطلاع الرأي الذي قام به المركز القومي لمكافحة الجريمة التابع لقسم العدالة الأمريكي فإن هناك «٣٠٧٠٠٠» حالة اغتصاب قد سُجلت في هذا العام، وكالعادة فإنَّ «٣١٪» فقط من هذه الحالات قد تمَّ التبليغ عنها؛ أي إنَّ الرقم الفعلي هو ما يقرب من «٩٩٠٣٢٢» قد حدثت بالفعل في عام «١٩٩٦م» بمعدل «٢٧١٣» حالة يوميًّا؛ أي إن كل «٣٢» ثانية تحدث حالة اغتصاب في أمريكا ..

فهذا يعني أن معدل الاغتصاب قد زاد من وتيرته ولم ينقص، والمغتصبون الأمريكيون قد ازدادوا جرأة، ويكمل تقرير مكتب التحقيقات الفدرالي لعام «١٩٩٠م» بأن «١٠٪» فقط من المغتصبين قد تمَّ القبض عليهم من بين كلِّ الحالات التي سُجلت؛ أي بمعدل «١.٦٪» من عدد الحالات التي ارتُكبت بالفعل، أضف إلى ذلك أنَّ «٥٠٪» منهم قد تمَّ إطلاق سراحهم قبل المحاكمة، وهذا يعني أنَّ «٠.٨٪» فقط من الحالات قد ذهبت للمحاكمة، بمعنى آخر لو ارتكب شخصٌ ما «١٢٥» حالة اغتصاب فإن فرص تعرُّضه للمحاكمة ونيل العقاب تساوي فرصة واحدة تقريبًا .. قد يعتبر البعض هذا مقامرة جيدة..

وليت الأمر يقف عند هذا الحد، فقد ذكر التقرير أنه في حالة عرض المغتصِب على المحاكمة فإنه يحصل على حكم بقضاء أقل من سنة واحدة في السجن، فبالنسبة للمغتصب لأول مرة فالقاضي عادةً ما يكون متساهلًا معه مما يزيد

الأمر سوءًا، فلنتخيَّل جميعًا ما يحصل بشكل موجز: شخص قد ارتكب «١٢٥» حالة اغتصاب، وفُرص إدانته هي مرة واحدة، و«٥٠٪» من الحالات سيكون القاضي متساهلًا فيها ويعطي حكمًا أقل من عام واحد في السجن للمغتصِب!!.. إذًا فما الحلُّ..؟، لنفترض أن الشريعة الإسلامية طُبِّقت في أمريكا، وهذه الشريعة تقتضي غضَّ البصر في كل الأحوال، إلَّا أنَّه إنْ نظر أيُّ رجل الى امرأة وخطر في ذهنه أي فكرة مَشِينة أو غرائزية فإنَّ الشريعة تأمره أنْ يغضَّ بصره على الفور، وإذا ما ارتدت النساء اللباس الإسلامي الصحيح بحيث يكون الجسم مغطًى بالكامل باستثناء الوجه والكفين إلى الرسغين فإن هذا سيمنع تلك الحالات، وإذا ما قام أي رجل باغتصاب امرأة ما فإنه يُعاقَب بالحكم عليه بالإعدام، إذا طُبِّق هذا في أمريكا فالسؤال يطرح نفسه عندها: هل سيزداد معدل جرائم الاغتصاب في أمريكا أو سيبقى كما هو أو سيقلُّ؟؟ المنطق يقول إن المعدل سيقلُّ حتمًا.. إذًا فالإسلام لديه حلول عملية لمشاكل الجنس البشري، وهو أفضل طريقة للحياة؛ لأن تعاليمه ليست مجرد خطب عقائدية بليغة بل هي أيضًا ممارسة عملية على أرض الواقع يحقِّق نتائجَ على مستوى الفرد والجماعات .

***

٦- لماذا تكون حصة المرأة نصف حصة الرجل في الميراث؟.

ومن المطاعن التي وجدت سبيلًا إلى أفواه أعداء الإسلام هو لماذا في حكم الشريعة الإسلامية تكون حصة المرأة من الميراث نصف ما يحصل عليه

الرجل؟!، أليس ذلك انتقاصًا من كرامتها وحقها؟!، ألم يقلِ القرآن: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]؟ فأين العدالة في ذلك؟.

والخبير بأمور المواريث يعلم علم اليقين أنَّ هذا الكلام باطلٌ من أصله، فالمرأة في الإسلام محصَّنة تمامًا أكثر من المرأة غير المسلمة، والقرآن في هذا شديد الوضوح، وتوزيع الميراث يخضع لأحكام، وليس واحدًا في كل الحالات، ولا يوجد شرع يضاهيه أو يدانيه في مسألة تقسيم الميراث لما فيه من دقَّة وفقًا للحالات والظروف، ولكلِّ حالة تعليل منطقيٌّ لها، فبالنسبة للأبناء والبنات فالابنُ يأخذ مثل حظِّ ابنتين، واذا كان لديك ابنتان أو أكثر من دون وجود ذكور فلهما الثُّلث، وإذا كانت لديك ابنة واحدة، فلها النصف، وإذا كان لديك أبناء وبنات يحصل والداك على السُّدس، وإن لم يكن لديك أبناء وبنات فستحصل أمك على الثُّلث، وإن كان لك إخوة وأخوات فستحصل أمك على السدس، وإن توفِّيت زوجتك ولم يكن لها أطفال فستأخذ أنت النِّصف، وإن كان لزوجتك أطفال فستأخذ منها الربع، أما ما تتركه أنت لزوجتك فلها الربع إن لم يكن لك أطفال، ولها الثُمن إن كان لك أطفال، هذا بالمختصر ما لخصه «د. ذاكر» من آيات القرآن الكريم التي تتحدَّث عن الميراث، وفي أغلب الأحوال فإن المرأة ترِث نصف ما يرثه نظيرها الرجل، ولكن ذلك لا يكون بشكل دائم، ففي الحالة التي يكون فيها المتوفَّى ليس له ولد ولا والد ولكن له أخت أو أخ فلكل واحد منهما السُّدس، أما إن كان للمتوفَّى أولاد فإن كلًّا من الأبوين يحصل على حصة مماثلة ويرِث كلٌّ منهما السدس.

ونركِّز هنا على أنه في بعض الحالات فإن المرأة ترث «ضِعف» ما يرثه الرجل، وذلك إن كان المتوفَّى امرأة ولم يكن لديها أولاد ولا إخوة وأخوات وكانت تعيش فقط مع زوجها وأمها وأبيها، فهنا يرث الزوجُ نصف التركة بينما أمها ترث الثلث وأبوها يرث ما تبقى وهو السدس، وبهذه الحالة الخاصَّة تكون الأم قد ورثت ضِعف ما ورثه الأب.

وعودةً إلى الذي يراه غير المسلمين أو الملحدون ليس عادلًا في توزيع الميراث وهو أن المرأة ترِث نصف ما يرثه الرجل فإنَّهم نظروا إلى ما يريدون وأغفلوا ما لا يريدون، ولم يطَّلعوا على كل ملابسات المسألة في الإسلام وما يتعلَّق بأحكام المرأة بشكل عام، ونظروا للموضوع من زاوية ضيِّقة فلم يرَوا وجه الحقيقة، إذ ثمة حكمةٌ كبيرة وراء هذا التقسيم، وإلَّا فلن يكون هناك عدلٌ في الإسلام، وعلى سبيل المثال فالحالات الآتية هي التي قصدها هؤلاء:

١- الابنة ترِث نصف ما يرِث الابن.

٢- الزوجة ترِث الثمن، والزوج يرِث الربع إن كان المتوفَّى ليس له أولاد.

٣- الزوجة ترِث الربع، والزوج يرِث النصف إن كان للمتوفَّى أولاد.

٤- إن كان المتوفَّى ليس له ولد ولا والد فالأخت ترِث نصف ما يرثه الأخ.

وكمت أسلفت فإن الحكمة غابت عنهم أو غيَّبوها هم أنفسُهم، فالمرأة في الإسلام ليس لديها التزامات مالية، والمسؤوليات الاقتصادية تقع جميعُها على عاتق الرجل، فقبل أن تتزوج المرأة يكون والدها أو أخوها مسؤولين عن توفير سكنها وملابسها ومأكلها ومشربها وإقامتها وكلِّ المتطلبات المالية الأخرى التي

تخصُّها، وبعد أن تتزوج يكون ذلك واجب زوجها وأبنائها، أما المرأة فلا تتحمَّل أيَّ أعباء، وليست مضطرَّة للعمل لكسب المال، وليست مضطرَّة لتحمُّل الأعباء والأتعاب والشقاء، فالرجل هو المسؤول عنها منذ ولادتها إلى مماتها، إنَّ الإسلام يُحمِّل الرجلَ المسؤولية المادية كاملة لسدِّ احتياجات عائلته، وحتى يتمكَّن الرجل من تحمُّل هذه المسؤولية فإنه يحصل على ضِعف القسمة من الميراث، ولأن المرأة لا تتحمَّل شيئًا فإنها الرابحة في هذه القسمة أكثرَ من الرجل، لأنها لن تصرِف شيئًا وفق الشريعة الإسلامية، أما تقديم المساعدة والعون للزوج أو لأحد ما فهذا لا يُجبرُها عليه أحد.

ولأن معظم المجتمعات لا تستوعب الأمور إلَّا إذا قرنتها بالأوضاع المادية، ولاسيما الغربيين لم يجد «د. ذاكر» بدًّا من أن يجعل أرقام الأموال تطرقُ مسامعَهم فيسمعون رنَّتها فتهفُو إليها أسماعُهم، فضرب لهم مثلًا ممَّا يعقلون أنه إن كان هناك رجل قد تُوفي وترك تقريبًا «١٥٠» ألفًا لأطفاله الذين هم عبارة عن ابن وابنة، فإنَّ الابن يرث «١٠٠» ألفًا والابنة ترث «٥٠» ألفًا فقط، ومن ضمن الـ «١٠٠» ألف التي ورثها الابن وبسبب واجبه تجاه أسرته فمن الممكن أنْ ينفق عليهم كامل هذا المبلغ أو حوالي «٨٠» ألفًا، لذا فسوف يبقى لديه نسبةٌ ضئيلة من الميراث بما يقارب «٢٠» ألفًا مما تبقَّى له.. ومن ناحية أخرى فإن الابنة التي ترث «٥٠» ألفًا ليست ملزمة بإنفاق قطعة واحدة على أيِّ أحد، وبإمكانها الاحتفاظ بكامل المبلغ لنفسها.

والسؤال القاصم هو ما الأفضل للنساء؟ أن يرثْنَ «١٠٠» ألف وينفقْنَ منها

«٨٠» ألفًا ولا يتبقَّى لهنَّ إلَّا القليل أو أنْ يرثْنَ «٥٠» ألفًا ويحتفظْنَ بها بأكملها؟!.

إن نظرةً موضوعية لتقسيم الميراث بكل حالاته تُظهر أنَّه لا يوجد دِين أو قانون في كالإسلام في عدالته نظرًا إلى أنه لا ينظر إلى تلك الحالات والظروف نظرة واحدة، وإلَّا فلن يتحقَّق العدل.

* * *

٧- أُسوةً بالرجل.. لماذا لا يُسمح للمرأة أن تتزوج أكثر من رجل؟.

ولا يزال موضوع المرأة قائمًا تُثار حوله الأسئلة الكثيرة من غير المسلمين ومنها السؤال الذي يقول: لماذا يُسمح للرجل أن يتزوج أكثر من امرأة ولا يُسمح للمرأة أن تتزوج أكثر من رجل؟، لماذا يكون الأمر طبيعيًّا للرجل، ولكنه غير أخلاقي للمرأة؟.

أن يأتي هذا السؤال من غير المسلمين فأمرٌ مقبول إلَّا أننا وجدناه قد تسرب على قِلَّة إلى بعض العقول المسلمة التي تحاول أن تدَّعي الحضارة وهي تفترش قاع التخلُّف والجهل، أو أن يُثار موضوع كهذا لجلب الانتباه للكاتب أو الكاتبة نفسها أو للحفاظ على حقوق المرأة كما ادَّعى البعض فليس مبررًا على الإطلاق استعمال ألفاظ من مثل: تعدُّد الأزواج، النساء مثل الرجل في كل شيء أو ما شابه ذلك، ولإعطاء مثال على ذلك فها هي إحدى الصحف العربية تطالعنا بمقال لكاتبة عربية تدعو فيه إلى تعدُّد الأزواج للمرأة الواحدة أسوةً بتعدد الزوجات للرجل الواحد، ولكي تتحقَّق المساواة - برأيها- فليس من الضرورة

أن نمنع الرجل من تعدُّد الزوجات بل أن نسمح للمرأة بتعدُّد الأزواج أسوة بالرجال، فهكذا تحصل المساواة، وادَّعت الكاتبة أن الحجج التي يسوقها الرجال لتعدُّد الزوجات مثل الملل وتراجع الرغبة لديهم نحو زوجاتهم تنطبق تمامًا على النساء.

وهنا جاء معلومة «د. ذاكر» صادمة لكثير من الحضور عندما قال للسائل: دعني أخبرْك أن القرآن هو الكتاب الديني الوحيد على وجه الأرض الذي يقول: «تزوَّج واحدة فقط»، وإذا قرأت أيَّ كتاب ديني آخر غير القرآن مثل: «الفيداس» و«الرامايين» و«المهابهارات» وكتب النصارى واليهود فإنك لن تجد أيَّ معلومة تقول: «تزوج واحدة فقط»[1]...

وكانت الإجابة متعددة الأشكال والألوان، إذ هناك أسباب كثيرة تمنع أن يكون للمرأة أكثر من زوج واحد، فإذا أُجيز للمرأة أن تتزوج بأكثر من زوج فإنَّ مشكلة قلَّة عدد الرجال سوف تتضاعف، وفي الحالة الطبيعية إذا كان للرجل أكثر من زوجة فعند ولادة الطفل سيُعرف من هو الأب ومن هي الأم، بينما إذا كانت المرأة ذات أزواج متعدِّدين فلا يمكن معرفة الأب، فإذا ذهبت لتسجل الطفل في المدرسة وقاموا بسؤالك: ما هو اسم الأب؟ فعليك أن تعطي اسمين أو أكثر، قد تقول إننا نستطيع التحديد اليوم عن طريق الـ «DNN»، ويمكن بذلك معرفة الأب و الأم، نعم، ولكن هذا في الفترة الأخيرة فحسب، لكن ماذا

(١) انظر تفصيل ذلك في ص١٧٨.

عن القرون السابقة؟، وثمة أسباب أخرى لعدم إمكانيَّة أن يكـون للمـرأة أكثـر من زوج، ويقول لنا العلم الحديث اليوم إنَّ تغيراتٍ نفسيةً مختلفة تصـيب المـرأة خلال الدورة الشهرية، ومن الصعب عليها القيام بدور زوجة لأكثر من رجـل، في الوقت الذي يقدر فيه الرجل أن يكون زوجًا لأكثر من امرأة، إضافة إلى ذلك فالعلم الحديث اليوم يخبرنا أنه إذا كان للرجل أكثر من زوجة وكلهـنَّ مخلصـات فلن يكون هناك أي مشكلات طبِّية، أما إذا كان للمرأة أكثر مـن زوج فسـيكون هناك احتمال كبـير للإصـابة بـأمراض جنسـية حتـى إن كـانوا جميعًـا مخلصـين، والأسباب لا تقف عند هذا الحد، وهذه أهمُّها.

* * *

(محمد) في الكتب المقدسة

ومختلف المخطوطات التاريخية والدينية في العالم

يخطئ الكثيرون إذ يظنون أنَّ النبيَّ محمدًا -صلى الله عليه وسلم- هو من أسَّس الديانة الإسلامية، ليس الأمر كذلك، وإنما تأسيسها منذ أن وطئ الإنسانُ الأول سطح الأرض، وقد ورد ذكر نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- منذ القِدم في مختلف الكتب المقدسة.

* * *

الرسول في الكتب الهندوسية

فإذا ما أتينا إلى الكتب الهندوسية المقدَّسة لوجدنا اسم نبيِّنا فيها، إذ تقول إحدى الآيات إنه «كُورما» التي تعني «المهاجر»، ونبينا محمد -عليه الصلاة والسلام- كان مهاجرًا، حيث هاجر من مكة إلى المدينة المنورة، وتتابع «المانترا»[1] فتقول: إنه يكون محاطًا من ستين ألفًا وتسعين عدوًّا، ويقارب هذا العدد سكان مكة وما حولها الذين عارضوا الرسول في ذلك الوقت، أما المانترا الثانية فتقول: إنه

---

(١) وتعني «تعويذة»، وتكون إما فونيمًا صوتيًّا أو كلمة أو جملة، تساعد في إيجاد تحوُّل نفسي، بدأت في الديانة الفيدية الهندية، ثم أصبحت أساسًا عند السِّيخ والهندوس، ومن عادات البوذية والجاينية.

سيركب الجمال، والرجل الصالح الـ «براهما» عند الهندوس بحسب الفصل «١١» من كتاب «مانوسمرتي» في الآية «٢٠٢» فإنَّه ممنوع من ركوب الجمال واعتلاء ظهور الحيوانات، ولا يجوز له أن يستحمَّ عاريًا، بل عليه أن يخفي اغتساله ليطهُر، إذًا وبحسب الطبيعة فلا بدَّ أنْ يكون غريبًا لا هنديًّا، والمانترا الثالثة تقول إنَّه سيكون «مهاريشي»، التي تعني: العظيم السَّمِيَّ المتأمِّل، وتقول بعض المخطوطات الهندوسية إنه سيُدعى «محمد ريشي»، مع الاختلاف في طريقة نطق الاسم، والمانترا الرابعة تقول: إنه «مهاراتشريج»، ولفظة «ريج» تعني الشخص الذي يَمدح، أي: الشخص المادح، أما في اللغة العربية فمعناها «أحمد»، وهو اسم آخر للنبي محمد -عليه الصلاة والسلام-، إذًا وبالطبع فإن هذه المخطوطات لا تشير إلى شخصية مختلفة عن شخصية نبينا محمد -عليه الصلاة السلام-، ونجد في المخطوطات الهندوسية نبوءات مماثلة كثيرة، ولو قرأنا في الكتاب «٢٠» من الأثرافيدا في الآية «٦» من النشيد «٢١» لوجدنا أنها تتكلَّم عن معركة الحُلفاء؛ أي: غزوة الأحزاب، كما أنها تصفُ المعركة وأحداثها. أما الآية التالية في الكتاب «٢٠» من الأثرافيدا، الآية «٧» من النشيد «٢١» تقول: إن الله العظيم قد جعل ذاك الشخص يطيح بـ «٢٠» ملكًا، و«٦٠٠٩٠» عدوًّا للمصلِّي، و«أحمد» في اللغة العربية اسم آخر للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، إذًا تقول الآية: إن الله العظيم قد جعل ذاك الشخص يطيح بـ «٢٠» ملكًا، في زمن النبي كانت مدينة مكة مقسومة بين عدة قبائل، وكان لكلِّ قبيلة زعيمُها المختلف عن زعيم القبيلة الأخرى، وكان عدد القبائل

يقارب العشرين، إذًا فالملوك العشرون يرمزون إلى زعماء تلك القبائل، وأن الأعداء المذكورين يقاربون عدد سكان مكة الذين عارضوا نبينا في ذلك الوقت، وترد هذه النبوءة عينُها في الكتاب الأول من الرفافيدا في الفصل «٥٣»، في الآية «٩»، ولكن المخطوطة تستعمل لفظة: «فيشراعما»، ولو ترجمنا هذه الكلمة إلى اللغة الإنجليزية لوجدنا أن معناها: «مَن يستحق المديح»، وأما في اللغة العربية فهي تعني: «محمد» -عليه الصلاة السلام-.. ومرة جديدة في «السامافيدا»، يَرِد ذكر نبينا في الكتاب الثاني منه، في الفصل «٦»، في الآية «٨»، حيث ورد أن أحمد -عليه السلام- سيتلقَّى القانون الإلهي الأبدي، و«أحمد» في الأصل هو اسم النبي «محمد» -عليه الصلاة السلام-، وإليه أعطى الله القرآن وأوحى إليه بالقرآن الكريم، المخطوطاتُ الهندوسية تعجُّ بالنبوءات التي تتحدث عن رسولنا الكريم... ومعظمها يقول إنه عليك أن تتَّبع سيدنا محمد -عليه الصلاة والسلام-، إذا قرأت «بهافيشي بورنا»، بارف «٣»، قسم «٣»، فصل «٣»، الآيات «٥-٨» و«١٠-٢٧» فإنها تتكلم عن محمد -صلى الله عليه وسلم، وكذلك إذا قرأت «أثرافافيد»، الكتاب «٢٠»، الترنيمة «١٢٧»، الآيات «١-١٤»، وكذلك «ريجفيد»، كتاب «١»، الترنيمة «٥٣»، الآية «٩»، وإذا قرأت «السامفيد آكني»، مانترا «٦٤» كلها تتكلم عن سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم، حتى إنَّ الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- مذكور بالاسم ويُدعى «أحمد»، ومعناه الشخص الذي يستحقُّ المدح، وذلك في «سامفيد أوترجك»، مانترا «١٥٠٠»، وفي «سامفيد آندرا»، الجزء «٢»، مانترا «١٥٢»، و«ياجورفيد»،

الجزء «٣١»، الآية «١٨»، و«ريجفيد»، الكتاب «٨»، الترنيمة «٦»، مانترا «١٠»، و«أثرافافيد»، كتاب «٢٠»، ترنيمة «١٢٦»، مانترا «١٤».. إنه مذكور باسمه «محمد» حيث يُدعى «ناراشانسا»، حيث تعني «نارا»: الرجُل، و«شانسا»: الجدير بالمدح؛ أي: إنها تعني الشخص الجدير بالمدح، وإذا قمنا بترجمة «ناراشانسا» إلى اللغة العربية فسيكون معناها «محمد»، وهو مذكور بهذا الاسم في أماكن عدة، منها: «ريجفيد»، كتاب رقم «١»، ترنيمة «١٣»، الآية «٣»، و«ريجفيد»، كتاب «١»، ترنيمة رقم «١٨»، مانترا «٩»، و«ريجفيد»، كتاب «١»، ترنيمة «١٠٦»، مانترا «٤»، و«ريجفيد»، كتاب «١»، ترنيمة «١٤٢»، مانترا «٣»، و«ريجفيد»، كتاب «٢»، ترنيمة «٣»، مانترا «٢»، و«ريجفيد»، كتاب «٥»، ترنيمة «٥»، مانترا «٢»، و«ريجفيد»، كتاب «٧»، ترنيمة «٢»، مانترا «٢»، و«ريجفيد»، كتاب «١٠»، ترنيمة «١٨٢»، مانترا «٢»، و«ياجورفيدا»، الجزء «٢٠»، الآية «٣٧»، و«ياجورفيدا»، الجزء «٢١»، الآية «٣١»، و«ياجورفيدا»، الجزء «٢١»، الآية «٥٥»، و«ياجورفيدا»، الجزء «٢٠»، الآية «٥٧»، و«ياجورفيدا»، الجزء «٢٨»، الآية «٢»، و«ياجورفيدا»، الجزء «٢٨»، الآية «١٩»، و و«ياجورفيدا»، الجزء «٢٨»، الآية «٤٢».. وبإمكاني -يقول «د. ذاكر» - أن أستمر في سرد المصادر التي تتحدث عن النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- في الكتب الهندوسية، لذلك فإن كتبَكم الهندوسية تقول إنه هنالك إلهٌ واحد عليكم أن تعبدوه وحدَه، وعليكم أن تتّبعوا خاتم الرسل، حتى إنَّ الكتب الهندوسية تتكلم عن الـ «كالكي أفْتار» التي تعني: «نبي كالكي المقبل»، وهو محمد -صلى

الله عليه وسلم- كخاتم الرسل، وتذكر أنَّ اسم أمِّه سيكون: «سوماثي» التي تعني «آمنة»، وهو اسم أمِّ النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وتقول إنَّ اسم أبيه سيكون: «فينشو ياش» التي تعني «عبد الله»، وهو اسم والد النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وتقول إنه سيُولد في «سامبالا» التي تعني: مكان السلام، وهي «مكة»، وسيُولد في قبيلة من زعماء مكة، وهي قبيلة «قُريش»، ولديه أربعة أصحاب، وهم الخلفاء الراشدون الأربعة... يمكنني الاستمرار بالحديث عن «نبي كالكي المقبل»، إنه سوف يأتي وسيكون خاتم الرسل وهو محمد -صلى الله عليه وسلم-.

* * *

كلمة سواء

لقد سعى «د. ذاكر» جاهدًا إلى إظهار نقاط التشابه بين الإسلام وباقي الديانات حتى يثبت أنَّ الإسلام هو آخر الأديان التي ينبغي للبشرية أن تتَّبعه لكونه المرحلة الأخيرة من تسلسل العقائد التي أنزلها الله إلى البشر لكونها جميعًا سلسلةً متَّصلة يواكب كلٌّ منها مرحلة معينة، وإذا ما ظهرت نقاط التشابه تلك ظهرت الدعوات الموجودة في طيَّات كتب تلك العقائد إلى الإيمان المطلق بنبوَّة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فمع ما حصل لكلٍّ تلك الكتب من تحريف وتزييف فإنَّ الحقَّ لا بدَّ أنْ تبقى آثاره، وهذه ما فتح الله به على «د. ذاكر» حيث

استطاع إثبات نبوَّة الرسول الكريم من كتبهم، إلَّا أنَّ فتاة هندوسية أرادت العكس، فلماذا لا يُظهِر «د. ذاكر» نقاط الاختلاف؟، ولا بدَّ أنْ يكون المنطلَق من كتاب الله الكريم الذي يقول: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، فهذه الآية القرآنية – كما يقول «د. ذاكر»- تبيِّن لنا الطريقة التي نخاطب بها أنواعًا مختلفة من الناس، أما فيما يخص الاختلافات فأستطيع أن أعطي محاضرة تمتدُّ لساعات وساعات عن الاختلافات، إلَّا أنه لا طائل منها لأنها ستكون عدائية، وتشعل الحقد بين الطرفين، فربما يؤذي ذلك مشاعرَ أحدهم، قد أُجبر على فعل ذلك خلال مناظرة، كما حصل في مناظرة الدكتور «ويليام كامبل»، حيث كانت تلك المناظرة تتحدَّث عن الفروقات بين الإسلام والمسيحية لأنه كتب كتابًا يقول فيه إنَّ القرآن فيه «٣٠» خطأً علميًّا، ولم يردَّ عليه أحد خلال «٨» سنوات، وأصبح الكتابُ ذا مبيعات عالية في الولايات المتحدة الأمريكية، لذا فإن الطلاب هناك اتصلوا بي، وكان الحوار بعنوان: «القرآن والإنجيل في ضوء العلم»، أجبتُ عن جميع الادِّعاءات التي ادَّعاها، وأظهرتُ له «٣٨» نقطة في الإنجيل مناقضة للعلم، ولم يستطع الردَّ على أيٍّ منها، ومقصدي من هذا أنني خلال المناظرات قد ألجأ إلى هذا، لذا فإنني إن كنت سأناظر هندوسيًّا وقال إن «الفيداس» لا يخالف العلمَ عندئذ أستطيع الحديث عن الأشياء غير العلمية في «الفيداس»، أما الآن فستشعرين بالاستياء، لكنْ يمكنُك طرح الأسئلة ونجيبك عنها، أمّا أمام العامة فلا أريد التحدث عن

التناقضات.. كان الهدف من ذلك التقريب وليس التنفير، وبما أنَّ البحث عن النقاط المشتركة هو الهدف فإنَّ ذلك يصبُّ في مصلحة البشر عمومًا، لأنَّ أهم النقاط المشتركة كما في الكتب المقدَّسة هو عبادة إله واحدة، وتحريم عبادة الأصنام، وأنَّ النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- مذكور في كلِّ الكتب المقدسة، فهذه دعوة للإسلام.

***

الرسول في الكتب الزرادشتية

فلنتحدث عن النُّبوءات التي تهيِّئ لمجيء النبي في المخطوطات الفارسية، «زرادَشْتْ» هو نبي الديانة الزرادشتية، وتُعرف هذه الديانة بعبادة النار، أو المجوسية أيضًا، نشأت هذه الديانة منذ حوالي «٢٥٠٠» عام، في بلاد الفرس، لها نوعان من المخطوطات المقدسة، «الدساتير» و«الأفاستا»، تُقسَّم الدساتير هي الأخرى بين الزند أباستاق، والخرد أباستاق، وقد كُتِبَتْ هذه الدساتير أصلًا باللغتين البهلَوية والزِّندية، كما أن بعضها كُتب باللغة المسمارية، هناك نبوءات متعددة في المخطوطات الفارسية تمهِّد لمجيء النبي محمد -عليه الصلاة السلام، ولو قرأتم في «الزند أباستاق» في الفصل «٢٨»، في الآية «١٢٩»؛ أي: في الكتاب «٢٣» من كتاب الشرق المقدَّس لوجدتم أن ذاك النبي الآتي سينتصر لا محالة، واسمه: «أستَوِتْ أَرِيتا»، سوف يستفيد من انتصاره، ويستفيد العالم بأسره معه.

«أستَوِتْ أَرِيتـا» مخلـوق متجسِّـد يحـارب قـوى الشـر، يتَّخـذ شـكل الأفعـال الإنسانية، لو حلَّلتم النبوءة لوجدتم أن الشخص الآتي سينتصر لا محالة، ونحـن نعرف أن نبيَّنا انتصر عند فتح مكة.. «كان يستحق المـديح»، واللفظـة الأصـلية بعد ترجمتها إلى اللغة العربية تعني: محمد -عليه الصلاة السلام-. وتتابع النبوءة وتقول: إنه سوف يُدعى: «أستَوِتْ أَرِيتا»، وهي لفظة مشتقة من لفظ «أستَوِ» في اللغة السنسكريتية، ومعناها الشخص الذي يُمدح، وتذكرنا باللفظـة الفارسـية ومعناهـا «المصـلِّي»، التـي أصـبحت «محمـدًا» بعـد ترجمتهـا إلى اللغـة العربيـة، وكذلك: «سوف يعود الشـخص الآتي بـالنفع عـلى الجـنس البشـري بـأسره»، ويقول القرآن: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، تؤكـد النبـوءة، أن «أستَوِتْ أَرِيتا» سيحارب قوى الشر التي تتخـذ شـكل الأفعـال الإنسـانية، ونحن نعلم أن النبي محمد -عليه الصلاة والسـلام- حـارب قـوى الشر، ولـو قـرأتم أكثـر في «الزنـد أباسـتاق» في الفصـل الــ «١٦»، والآيـة «٩٥»؛ أي: في الكتاب الـ «٢٣» من كتاب الشـرق المقدَّس، أو الجـزء «٢» مـن كتـاب «الزنـد أباسـتاق» لوجـدتم أن أصـحابه؛ أي: أصـحاب «أسـتَوِتْ أَرِيتـا» سـيحاربون الشيطان، وسيكونون واعِين يجيدون التفكير، ويتمتَّعـون ببصـيرة قويـة ومزايـا أخلاقية سامية، ولن يصدر عنهم أي خطأ.

ونجد أيضًا نبوءة في دساتير المخطوطات الفارسـية تـتكلم عـن مجـيء رسـولنا الكريم، تقول النبوءات: إنه عندما يبتعد الزرادشـتيون أتبـاع «زرادشـت» عـن تعاليم هذا الأخير فيضلُّون الطريق السوِيَّ سـيقوم نبـيٌّ مـع أصـحابه ويُخضـع

الفُرس، وينتصر على المتكبِّرين منهم، ولن يعبد أتباعُه النار، بل يديرون وجوهَهم باتجاه الكعبة بيت إبراهيم -عليه السلام- وينزعون منها كافة الأصنام، وسوف يكون هؤلاء الأشخاص بمنزلة رحمةٍ للبشر كافة، سيحكمون على أرض الفُرس المقدسة؛ أي: على إيران اليوم، وسيكون هذا النبي بليغًا وكريمًا، ولا تنطبق هذه النبوءة على أحد باستثناء النبي محمد -عليه الصلاة والسلام- وتتكلَّم عن أصحابه الذين لا يعبدون النار، بل يديرون وجوهَهم باتجاه الكعبة بيت إبراهيم -عليه السلام- وهم يصلُّون، ولو تابعتم القراءة في الفصل «٦٠» من كتاب «باندا شياست» وتحديدًا في الآيات «٦- ٢٧» تجدون أن «سوشيند» سيكون النبيَّ الأخير؛ أي: من يستحق المديح؛ أي: محمد -عليه الصلاة والسلام- إذًا سيكون النبي محمد -عليه الصلاة والسلام- النبي الأخير، قال الله -تعالى-: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

***

الرسول في الكتب البوذية

إن قرأتم في المخطوطات البوذية «سُنَّة سلطانة» في الآية «٧٦» من الفصل

« ١١١ » تقرؤون نبوءة «مايتري»[١]، وهذه النبوءة واردة في معظم المخطوطات الدينية البوذية، تقول النبوءة: إنَّ «بوذا» سوف يأتي بهيئة مايتري، وسيكون مقدسًا ومترفعًا ومنوَّرًا والعالِم بكل شيء، سيكون حكيمًا وميمونًا وعالِمًا بأمور الكَوْن، سيتلقَّى القانون الأبدي والمعرفة العليا، سوف يبشِّر بديانة تكون عظيمة في البداية، بل في أَوْجِها، سوف يبشر بديانة مكتوبة بطريقة الديانة البوذية عينِها، ولكن سيكون لهذا المايتري ألوف الأتباع فيما لم يتَّبع بوذا سوى المئات لا أكثر، ونصادف النبوءةَ عينَها في كتاب «الشرق المقدس»، فنقرأ أن «بوذا» سوف يأتي بهيئة مايتري، وسيكون له ألوف الأتباع، فيما لم يتَّبع بوذا سوى مئات لا أكثر، وكذلك نقرؤها في إنجيل «بوذا بايكاريس»، وتحديدًا في الصفحتين «١٠٧ - ١٠٨»، ولو فكَّرنا بكلمة «مايتري» لعرفنا أنها تعني الشخص الذي يستفيد والرحيم والمحِب واللطيف، وفي اللغة العربية لا تدلُّ على هذه الصفات مجتمعة سوى كلمة «رحمة»، ويقول القرآن عن النبي: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]؛ أي: رحمةً للجنس البشري بأسره، وكل سورة من سور القرآن الكريم تبدأ بجملة جميلة، وهي: «بسم الله الرحمن الرحيم»، باستثناء سورة «التوبة»[٢]، وقد وردت كلمة «رحمة» « ٤٠٩ » مرات على أقل تقدير، إذًا فالمايتري

---

(١) وتعني: المعلِّم والسيِّد والقائد والقدوة والإمام...

(٢) قيل لأنها نزلت في خيانة قريش ونقضهم للعهود فلم يناسبها البسملة لأنها نزلت بحدِّ السيف، وقيل لأنها من سورة الأنفال، وقيل غير ذلك.

الذي تتحدث عنه النبوءة هو نبينا محمد -عليه الصلاة والسلام- إن تابعتم القراءة في المخطوطات البوذية، في «مهابرينيبانا»، الفصل «٢»، الآية «٣٢» التي ذُكرت أيضًا في كتاب «الشرق المقدس» الفصل «١١»، ص«٣٦» التي تفيد أن «بوذا» لن يفرِّق في تعاليمه بين المسائل الصعبة وتلك السهلة الفهم، ويتوجَّب على «بوذا» ألَّا يقول سوى الحقيقة، وألَّا يكون صارمًا كالمعلمين العاديين، لا يمكنه أن يبشر بتعاليم مبطَّنة تشير إلى الشيء من دون أن تسمِّيَه صراحة؛ أي: أن يكون الشيء مبطنًا من جهة وواضحًا وضوح الشمس من جهة أخرى، نحن نعرف أن نبينا محمدًا تكلم عن القرآن في العلَن، ولا زال يُتلى على الملأ حتى هذه الأيام، وتابعت النبوءة: لا يجب على أحد من المسلمين أن يخبِّئ تعاليم المسلمين عن عيون البشر الآخرين، ولو تابعتم القرآن في كتاب «السلطانة» في الفصل الخامس، الآية «٣٦»؛ أي: في كتاب «الشرق المقدس»، ص«٩٧»، تقول الآية: إنه كان لـ «بوذا» خادم يُدعى «أناندا» لذلك سيكون لمايتري الآتي خادم هو الآخر، وخادم النبي محمد كان أنس بن مالك -رضي الله عنه- كان الرسول يقول إنه ابنه الحبيب، وقد بقي «أنس» إلى جانب الرسول في أيام الحرب والسلم في الأوقات السعيدة والأيام العسيرة على حدٍّ سواء، بقي إلى جانبه حتى آخر يوم من أيام حياته، وحتى في معركة أُحُد، وحتى عندما كان الرسول في سن الحادية عشرة، وقف أنس إلى جانبه وحماه عندما هاجمه الأعداء من كلِّ صوب، وحتى في معركة حُنين؛ أي: عندما أطلق الأعداء السهام باتجاه الرسول، يمكننا أن نشبهه بـ «أناندا» الذي وقف إلى جانب «بوذا» حتى عندما هاجمه الفيل الوحشي،

لو قرأتم إنجيل «بوذا بايكاريس» في الصفحة «١١٤» تجدون «٦» مزايا يجب أن تتوافر في المايتري، وهذه المزايا الستُّ المذكورة تناسب نبيَّنا محمد -عليه الصلاة والسلام- تمامًا، يقول المقطع: «إنه سيُقبل الوحي في خلال الليل، وينوَّر عندما يُقبل وسيموت ميتة طبيعية في خلال الليل»، ونحن نعرف ما قالته عائشة -رضي الله عنها- عن موت الرسول، لم يكن عندها في القنديل زيتٌ، فاستعارت كمِّية من الجيران، وذلك دليل على أن الرسول مات في أثناء الليل، يقول الفصل الخامس إنه «عندما يموت المايتري سيتنوَّر من جديد ويشعُّ نوره»، ويقول إنه بعد موته لن يظهر في هذا العالم من جديد بهيئته الجسديَّة، وذلك أمر لا ينطبق سوى على رسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، النبوءات كثيرة، فلو تابعتم القراءة في «الداماتوبا» في كتاب «الشرق المقدس»، وتحديدًا في ص«٦٧» من الكتاب «١٠» التي تقول: إن «التوتاغوتاز»؛ أي: البوذيين مبشِّرون لا أكثر، ويقول القرآن في هذا الخصوص: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١]؛ أي: مسؤوليتكم هي إيصال الرسالة، كانت مسؤولية ناقل الرسالة تتلخَّص بنقل الرسالة لا بجعل الناس يعتنقون ديانات جديدة، وجاء أيضًا في «الداماتوبا» في كتاب «الشرق المقدس»، في ص«٦٧» من الكتاب «١٠» إنَّ اتِّباع الطريقة السويَّة والحق هو سبيل الوصول إلى الخلاص، وورد في القرآن الكريم: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٢-٣]، ومعنى ذلك أن الناس يخسرون دائمًا إلَّا أولئك الذين يؤمنون ويعملون أعمالًا صالحة ويعملون بالحق ويبشِّرون الناس

بالحقيقة؛ أي: يمارسون الدعوة، والذين يحضُّون الناس على الصبر واتِّباع الحق نهجَ حياة، وبحسب القرآن الكريم تُعدُّ هذه الشروط الأربعة أساسية لدخول الإنسان إلى الجنة، وإحداها الحق..

***

الرسول في الكتب اليهودية والمسيحية

أما الآن فلنطَّلع على النبوءات التي تتحدَّث عن رسولنا محمد في المخطوطات اليهودية والمسيحية، وقبل أن أبدأ بذلك –يقول د. ذاكر- سأقصُّ على مسامعكم حادثة حصلت بين الكاهن المحترم «بول فاندر» ومولانا الشيخ «رحمتُ الله»، قبل أن ننال الاستقلال طلب الكاهن «بول فاندر» من مولانا «رحمتُ الله» أن ينظِّم مناظرة، ولكنَّ مولانا قال له: ولكنني لا أعرف التحدُّث باللغة الإنجليزية، أتحدَّث اللغة الأوردية فحسب، بعد عدة أشهر تعلَّم «بول فاندر» اللغة الأوردية، وقال لمولانا: ها إني الآن أعرف اللغة الأوردية، فلنُجرِ المناظرة باللغة الأوردية، في خلال المناظرة طلب «بول فاندر» من مولانا أن يبدأ، فقال له مولانا: ابدأ أنت لأنك ضيفُنا، سأل الكاهن «بول فاندر»: هل رسولُكم محمد حي أم ميت؟ فأجابه مولانا: إنه حي من وجهة نظر روحية، وهذه حياة النبي، ولكنه من وجهة النظر الجسديَّة ميت، ومدفون في المدينة المنورة، فسأل الكاهن المحترم السؤال التالي: أين رسولُكم محمد الآن؟ أطرق مولانا مفكِّرًا لبُرهة قبل

أن يجيبه قائلًا: إنه إلى جانب الله -سبحانه وتعالى- في جنة الفردوس، وسأل الكاهن سؤالًا آخر: أين كان نبيكم في أثناء معركة «كربلاء»، وأجاب مولانا بالإجابة السابقة عينِها، إنه مع الله -سبحانه وتعالى- في جنة الفردوس، تابع الكاهن المحترم أسئلته فقال: أين كان النبي عندما قُتل حفيداه «الحسن والحسين» -رضي الله عنهما-، فكَّر مولانا قليلًا ثم أجاب: ولكنه كان مع الله في جنة الفردوس، سأل الكاهن من جديد: بما أن نبيَّكم كان مع الله -سبحانه وتعالى- عندما قُتل حفيداه فلمَ لم يطلب أو يسأل الله العظيم أن يخلِّص حفيدَيه؟!.. أعقب السؤال فترة صمت، لم يتكلَّم فيها مولانا ولا كلمة، وظنَّ الجمهور المسلم الذي حضر المناظرة أن مولانا لن يعرف بماذا يجيب!! طالت فترة الصمت، فصاح الكاهن: لمَ لا تجيب يا مولانا؟ لمَ لمْ يسأل نبيُّكم الله العظيم أن يخلِّص حفيدَيه بما أنه كان إلى جانبه؟!... بعد فترة صمت طويلة قال مولانا: بكى الله -سبحانه وتعالى-، قال الكاهن: ماذا قلت؟! أجاب مولانا: نعم، بكى الله وقال: إنه لم يستطِعْ أن يخلَّص ابنه الوحيد من الموت على الصليب، فكيف يخلص حفيدَي رسول الله؟!!، يقول القرآن الكريم: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، فلو أحسسْتَ أن خصمك سيغلبُك فالجأ إلى حكمتك، ليست هذه الطريقة مناسبة لهذا الوضع ربما، ولكنه لجأ إلى حكمته لينقلب السحرُ على الساحر.

فلنطّلع الآن على النبوءات التي تتحدث عن رسولنا محمد -عليه الصلاة والسلام- في المخطوطات اليهودية والمسيحية.. يُقسم الإنجيل المقدس إلى

قسمين: العهد القديم والعهد الجديد، يسرد العهد القديم قصص كافة الأنبياء الذين أتوا قبل زمن يسوع –عليه السلام–، والعهد الجديد يتحدَّث عن حياة يسوع –عليه السلام–، لو قرأتم في الإنجيل المقدَّس الذي يعتمده الكاثوليك والذي يحوي «٧٣» كتابًا، بعض النسخ الأخرى المعتمدة تحوي «٨١» كتابًا، ولكن هذه النسخة تحوي «٧٣» كتابًا، والنسخة التي يعتمدها البروتستانت تحوي «٦٦» كتابًا فقط، فهم يقولون إن «٦» كتب من العهد القديم هرطقاتٌ فحسب، وتعني أمورًا مشكَّكًا بها، وبالتالي فإن المسيحيين البروتستانت لا يؤمنون بهذه الكتب الستة، والعهد القديم بالنسبة للكاثوليك يحوي «٤٦» كتابًا، فيما يحوي العهد القديم بالنسبة للبروتستانت «٣٩» كتابًا لا أكثر، والعهد الجديد بالنسبة للفريقين يحوي «٢٧» كتابًا، يقول القرآن: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ**﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فالمسيحيون واليهود يتَّبعون الرسول الأمي الذي ورد ذكره في التوراة والإنجيل، ولذلك لو قرأتم في العهد القديم في كتاب التثنية، الفصل «١٨»، في الآية «١٨»: يقول الله: «وأنا إذا أُقيم الرسول الأعلى من بين إخوتِه، كما سوف أضع كلامي في فمِه، فيتكلَّم بالتوصيات كافَّة»، وإن سألتم المسيحيين عمَّن تشير إليه هذه النبوءة فسيقولون إنها تشير إلى «يسوع» المسيح، وليجعلوها تتناسب مع شخص المسيح يقولون: إن موسى كان نبيًا، فيسوع المسيحَ نبي هو الآخر، بما أن موسى كان يهوديًّا فيسوع المسيح يهوديٌّ هو الآخر، وهذه النبوءة لا تناسب غير يسوع المسيح، وتقول النبوءة إنه سوف يكون كموسى، لو كانت هاتان هما

الميزتين الوحيدتين؛ أي: أنْ يكون نبيًا ويهوديًا في الوقت عينِه فإن كافة الأنبياء الذين أتَوا بعد موسى مثل: «سليمان وحزقيال وإسحاق ودانيال ويوحنا المعمدان» -عليهم السلام- هؤلاء جميعًا وافقوا النبوءة التي تقول إن يسوع المسيح كان يهوديًّا، ولكن لو حلَّلتم لعرفتم أن هذه النبوءة لا تناسب أحدًا باستثناء رسولنا محمد -عليه الصلاة والسلام-، فقد كان لموسى والرسول محمد -عليه السلام- أمٌّ وأب، أما يسوع المسيح فقد وُلد بطريقة معجزة من دون علاقة بشرية، كان له أمٌّ ولم يكن لديه أب، وبالتالي فالرسول محمد أشبه بموسى من يسوع المسيح، إذ لا يشبه عيسى موسى إلى هذا الحد وأكثر، فقد كان موسى متزوجًا، وله أولاد، شأنُه شأنُ الرسول محمد، وبحسب الإنجيل فإن يسوع المسيح لم يكن متزوجًا ولم يكن له أيُّ أولاد، ومات موسى تمامًا كالرسول محمد ميتة طبيعية، أما يسوع المسيح بحسب القرآن الكريم فقد رُفع، أما الإنجيل وبسبب القراءة الخاطئة للأحداث فيقول إن يسوع صُلب، وعلى أيٍّ حال فهو لم يمُت ميتة طبيعية، وأتى موسى تمامًا كالرسول محمد بقوانين جديدة، أما يسوع المسيح فلم يأتِ بأيِّ قوانين جديدة، وجاء في إنجيل «متى»، الفصل «٥» في الآية «١٧»: «لا تظنُّوا أني جئت لأُبطل الشريعةَ وتعاليم الأنبياء، ما جئت لأُبطل بل لأُكمل»... كان موسى تمامًا كالرسول محمد، وبالإضافة إلى كونهما رسولَين يستطيع أن يعطيَ عقوبة الموت لأيٍّ شخص أراده، ولكن يسوع المسيح لم يكن كذلك، قَبِل الناس جميعًا موسى تمامًا كما قَبِلوا الرسول محمد، ولكن ورد في إنجيل «يوحنَّا» عن يسوع: لقدَ اقتربَ من بني قومَه، ولكنَّ بني قومه رفضوه،

وهذا يعني أنه حتى بنو قومه رفضوه، ولذلك فلو حلَّلنا لوجدنا أن الرسول محمد أشبه بموسى من يسوع المسيح، لا يشبه يسوع المسيح موسى وهذه النبوءة لا تناسب أحدًا غيرَ رسولنا محمد ، وقد قال الله أيضًا: إنه يضع كلامه في فمه فيتكلَّم بالتوصيات كافة.. ونحن نعرف أن القرآن الكريم هو كلام الله الذي أعطاه لمحمد، وقد ردَّد الرسول محمد الكلام كما هو، لكأنَّ الله وضع له الكلام في فمه، وتقول الآية اللاحقة من سفر التثنية، الفصل «١٨»، الآية «١٩»: إن لم يفعل أحد بحسب كلامي فسوف أنتقم منه، إذًا فكلُّ من يؤمن بالإنجيل وبتعاليمه ولا يؤمن بالرسول محمد ينتقم منه الله، وورد في العهد القديم في سفر إسحاق، الفصل «٢٩»، الآية «١٢»: «عندما يُعطى الكتابُ للرسول العظيم يُطلب منه القراءة، ولكنه يقول لهم إنه أميٌّ»، ونحن نعرف أنه عندما أُعطيت الآية الأولى للرسول محمد قال إنه لا يعرف القراءة، قيل له: اقرأ، فأجاب: ما أنا بقارئ، وهذا يعني أنه أمِّي، ومرة جديدة نقول إن هذه النبوءة لا تناسب أحدًا إلَّا رسولنا محمدًا، حتى اسم «محمد» بالذات فهو مذكور في العهد القديم في الكتاب المقدَّس، إنه مذكور في كتاب «سليمان»، الفصل «٥»، الآية «١٦»، في جملة بألفاظ عِبرية، تحوي لفظة «محمدِم»، وقد زيد حرف الميم لأن حرف الميم يُزاد إلى ألفاظ اللغة العِبرية في حال أراد الشخص أن يحترم من يتكلَّم معه، فلو كنت تريد أن تعبِّر لله عن إجلالك له تقول: «اللهم»، زِيد حرف الميم للتعريف عن الاحترام، وكذلك قِيلت لفظة «محمدِم» للدلالة على الاحترام، لذلك فاسم «محمد» بالذات مذكور في العهد القديم في الكتاب المقدس، في كتاب سليمان،

الفصل «٥»، الآية «١٦»، في جملة بألفاظ عبرية، تحوي لفظة «محمـدِم»، وبترجمة هذه الكلمة نجد أن معناها هو «المحبوب الأحلى».

وأما النبوءات التي تتحدث عن رسولنا محمد في المخطوطات الدينيـة المسيحية فكافة النبوءات يؤمن بها المسيحيون، يقول القرآن: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ**﴾ [الصف: ٦] وذلك لتتمَّ النبـوءة التـي سـبقت ميلاده، والتي مهَّدت لمجيء رسولٍ في وقت لاحق، وسيكون اسم هذا الرسول «أحمد»، ويقول القرآن الكريم : ﴿**إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾ [الصف: ٦]، وبالإضافة إلى النبوءات في العهد القديم نجد نبـوءات كثيرة في العهـد الجديـد، ففـي إنجيـل يوحنا، الفصل «١٤»، الآية «١٦»، حيث يقول يسوع المسيح بنفسه: إنه سيصلّي ويطلب من الله الأب أن يعطيَهم مُعزِّيًا آخرَ ليمكثَ معهم إلى الأبد، وفي إنجيـل يوحنا، الفصل «١٥»، الآية «٢٦»، جاء: «ومتى جاء المعزِّي الذي سأرسلُه أنـا إليكم من الأب روحِ الحقِّ، الذي من عند الأب ينبثق، فهـو يشـهدُ لي».. وورد أيضًا في إنجيل يوحنا، الفصل «١٦»، الآية «٧»: «لكنِّي أقـول لكـم الحـقَّ، إنـه خيرٌ لكم أن أنطلقَ، لأني إن لم أنطلق فلن يأتيَكم المعزِّي، ولكن إن ذهبتُ أُرسله إليكم»، لو حلَّلنا وقرأنا في المخطوطات الأصلية المكتوبة باللغة اليونانية نجد أن اللفظة المذكورة هي «سباراكتلس» المشتقَّة من لفظة أخرى هي «بيريكليتـوس»، وبترجمة هذه الكلمة إلى اللغة الإنجليزية نجد أن معناهـا هـو «الشـخص الـذي يُمدح أو الذي يستحقُّ المديح»، أما في اللغة العربية فمعناها «محمد»، أو «أحمد»،

إذًا فبالمخطوطات الأصلية المكتوبة باللغة اليونانية نجد أن لفظ «بيريكليتوس» تعني «محمدًا» -عليه السلام-، وحتى لو لم تكن اللفظة «بيريكليتوس» بل «باراكليتوس» فاللفظة الحرفية لا تعني «المعزِّي»، وإنما تعني «الصديق» أو «الصاحب»، وبعيدًا عن ضياع المسيحيين بين الألفاظ «سباراكليتوس» أو «باراكليتوس» هو الشخص الذي يُمدح أو يستحق المديح أو المحبوب أو المعزِّي أو الصاحب، وهذه الصفات جميعها تتوافق كافة مع رسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم.

قد يقول المسيحيون إن الإنجيل يُشير بلفظة «المعزِّي» إلى الرُّوح القُدُس لا إلى الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-، لذلك نذكِّرهم بما تقوله النبوءة حقًّا في إنجيل يوحنا، الفصل «١٦»، الآية «٧»: «لكنِّي أقول لكم الحقَّ، إنه خيرٌ لكم أن أنطلق، لأني إن لم أنطلقْ لن يأتيَكم المعزِّي، ولكن إن ذهبتُ أرسله إليكم»، إذًا فمَجيء المعزِّي مشروط بذهاب المسيح يسوع -عليه السلام-، بينما الرُّوح القُدُس الذي يتحدث عنه المسيحيون قد كان موجودًا قبل ولادة المسيح -عليه السلام-، وكان موجودًا عندما تعمَّد يسوع ، لذلك فالنبوءة لا تتكلَّم مطلقًا عن الرُّوح القُدُس، بل ترمز ومن دون أدنى شك إلى رسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم-.

ومن النبوءات أيضًا في إنجيل يوحنا، الفصل «١٦»، الآيات «١٢-١٤»، يقول المسيح: «إنَّ لي أمورًا كثيرة، أقولها لكم أيضًا، ولكنَّكم لا تستطيعون أن تحتمِلوا الآن، أما متى جاء ذاك روح الحقِّ، فهو يرشدُكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلَّم

من نفسه، بل كلُّ ما يُسمع منه يتكلَّم به ويخبرُكم بأمور آتية، ذاك يمجِّدني»، هذا المعزِّي الذي يتكلَّم عنه الكتاب المقدس ليس الرُّوح القُدُس، بل رسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، والنبوءة المتعلقة بالرسول عليه السلام واردةٌ بوضوح في العهد الجديد، ويقول القرآن الكريم: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠]، لقد آمنَ ولكنكم استكبرتم، والله لا يهدي القوم الظالمين، تقول هذه النبوءة الواردة في القرآن إن كلام الله هو القرآن، وأنتم رفضتموه، أنتم يا غيرَ الإسلام، أيها الفُرس أو الهندوس أو البوذيون أو اليهود أو المسيحيون، هذا هو كلام الله في القرآن، وقد شهد شاهد من بينكم، ولكنَّكم رفضتموه، كان الشاهد الذي من بينكم مؤمنًا، ولكنَّكم استكبرتم، ولم تكونوا عادلين، والله لا يهدي القوم الظالمين.

يقول الله -تعالى-: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣].

* * *

النشيد الوطني المخالف

وكأيٍّ مفلس لا يملك الكلمة، ولا يستطيع للحوار سبيلًا، ويبحث في سراديبَ مظلمة عن أسلحة عَفِنة يطعن بها الخصوم كان يحشُد بعض المتربِّصين بالـدكتور ذاكر، كيف يفعلون وهو لا يترك لهـم بابًـا إلَّا سـدَّه، ولا طريقًـا إلَّا قطعـه، ولا حبلًا إلَّا أوهاه فبتَّه، إذًا لا بدَّ هذه المرة أن تكون الحفرةُ عميقة، والكمينُ محكـمًا، والمتربِّصون يَقِظين، لا بدَّ هذه المرة أن تكـون الطعنـة بـرمح ثقيـل، لا يسـتطيع الإفلات منه... إنه النشيدُ الوطني الهندي، هكذا ربما يستطيعون تأليبَ الآخرين عليه، ففي مقابلة على قناة «ستار نيوز» يسأله المحاور عن رأيه في النشيد الوطني الهندي المسمَّى: «فاندي ماترام»، وتعني هذه العبارة: «أنا أركعُ للوطن»، وسأله المذيع إن كان المسلمون يستطيعون إنشاده أم لا؟ إنه سؤال مُحـرج للغايـة، فهـذا رمز الوطن، لكنه يطعن في صميم الدين، فالركوعُ لا يكون إلَّا لله، فـما العمـل؟ وما الحيلة؟.

ولأن الحكمة تنبُتُ في عقله وتسيل على لسانه فقد أرجأ «د. ذاكر» الحديث عـن حُكم الإسلام في هذا حتى يسلِّط أبصار تلك العيون إلى مـا هـم عنـه غـافلون، فيستلَّ السلاح من أيديهم ويوجِّهَه إليهم فيـزدادَ قـوة إلى قـوة وتهـوي بخصـمه الريح في مكـان سـحيق، فقبـل القـرآن الكـريم اتَّجـه إلى النصـوص الهندوسـية المقدسة، وهنا بدت علامات الاستغراب والدهشة تعلو مُحيَّا المذيع شيئًا فشـيئًا،

النصوص الهندوسية؟!!، ما علاقة هذا بالسؤال؟!، في الحقيقة كان المذيع واحدًا من ملايينَ لا يعرفون شيئًا عن تعليمات الكتب المقدسة، فبادره بالسؤال: ماذا تعني؟.

كان الجواب أشبهَ بمعلومات تأتي من كوكب آخرَ على ما هي فيه من قرب، وذلك أنَّ أتباع تلك الديانات على العموم لا يتَّبعون تلك الكتب من حيث الواقع العملي، وإنما يتَّبعون رجال الدين، فهم لا يقرؤون، بل يأخذون ما يسكُبُه رجال دياناتهم في آذانهم فقط، فأخبره أنَّ أيَّ دارس لـ «الفيدا» يعلم أن الإله لا صورة له، وعندما تنشد نشيد «وطني لك أركع» فأنت تقول: إنَّ هذا البلد هو أمِّي وتشبِّهه بالإله، هذا يعلَمُه الدارس تمامًا، وليس الشخص العادي الذي لا يعلم النصوص المقدَّسة، سيخبرك الدارس أن كلمات نشيد «وطني لك أركع» تتنافى تمامًا مع تعليمات «الفيدا»، لأن النشيد يقول فيما لا يقل عن «٣» مواضع: «أركع لك» و«أنا أعبدك»، وإذا بحثت في عقائد جمعية «آريا ساماج» وآراء العلماء الأجلَّاء فستجد أنهم يعدُّون عبادة الأصنام غير جائزة وفقاً لـ «الفيدا»، وعلاوة على ذلك فإنَّ الآية «٢٠» في «بهاجفيد جيتا» الفصل «٧» تُحرِّم عبادة الأصنام، لذا إن رجعت إلى كتابك المقدس للأسف فستجد أنَّ هؤلاء يؤمنون بفلسفة وحدة الوجود، لذا فطبقا لـ «الفيدا» إن كنتَ دارسًا جيدًا فستعلم أن نشيد «وطني لك أركع» بما يحتويه من عبارات مثل «أركع لك» و«أنا أعبدك» يتنافى تمامًا مع ما ورد في «الأوبانيشادا» كما ذكرته بالسنسكريتية.

وبعد أن ترك «د. ذاكر» المذيع يتخبَّط في حيرته ونال منه ما نال أخذ يبيِّن المسألة

من وجهة حكم الإسلام، فالنشيد يحتوي على «١٢» بيتاً غير جائزة في الإسـلام، فعبارة «أركع لك» وردت «٣» مرات، مرة عندما ذكر النشيد أنَّ الوطن كـالأم، ومرة عندما ذكر تقبيل قدمَيها، ومرة عندما تحدَّث عن ابتسامتها المقدسة متحدثاً عن الألوهية، كذلك يطلق النشيدُ على الوطن اسم الإلهة «لاكسمي»[1]، وأيضًـا يطلق عليها «دورجا»[2]، وكل هـذا محـرَّم في الإسـلام، فـنحن المسـلمين نحـب وطننا، لكننا لن نركع لأحد سوى للإله العظـيم، حتـى الأم .. حتـى الأم التـي حملتنا «٩» أشهر نحن نحبُّها ونحترمهـا.. لكننـا لا نركـع لهـا.. لا نركـع لأمِّنـا نفسِها، لا يأمرنا الإسلام بهذا فلا نفعلُه، والشخص الذي نحبُّه ونحترمـه أكثـرَ من أيِّ إنسان آخر بعد الله -سبحانه وتعالى- هو محمد -صلى الله عليه وسـلم-، فهل نركع له ونعبده؟ لا.. لا يكون الركوعُ إلَّا لله وحدَه.

هل من الضروري أنْ نتغنَّى بنشيد «وطني لك أركـع»؟.. لا شـكَّ أنهـا أفاعيـلُ أهل السياسة الذين دأبوا على دغدغة مشـاعر النـاس حتـى يحصـدوا أصـوات الناخبين لدرجة أنَّهم تلاعبوا بالتواريخ، وذلك أنَّ الشخص الذي كتب النشـيد «بانكيم شاند شاتوبادهياي» عام «١٨٧٦م» ونُشر عام «١٨٨٢م»، لم يمضِ قرن كما قيل ولم يحدث شيء في «٧» مـن أيلول/ يوليـو، -حسـب مـا كـان ينبغـي أنْ يكون- فالأمر كلُّه معلومات خاطئة يروِّجها رجال السياسـة، إنهـا مجـرد حيلـة سياسية، ومسألة الركوع لا تختصُّ ببيئة معينـة أو زمـان معـين، إذ حتـى المسـلم

---

(١) وهي إلهةُ المال والحظ في الديانة الهندوسية.

(٢) إحدى آلهة الهندوس، وتعني بالسنسكريتية: التي لا تُقهر، أو لا يمكن الوصول إليها.

الذي يعيش في المملكة العربية السعودية لا يمكنه الركوعُ لوطنه، والمسلم الـذي يعيش في باكستان لا يمكنه الركوعُ لوطنه، فهذا شِرْك، لذا لا يمكن اتّهام الهندي المسلم بأنه ليس وطنيًّا، فإن هذا هو ديننا، خالقنا وإلهنا الـذي خلـق هـذا البلـد أعلى وأسمى منه، نحن نحب هذا البلد، ومستعدُّون لتقديم حياتنا من أجلـه إذا لزم الأمر... لكننا لن نركع لأحد سوى الله الإله العظيم.

* * *

نظرية التطور

كثرت الأبواق الناعقة أن القرآن بعيد عما جاء به العلم، وذلك أن أبعد مرمى للإنسان في القرآن إنما هو «آدم» وهو كباقي البشر في شكله وعقله وتصرُّفاته، في حين يتنسَّك كثير من المهووسين بالنظريات -حتى إن لم تثبت علميًّا- بنظرية «تشارلز داروين» القائمة على عملية الانتقاء النوعي الطبيعي، وذلك أنَّ البشرية قد تطوَّرت عن نوع آخر ليس البشر، وهذا متناقض تمامًا مع الشريعة الإسلامية التي تنصُّ على أنَّ البشرية جمعاء أولاد «آدم» -عليه السلام-، فكيف يمكن تسويةُ الأمر وحلُّ هذه الإشكالية؟.

في الحقيقة هذا سؤال لا تكاد محاضرة من محاضرات «د. ذاكر» إلَّا ويُطرح بدءًا من كندا، فالولايات المتحدة الامريكية، فالمملكة المتحدة، إلى السعودية وغيرها من الدول الأجنبية والعربية.. لا يكتمل الجزء المخصَّص للأسئلة والأجوبة دون أن يُطرح هذا السؤال المهمُّ عن نظرية التطور.

إذا ما نظرنا إلى السؤال نفسه فإننا سنجد عبارة «نظرية التطور»، فهل سبق أن قرأ أحدكم عبارة «حقيقة التطور»؟ كل الكتب -كما يقول «د. ذاكر»- تقول: «نظرية التطور»، ليس هنالك كتاب واحد يقول: «حقيقة التطور»، وكعادته في إعطاء الجواب فإنه يتَّجه إلى أصل المشكلة، ويسير على الطريق الأساسي تاركًا الطرق الفرعية، فإذا قرأنا كتابَ تشارلز داروين «أصل الأنواع» لوجدناه يقول:

إن تشارلز داروين ذهب إلى جزيرة تسمَّى «كالاباغوس» على متن سفينة تسمَّى «HMS Beagle»، وهناك وجد طيورًا تنقر في بيئة ملائمة، وبالاعتماد على نقرها في البيئة التي تناسب نمطَ حياتها أصبحتْ بعضُ المناقير طويلة وبعضها الآخر قصيرة، حيث لوحظ ذلك في النوع نفسِه من الطيور وليس في أنواع مختلفة، فما الذي كان يؤمن به داروين؟، إذا أردنا أن نعرف رأي داروين نفسِه في نظرية التطور فيكفي أن نقرأ ما كتبه في رسالة إلى صديقه «توماس ثومسون» في «١٨٦١»م حيث يقول فيها: «أنا لا أؤمن بالانتقاء الطبيعي.. أنا لا أؤمن بنظرية التطور لأنني ما حصلت على أيِّ أدلَّة، أنا فقط أؤمن بها لأنها تساعدني في تصنيف علم الأجنَّة وعلم التشكُّل وأعضاء ناقصة التطور»!. هذا هو رأي صاحب النظرية في النظرية، تشارلز داروين بنفسه قال إنَّ هنالك حلقاتٍ مفقودة في سلَّم التطور، هو نفسُه لم يتَّفق مع النظرية.

وعلى سبيل المزاح والنكتة أردف «د. ذاكر» أنَّه لو كان عليَّ أن أُهين أحداً فأقول له: لو كنتَ موجودًا في زمن داروين لتمَّ إثبات صحة نظرية الانتقاء الطبيعي، محاولًا التلميح أنه يشبه القرد، والسبب هو أن هذه النظرية في معظم أنحاء العالم تُدرَّس كنظرية حقيقية، تُرى لماذا؟ .. حتى أنا –يقول «د. ذاكر»- عندما كنت في المدرسة تعلَّمت نظرية داروين، وإلى اليوم تُدرَّس في المدارس، أتعلمون ما هو السبب؟ الأمر ببساطة هو أنَّ الكنيسة سابقاً كانت ضدَّ العلم، والجميع يعلم ما حصل مع «غاليليو» الذي حكموا عليه بالموت، لماذا؟... لأنه قال بعض العبارات في علم الفلك وغيره، وهي تتعارض مع الكتاب المقدس، لذا حكموا

عليه بالموت، وهذا ما يعتذر عليه البابا الآن.. وعندما جاء تشارلز داروين بالنظرية التي تتعارض مع الكتاب المقدس لم يحتَجِ العلماء إلى دليل كافٍ، عدوُّ عدوي هو صديقي، العداء بين الكنيسة والعلماء جعل العلماء يقفون مع داروين لا لشيء إلَّا لأنه عارض الكنيسة، لذا فأغلب العلماء دعموا هذه النظرية لأنها ضدُّ الكتاب المقدس، وليس لأنها صحيحة.

وأما مراحل الإنسان فهناك أربعة من المراحل: «هومندس» أسلاف للإنسان، يخبرنا العلم أنَّ هنالك أربعة «هومندس» أسلاف للإنسان: الأول هو «لوسي»، جنبًا إلى جنب مع «إسترالوبيثكست - Australopithecust » الذي مات قبل حوالي ثلاثة ملايين ونصف سنة، العصر الجليدي، ثم جاء بعدها مراحل «الهومو سابينس»، وهو نوع من أنواع «الهومو سابين» وله أسماء مختلفة Homo sapiens (archaic) (also Homo heidelbergensis) الذي مات قبل «٥٠٠» ألف سنة مضت، ثم جاء «رجل نياندرتال» وهو الإنسان البدائيُّ الذي مات قبل «٤٠ – ١٠٠» ألف سنة مضت، ثم جاءت المرحلة الرابعة «الكرو ماكنون»، لا يوجد أي ربط على الإطلاق بين هذه المراحل.

ووفقاً لـ «غراسي - Pierre-Paul Grasse» في «١٩٧١م» الذي شغل منصب رئيس الدراسات التطوُّرية في باريس في جامعة السوربون قال: إنه أمرٌ غيرُ معقول... لا يمكننا أن نقول من هم أسلافُنا اعتمادًا على أخطاء.. وهكذا كان بإمكان «د. ذاكر» إعطاء قائمة بمئات العلماء والحائزين على جائزة نوبل ممن

كانوا ضدَّ نظرية داروين... لكنه اكتفى بذكر «ألبيرت جورجي - Albert Szent-Györgyi» الذي حصل على جائزة نوبل لاكتشافه فيتامين «C» حيث كتب كتابًا ضد نظرية داروين «The Crazy ape»، و«فريد هويل - Sir Fred Hoyle» الذي لم يكتفِ بعمل واحد بل كتب عدة أعمال ضدَّ نظرية داروين، و«روبرت ريدل - Rupert Riedl» كتب أيضًا نظرية جديدة عن التطور كانت ضد نظرية داروين.

إنه أمر لا يمكن تصوُّره، لا يمكن أن نفكر أننا خُلقنا من القرود، وهذا ما أكده عالم الأحياء «فرانك سالزبوري - Frank B. Salisbury»، الذي قال: إنه من غير المنطقي الإيمان بنظرية داروين، وكذلك عالم الأحياء «وايتني»، كتب كتابًا كان ضدَّ نظرية داروين، ومع ذلك فهذه النظرية تُدرَّس اليوم في المدارس، والسبب كما أخبرتكم به... وسائل الإعلام في أيديهم، وإلا فلا يوجد أيُّ إثبات على الإطلاق، هناك بعض الإثباتات على مستوى بسيط مثل طُفيلي الـ «أميبا» وحيد الخليَّة، فعلى مستوى الأنواع البسيطة، الـ «أميبا» يمكن أن تتغيَّر إلى ما يُسمَّى «باراميشيا»، والقرآن لا يقول إنه لا يمكن لـلـ «أميبا» أن تتغيَّر إلى «باراميشيا»، القرآن لا يعارض ذلك.. وأما عن نظرية التطوُّر بشكل عام فلا يوجد أيُّ دليل على ذلك.

ووفقاً لـ «فرانسيس كريك - Francis Crick» الذي يُعدُّ ذا شأن في هذا المجال فقد قال إنه لا يمكن تصوُّر هذا... حيث لو قمنا باستخراج النسبة من نظرية احتمالية تكوُّن حمض نووي واحد من قرد لإنسان فستكون النتيجة صفرًا،

ولو أعدنا التجربة مرة أخرى فلا شك أنَّ النتيجة ستكون أيضًا صفرًا، لو بـدأنا الحساب مرة أخرى فأظنُّكم ستشعرون بالملل مرة أخرى، ولعل بعضَـكم يـذكر الحسابات التي قمنا بها لذرَّة بروتين واحدة، إنـه يشـبه إلى حـد مـا واحـدًا مـن الحمض النووي، إنه أمر مستحيل على الإطلاق.

ظهرت في الآونة الأخيرة نظرية تقول: إن المثلية الجنسـية وراثيـة، وعنـدما قـرأ «د. ذاكر» عن هذا في جريدة «التايمز الهندية» أيقن بالتأكيـد أنـه عنـدما سـيلقي المحاضرة القادمة فسوف يتم طرح هذا السـؤال عليـه، وسـيكون السـؤال عـلى الشكل الآتي: «إذا كانت المثليَّة الجنسـية وراثيـة فكيـف يمكـن الله أن يلومنـا»؟ وهذه كحال سابقتها في كونها مجرَّد نظرية، فأحكام القـرآن الكـريم ضـدُّ المثليَّـة وتُعاقب عليها، هي مجرد نظرية ولا ينبغـي التعليـق عليهـا، وفي غضـون بضـعة أشهر أثبتَ العلماء أن لا علاقة للمثلية الجنسية بالوراثة، وهذا أمر غير منطقـي، والشخص الذي جاء بهذه النظرية وهي أن المثليـة وراثيـة كـان هـو نفسُـه مـثليَّ الجنس، ولذلك كان يحرص «د. ذاكر» على التأكيـد أنَّ المحـاضرة سـتكون عـن الحقائق العلمية وليس عن النظريـات والافتراضـات، نظريـة داروين لم تثبـت ونحن لم نُخلق من قرود، وما جاء به القرآن هو أنَّ أول إنسان على وجه الأرض هو آدم -عليه السلام-، وإنْ شاء الله فسيكتشفون هذا بعد «١٠٠» أو «١٠٠٠» سنة مقبلة، فاليوم هناك بعض الأبحاث التي تبـيِّن أن الإنسـان خُلـق مـن زوج واحد، ولكنها حتى الآن مجرد نظرية، وهذا ما جاءت بـه الآيـة القرآنيـة: ﴿هُـوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، ولأنهـا مـا

زالت مجرد نظرية فلم يتحدَّث عنها «د. ذاكر» في محاضرته، وعندما يتم إثبات ما جاء به القرآن الكريم حول أصل البشر سيعلم هـؤلاء عظمـة القـرآن الكـريم، وأنه لا يتعارض مع العلم الحقيقيِّ.

* * *

هل الإرهاب حِكرٌ على المسلمين؟

مع تحفُّظي على العنوان الذي اختاره «د. ذاكر» لمحاضرته إلَّا أن المقصد كان الدفاع عن الإسلام وتبرِئتَه من الأفعال الإجرامية التي نسبوها إليه، وألصقوها به، ومن يقرأْ عنوانه يستقرَّ في نفسه الاعتراف الضمنيُّ به وأن الجميع يشتركون في الإرهاب، وكنت أفضِّل أن يختار عنوانًا غير هذا، كـ «براءة الإسلام من الإرهاب» أو «ليس من ديننا» أو ما شابه ذلك، إلَّا أنه –كما أسلفت– فليس هذا المقصد، ولا إليه المرمى، بل النفيُ القاطع لهذه الأُكذوبة التي ما فتئ الإعلام الغربي يدندن بها كغيرها من التُّهم الباطلة التي راجت في أيَّامنا هذه، وما كان لها أن تَرُوج لولا ما نحن فيه من ضعف وخذلان وتفرُّق وتشتُّت، والأنكى من ذلك أن تجد بعض العقول المتعفِّنة من المسلمين الذين يُظهرون نتانة نفوسهم على أنها حضارة فيقلِّدون الغرب في حركاتهم وسكناتهم وما يخرج من أفواههم من روائح كريهة تنشُر نتانتَها عن الإسلام، في موقف الْتصقَ وصف المجرم بمن يدافع عن حقِّه وأسرته ونفسه ولقمة عيشه الشريفة، في حين انقلب الجلَّاد إلى ضحيَّة يتباكى فيكسب التعاطف وتُغدق عليه العطايا والمِنح، ويُضيَّق على الشعوب المقهورة التي أخذت تتنازل عن كثير من حقوقها خشية التصاق تهمة العصر بها ألا وهي الإرهاب.

* * *

بدأ «د. ذاكر» محاضرته بتعريف موجز للإرهاب، حيث بيَّن أنه من الصعب تحديد مفهوم الإرهاب بدقَّة، وذلك لأن مفهوم هذه الكلمة ليس ثابتًا، ويتغيَّر بتغيُّر العصر وتغيُّر الموقف والسياسة، فمن كان بالأمس إرهابيًّا صار اليوم مناضلًا، وعلى النقيض من ذلك، فمن كان مناضلًا صار إرهابيًّا، إلَّا أنه ذهب إلى تعريف قاموس «أوكسفورد» له، حيث جاء فيه: «الإرهاب: استخدام أفعال عنيفة من أجل تحقيق أهداف سياسية أو إجبار حكومة على فعل ما»، وقد طفتْ هذه الكلمة على السطح لأول مرة مع ظهور الثورة الفرنسية وتحديدًا في عام «١٧٩٠م»، حيث وصف رجل الدولة البريطاني «إدوينبيرغ» النظامَ اليعقوبيَّ الفرنسي الحاكم بأنه إرهابيٌّ، وأطلق على عامي الحكم «١٧٩٣–١٧٩٤م» عام «حكم الإرهاب» أو «عاما الإرهاب»، حيث كانت الحكومة آنذاك برئاسة «ماكسميليان روبسبيير» ذلك الرجل الذي لم يكن يملأ رأسَه إلَّا القتل والإعدام، حيث أعدم آلاف الأبرياء، وقضى على كلِّ من اعتبرهم «أعداء الثورة»، فأعدم معظمَ زعماء الثورة الفرنسية، واستبدَّ بالحكم، حتى ضاق به زعماء الثوار ذرعًا وتعاونوا عليه وأعدموه، وتطالعنا السِّجلات التي وثَّقت لذلك بأنه ألقى القبض على أكثر من «٥٠٠٠٠٠» إنسان، وقام بإعدام «٤٠٠٠٠» منهم، ونفى أكثر من «٢٠٠٠٠٠»، بينما تعرض أكثر من «٢٠٠٠٠٠» للتعذيب والمجاعة حدَّ الموت، إذًا فمصدر التسمية الأول كان مع

الثورة الفرنسية، وانتشر في وسائل الإعلام ليصف الذين سيطروا على الحكم بعد نجاح الثورة الفرنسية، ثم خبَتْ نار هذا المصطلح فترة من الزمن حتى اشتعلت من جديد واستعرَتْ أكثر مما كانت عليه سابقًا، وذلك لما وجد أعداء الإسلام فيه مأربًا لينفِّسوا ما بداخلهم من حقد دفين على الإسلام، فأوقدوا نارَه، وأطاروا شرارَه ليُلصقوا هذا الفعل الشنيع بالمسلمين، حتى وصلت بهم الحال إلى ترديد عبارة: «ليس كلُّ المسلمين إرهابيين، ولكنَّ كلَّ الإرهابيين مسلمون»، ثم انتقلت هذه الجملة إلى أماكن أخرى خارج أوروبا، ولا سيما إلى الهند بعد أحداث مومباي التي أسفرت عن سلسلة تفجيرات في القطارات في الحادي عشر من يوليو.

* * *

عبث في التاريخ أو «الأناركيُّون»

لقد سعى المشوِّهون بكل ما أوتوا من حقد إلى التلاعب بالمفاهيم وقلب الأحداث والوقائع مستغلِّين ضعف الإعلام العربي والمسلم الذي لم يجدْ في هذه الفترة قلمًا نافثًا يدرَأُ به عن نفسه، ويكشف الحقيقة ويضعها في عيونهم، ولم تكن الأصوات التي نادت بذلك إلَّا صرخاتٍ ضعيفةً تضيع في وديان سحيقة مليئة بالأفاعي والثعابين، حتى هيأ الله صوتين أرعبا تلك الآذان وصدَّعا تلك القلوب الحاقدة، وأرَّقا الشررَ الكامن في العيون، فظهر لهم الشيخ «أحمد ديدات»

الذي استلهم ثورتَه الفكرية من الشيخ «رحمتُ الله الهندي»، فقاوم حركة التبشير بكل ما أُوتي من قوة، فأخافَهم وأرعبهم وهربوا من أمامه كالجرذان، ثم جاء من بعده تلميذه «د. ذاكر» الذي وسَّع نشاطه إلى باقي الأديان، وعمل في مختلف الاتجاهات، فأسَّس لحركة قوية ثقافية تبصيرية حتى صار قوةً لا يمكن هزيمتُها، فاعتلى المنابر وكشف عوراتِهم وسَوءاتِهم وعرَّى كل من تلبَّس بلباس خادع، وأسقط أقنعة الحِملان عن وجوه الذئاب، حيث بدأ بنظرة تحليلية للأحداث في القرن الـ «١٩»، حيث يصعب أن تجدَ أيَّ هجمة إرهابية قام بها المسلمون، ولم يكن الوقت يسمح ليستعرض كل الهجمات الإرهابية التي وقعت في هذا القرن، فاكتفى ببعضها، ومنها ما جرت أحداثه في عام «١٨٨١م»، حيث تم اغتيال القيصر الروسي، عندما كان مسافرًا في عربة مصفَّحة مضادة للرصاص على طريق «سان بطرسبرغ»، حيث كمَنَ الإرهابيون له وخططوا للعملية جيدًا نظرًا لأن عربتَه مضادَّة للرصاص، فأحدثوا تفجيرًا أودى بحياة «٢١» شخصًا ليس لهم ذنب سوى أنهم كانوا في مكان الحادث، وعندما خرج القيصر من عربته ألقَوا القنبلة الثانية التي أودَتْ بحياته.. من قتله؟!!.. لم يكن القاتل مسلمًا، ولا صلة له بالإسلام، وإنما الرجل الذي قتله كان بولنديًّا من بيلاروسيا يُدعى «إيغنيس»، ممن يُعرفون بـ «الأناركي» التي تعني «الثائر الفوضوي».. لم يكن مسلمًا..

وفي أثناء تظاهرة للعمال في ميدان «هيماركت» بمدينة شيكاغو قُتل «١٢» شخصًا من الأبرياء، من بينهم شرطي اسمه «ديجين»، وبعد ذلك جُرح «٧» من رجال

الشرطة وماتوا في المستشفى، فمن القاتل؟!!.. لم يكونوا مسلمين.. كانوا أيضًا «٨» من الثوار الفوضويين «الأناركيِّين».. لم يكونوا مسلمين..

وفي نظرة لأحداث القرن العشرين فإنَّ التاريخ يطالعنا باغتيال الرئيس الأمريكي العاشر للولايات المتحدة الأمريكية «ويليام ماكينلي» الذي اغتاله أيضًا أحد الأناركيِّين ويُدعى «ليون»، حيث أطلق عليه الرصاص مرتين وأرْدَاه قتيلًا في عام «١٩٠١م»... لم يكن القاتل مسلمًا.. وفي أول تشرين الأول/ أكتوبر عام «١٩١٠م» دوَّى انفجار قويٌّ في مبنى جريدة «التايمز» في لوس أنجلوس، قُتل على إثره «٢١» شخصًا بريئًا، فمن القاتل؟!!.. لم يكن الجُناة من المسلمين، إنما كانا رجلَين من المسيحيين يُدعى الأول «جيمس» والثاني «جوزيف».. لم يكونا مسلمَين..

وثمة حادثة أليمة وقعت أحداثها في «٢٨» حزيران/ جون من عام «١٩١٤م» في «سارابيفو»، حيث مهَّدت هذه الحادثة لوقوع الحرب العالمية الأولى.. لقد اغتِيل «دوق النمسا» مع زوجته.. فمن الفاعل؟!!... لم يكونوا من المسلمين.. كان الأشخاص المسؤولون عن هذا الاغتيال ينتمون لحركة «البوسنة الشابَّة»، ومعظمهم من الصِّرب.. لم يكونوا مسلمين..

وفي «١٦» أبريل من عام «١٩٢٥م» حدث تفجير في كنيسة القديسة «نيداليا» في العاصمة البلغارية «صوفيا»، وكانت حادثة فظيعة قُتل فيها أكثر من «١٥٠» شخصًا، وجُرح أكثر من «٥٠٠» شخص، كانت أكبرَ هجمة إرهابية تحدث على أرض بلغاريا.. فمن الفاعل؟!!.. لم يكونوا من المسلمين.. إنما كان المنفِّذون

أعضاءً في الحزب الشيوعي البلغاري.. لم يكونوا مسلمين..

وإذا ما قرأنا في أحداث سنة «١٩٣٤م» في التاسع من شهر تشرين الأول/ أكتوبر اغتِيل ملك يوغسلافيا «إسكندر الأول».. فمن قتله؟!!.. لم يكن الفاعل مسلمًا، إنما من غير المسلمين ويُدعى «فلادا جورجيف».. كما أن أوَّل طائرة أمريكية تتعرَّض للاختطاف كانت على يد أناس غير مسلمين، حيث قام شخص يُدعى «أورتز» باختطاف الطائرة المتوجِّهة إلى «كوبا»، ولكي ينجو بفعلته طلب لاحقًا اللجوء السياسي.

وفي عام «١٩٦٨م» اغتِيل السفير الأمريكي في «غواتيمالا» على يد شخص غير مسلم، وفي عام «١٩٦٩م» طُعن السفير الأمريكي في اليابان بيد ياباني غير مسلم، وفي السنة نفسها اختُطف السفير الأمريكي في البرازيل من قِبَل شخص غير مسلم...

وإذا ما جئنا إلى العهد القريب منا فقد شهدت مدينة «أوكلاهوما» تفجيراتٍ كبيرةً في التاسع عشر من نيسان/ أبريل عام «١٩٩٥م»، حيث دخلت شاحنة محمَّلة بالمتفجرات إلى المبنى الفيدرالي، وقتلت ما يقرب من «١٦٨» شخصًا بريئًا، وجُرح المئات، فبماذا عنونت الصحف لهذه التفجيرات؟!، جاء الخبر الرئيس فيها: «مؤامرة الشرق الأوسط»، وظل الخبر لأيام متواصلة يبثُّون أحقادهم وكراهيتهم ويتَّهمون المسلمين، إلَّا أنَّه فجأة توقف الخبر نهائيًّا وكأنَّ شيئًا لم يكن، ولم تذكر أية صحيفة شيئًا عن هذه التفجيرات الكبيرة الخطيرة، فجأة اختفى «مؤامرة الشرق الأوسط»، لم يكن ذلك إلَّا حين اكتشفوا أنَّ اثنين

من نشطاء اليمينيين المسيحيين يُدعى الأول «تيموثي» والثاني «تيري» هما المسؤولان المباشران عن هذا التفجير، سكتوا ولم ينطقوا بحرف، فالفاعل ليس مسلمًا، ولو لم يظهر للعيان من المسؤول عن التفجير وظل الأمر سرًّا لظلُّوا يتَّهمون المسلمين.

وما بين عامي «١٩٤١م» و«١٩٤٨م» حدث «٢٥٩» هجمة إرهابية، كان منفِّذوها إرهابيين يهودًا ينتمون إلى العديد من المنظمات كـ: «الإرغون»، «عصابة ستيرن»، «الهاغانا»، ومنها التفجير المشهور الذي وقع في فندق الملك ديفيد الذي قام به جماعة «الإرغون» في «٢٢» تموز/ يوليو عام «١٩٦٤م» بقيادة «مناحيم بيغين»، حيث قُتل في هذا التفجير «٩١» شخصًا بريئًا، كان منهم «٢٨» بريطانيًّا، و«٤١» من العرب، و«١٧» من اليهود، و«٥» آخرون، حيث تنكَّر أفراد عصابة «الإرغون» بملابس عربية، ليُوهموا العالم أنَّ المنفِّذين من المسلمين، وقد كانت هذه العملية أكبر هجمة إرهابية تتعرَّض لها بريطانيا، وفي ذلك الوقت كان «مناحيم بيغين» الإرهابي رقم «١» لدى بريطانيا، إلَّا أنه خلال بضع سنوات أصبح رئيس وزراء الكيان الصهيوني!!، وبعدها يحصل على جائزة نوبل للسلام!!، أمر يدعو للعجب!، كيف أنَّ قاتلًا مجرمًا وكان مصنَّفًا على أنَّه الإرهابي الأول يصبح رئيس وزراء، ثم يُمنح جائزة نوبل!!، وليس عجيبًا في مجتمع تنقلب فيه المفاهيم أن يصبح زعماء العصابات الإرهابية رؤساء للوزارة ويتقلَّدون مناصب رفيعة في كيانهم الصهيوني، مثل: «مناحيم بيغين» و«إسحاق رابين» و«أرابيل شارون»، وإنَّ نظرة واحدة إلى خارطة عام «١٩٤٥م» تُظهر أنَّ

الكيان الصهيوني لم يكن موجودًا كدولة، وتلك الجماعات اليهودية الإرهابية قتلت الآلاف من أجل قيام دولتهم اليهودية، وكانت مصنَّفة من قبل بريطانيا على أنها جماعات إرهابية، لكنَّ الأمور آلت إليهم وتفوقت آلةُ القتل العسكرية والتحكم الاقتصادي على الحقائق والقِيم وسرقوا أرضًا ليست لهم، سرقوا فلسطين وغيرها من الأراضي، والآن هؤلاء الإرهابيون يصِفون أصحاب الأرض الشرعيين أهل فلسطين بأنهم «إرهابيون» لأنهم يحاربون من أجل أرضهم وحقِّهم الشرعي التاريخي.

ومن باب التذكير فإن «هتلر» أحرق «٦» ملايين يهودي، وطردهم خارجًا، فلماذا ذهبوا إلى فلسطين؟!!، رحَّب بهم الفلسطينيون في بادئ الأمر، وغفِلوا عما كان يُخطَّط لهم، فإذا كان اليهود يريدون أرضًا فكان عليهم الرجوع إلى ألمانيا التي طُردوا منها، إلَّا أنَّ هؤلاء الغرباء أقاموا في الأرض ثم بالتعاون مع بريطانيا والقُوى العظمى طردوا الفلسطينيين وقتلوا منهم الكثير واحتلُّوا أرضهم، وعندما طالبوا بها وصفوهم بالإرهابيين، هكذا يسوِّق الرأي العام للدول الكبرى لباقي أجزاء العالم، ولا عزاء للضعيف ولا بواكيَ له.

ويذكر لنا التاريخ أيضًا أنَّ عصابة «بادر مينهوف» قد قتلت العديد من الضحايا في ألمانيا بين عامي «١٩٦٨م» و«١٩٩٢م»، وفي إيطاليا قتلت منظمة «الألوية الحمراء» العدد الكبير من الضحايا، وكانوا المسؤولين عن اختطاف رئيس الوزراء الإيطالي «ألدو مورو» وقتلوه بعد مرور «٥٥» يومًا على الاختطاف، وفي اليابان كان «الجيش الأحمر الياباني» البوذي من طائفة «أوم شنريكيو» البوذية

يعيثُ فسادًا، ويقتل الضحايا، ومن محاولاته التي لو كُتب لها النجاح لحصدت الآلاف من القتلى ما قام به في مترو الأنفاق بـ «طوكيو» حيث استخدم غاز الأعصاب لإبادتهم، ولكن لسوء حظهم وحُسن حظ الضحايا قُتل «١٢» شخصًا فحسب، وأُصيب أكثر من «٥٧٠٠» شخص إصابات بليغة بغاز الأعصاب، لم يكن هؤلاء مسلمين.. كانوا بوذيين..

وأما «الجيش الجمهوري الأيرلندي» فمعروف مشهور، حيث ركَّزوا هجماتِهم ضد المملكة المتحدة، وكانوا من الكاثوليك، ولم يدعُهم أحد بالجيش الإرهابي الكاثوليكي، وإنما رمزوا لهم بـ «IRA» مع أنهم قاموا بالعديد من الهجمات الإرهابية، ففي عام «١٩٧٢م» وقعت ثلاثة تفجيرات، قُتل في الأول «٧» أشخاص، وفي الثاني «١١» شخصًا، وفي الثالث «٩» أشخاص، وفي عام «١٩٧٤م» نفَّذوا تفجيرين، حيث قتلوا في «حانة جيلدفورد» «٥» أشخاص، وجرحوا «٤٤» آخرين، وقُتل في «حانة برمنجهام» «٢١» شخصًا وجُرح «١٨٢» آخرون، وفي عام «١٩٦٦م» نفذوا تفجيرين في لندن حيث قُتل اثنان وجُرح أكثر من «١٠٠» شخص، والتفجيرات التي قاموا بها أكثر من أنْ تُحصى هنا.

علاوة على ذلك فقد حدث تفجير عام «١٩٦٦م» في منطقة التسوُّق في «متنشيستر» وجُرح «٢٠٦» أشخاص، وفي عام «١٩٩٨م» فُجِّرت سيارة في «بانبردج» تحمل «٥٠٠» رطل من المتفجرات، أُصيب بسببها «٣٥» شخصًا، وفي العام نفسه فُجِّرت سيارة أيضًا محملة بالكمية نفسها من المتفجرات «٥٠٠»

رطل، أودت بحياة «٢٩» شخصًا وجُرح «٣٣٠» شخصًا.. من الذي قام بكلِّ هذه الحوادث الإرهابية؟، هل هم المسلمون؟!، لا، لم يكن أيٌّ واحد منهم مسلمًا...

وعودة إلى «الجيش الجمهوري الأيرلندي» الكاثوليكي، فقد فجَّر هذا التنظيم في عام «٢٠٠١م» مقر الـ «BBC»، ومع ذلك لم يطلق أحد عليهم اسم الإرهابيين الكاثوليك، واليوم فحكومة المملكة المتحدة أشدُّ خوفًا ممَّن تسميهم بالإرهابيين المسلمين، وتهوِّل الأمور حولهم وتنشر التحذيرات وتشدِّد الإجراءات الأمنية، في تفجيرات «٧» تموز/ يوليو قُتل أكثر من «٥٠» شخصًا، إلَّا أنه ليس من المؤكد مطلقًا أن يكون الفاعلون مسلمين، حتى لو اتَّفقنا على سبيل الجدل بأن مسلمين قاموا بهذا التفجير فلا سبيل للمقارنة بين الفاعلين وبين الجيش الجمهوري الأيرلندي الذي قتل آلاف الناس، ومع ذلك فالمملكة المتحدة تخاف من المسلمين.

نفَّذت المنظمة الإرهابية «ETA» «٣٦» هجمة شرسة في إسبانيا وفرنسا، وثمة منظَّمات كثيرة في أفريقيا، والقائمة تطول وتطول.. إلَّا أنَّ أكثر تلك التنظيمات سوءًا وعدوانيةً تنظيم يُدعى: «جيش الخلاص» وهو تنظيم مسيحي إرهابي، وكثيرًا ما كانوا يدرِّبون الأطفال ويستغلُّونهم لتنفيذ الهجمات الإرهابية، ومثلها في الإجرام بل تزيد عليهم بكثير ما يُسمَّى بـ «حركة نمور التاميل» في سيريلانكا «LTTE»، فهم متخصصون في التفجيرات الانتحارية، ويستغلُّون الأطفال أيضًا في تفجير الناس، أهم مسلمون؟!... لا.. إنهم من الهندوس، وفي الهند

نكاد لا نسمع عنهم شيئًا، ويكون ذكرهم عابرًا وقد لا يُذكرون مطلقًا مع أنهم الغالبية العظمى الذين يقومون بأعمال كهذه، وإذا ما طفح الكَيْل واضطُر المسؤولون إلى إصدار تقرير فإنهم لا يصفونهم بـ«الإرهابيين الهندوس»، وإنما يشيرون إليهم برمزهم: «LTTE»، وينصبُّ الإعلام الهندي على تهمة المقاتلين الكشميريين في أي هجوم إرهابي، سواء أكانت هذه الهجمات صحيحة أو خاطئة، ومع وجود العديد من التنظيمات الإرهابية في الهند من مختلف الأديان والأعراق إلَّا أنهم لا يذكرون سوى الإسلاميين، لماذا؟!!.

وإنَّ حادثة مقتل رئيسة وزراء الهند «إنديرا غاندي» مشهورة معروفة على يد أحد حرَّاسها من «السِّيخ» الذي كان ردًّا على اقتحام الحكومة الهندية في الخامس من حزيران/ يونيو عام «١٩٨٤م» للمعبد الذهبي الذي اتَّخذه التنظيم السيخي الإرهابي بقيادة «بهندران وال» مقرًّا لهم في إقليم البنجاب، وقُتل في تلك العملية «١٠٠» شخص، فكان الرد قاسيًا باغتيال رئيسة الوزراء في «٣١» تشرين الأول/ أكتوبر «١٩٨٤م».

وإذا ما تصفَّحتم موقع «بوابة الإرهاب» في جنوب آسيا فلن تجدوا أثرًا للمسلمين في إدارته، كلُّهم غير مسلمين، وبالنظر إلى قائمة الإرهابيين فإن المسلمين قلَّة قليلة، ولكنَّ هذا لا يظهر إلى الإعلام، وإنما العكس، حيث تُسلَّط الأضواء على المسلمين ويقبع معظم المجرمين في ظلام التعتيم الإعلامي.

وإذا ما اتَّجهنا في الهند شمالًا إلى «تريبورا» على سبيل المثال فثمة تنظيماتٌ إرهابيةٌ مسيحية مثل: «ATTE»: قوة نمور تريبورا، و«NLFT»: جبهة التحرير

الوطنية لتريبورا، ليسوا من المسلمين، إنهم مسيحيون، وقد قتلوا العديد من الهندوس، وبين الفينة والأخرى كانت تطالعنا التقارير عن مقتل عدد من الهندوس، وفي إحدى المرات عام «٢٠٠٤م» وصل عدد القتلى إلى «٤٤».

وفي إقليم «أسام» في الهند نشرت منظمة «أولفا» سيطرتَها على مدار «١٦» عامًا منذ «١٩٩٠م» وحتى «٢٠٠٦م»، نفَّذوا خلالها «٧٤٩» هجمة إرهابية، وإنَّ ما قام به المقاتلون الكشميريون -إنْ صحَّت نسبة ما اتُّهِموا به- لا يقارن على الإطلاق مع ما فعلته هذه المنظمة وحدَها، ومع ذلك فإنَّ الذي يطفو على السطح مع كثير من التعديل والتزييف والبهارات هو ما يُلصق بالمسلمين، ولا نقرأ في أخبار الصحف سوى أخبار الهجمات الكشميرية، ويقول «د. ذاكر»: «تصادف ذهابي إلى «أسام» لإلقاء محاضرات، وفي اللحظة نفسها التي نزلتُ فيها إلى المطار وجدتُ قوات الأمن حولي، فقلت: لماذا؟!، وقتها حمدت الله.. الحمد لله.. لو لم يكونوا هناك لما استطعت الرجوع إلى هنا، لم أكن أعرف.. لم أكن أعرف أنه يوجد العديد من الإرهابيين هناك في «أسام»، منظمة «أولفا» تتدرَّب فقط من أجل استهداف المسلمين.. إنهم هندوس، كم مرة كتبَتْ عنهم الصحف أو الإعلام؟!.. لأنها ليست مثيرة لهم فربما تأتي في موجز الأنباء، كم من الناس يلاحظها؟، لكنها لا تظهر في العناوين الرئيسة مطلقًا»...إذًا من الملاحظ أنَّه لو سُلِّط الضوء على هذه التنظيمات لعرفها الناس، ولما كان شخص هندي مثل «د. ذاكر» يعيش معهم في الدولة نفسِها لا يعرف عنهم شيئًا على خطورتهم ويتفاجأ بقوات الأمن المكثَّفة تطوِّق المكان.. إنَّه الإعلام.

ومن بين أكثر التنظيمات الإرهابية في الهند يبرز تنظيم «الناكسالية» وهم ماويُّون شيوعيون، وأكثر التنظيمات التي قامت بهجمات في الهند، في نيبال وحدها وعلى مدار «٧» سنوات قاموا بـ «٩٩» هجمة، ومن بين «٦٠٠» مقاطعة هندية فالماويُّون ينتشرون في «١٥٠» مقاطعة وفقًا لما ذكرته الحكومة الهندية في موقعها عن الإرهاب، ولا وجهَ للمقارنة بين ما قاموا به من هجمات إرهابية في الكمِّ والكيفِ وبين ما قام به المسلمون، ومع ذلك فالحكومة لا تخاف إلَّا من المسلمين، والكارثة الكبرى أنَّ هذا التنظيم أوشك أن يحصل على «٨٧٥» صاروخًا و«٣٠» قاذفة صواريخ، وهي أكبر صفقة أسلحة في تاريخ الهند تصادِرُها الحكومة من منظمة إرهابية، هذه الكمية -باعتراف الحكومة- كفيلة بشن حرب ضد الجيش الهندي، الأمر الذي جعل المدير العام لقوات الشرطة في ولاية «أندهرا براديش» في «حيدر أباد» في حالة صدمة وقال: إنهم بقاذفات الصواريخ تلك يمكنُهم مهاجمة أيِّ مركز شرطة أو أيِّ دبابات تابعة للحكومة الهندية من على مسافة «٦٠٠» متر... ومع هذا نجد أكثر الناس خائفين من المسلمين، أهم أشدُّ خطرًا من قاذفات الصواريخ؟!!، لماذا المسلمون..؟!!.

هذا هو السؤال.. لماذا استهداف الإسلام مع العلم اليقينيِّ أنَّ غيرهم هم مصدر الخطر والإرهاب، لا لشيء إلَّا لأنهم لا يريدون من الناس أن يدخلوا الإسلام، إنها خطة الإعلام الغربي الذي يسيطر عليه رجالُ السياسة حتى يُبقوا الناس خاضعين لسيطرتهم وسيطرة أفكارهم، ومهما كانت ديانةُ الشخص فإنها لا تشكِّل خطرًا عليهم كما يشكِّله الإسلام بما يحمله من مبادئَ وقِيمٍ تهدم

الفوارق وتساوي الغني بالفقير.. إنَّ أيَّ تفجير وقع في أي بقعة من العالم فالإسلام يُدِينه ويجرِّم فاعله، ولكن الإعلام يصوِّر الأمر وكأنَّ الإسلام يدعو إليه..

* * *

إرهابيون يحملون الرقم «١»

لم يكن من المسلمين أيٌّ من المجرمين الكبار الذين عاثوا في الأرض فسادًا وأهلكوا الحرث والنسل في سبيل الحكم، وها هي الحرب العالمية الأولى تشتعل، وإنَّ أحصينا عدد القتلى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فسنجدُهم قد وصلوا «٦٠» مليونًا، كانت بسبب وَهْم في رأس رجل واحد قتل أيضًا «٦» ملايين يهودي، إنه «هتلر».. لم يكن مسلمًا.. كان مسيحيًّا، وها هو صِنْوُه أيضًا «جوزيف ستالين» الملقَّب بـ «العم جو» يتنافس معه في القتل والإجرام ليصل عدد ضحاياه إلى «٢٠» مليون شخص، وبلغ عدد الذين تسبب بموتهم جوعًا «١٤.٥» مليون إنسان، فهل كان «العم جو» مسلمًا؟!.. وإذا انتقلنا إلى الصين فسنرى أن ضحايا «ماو تسي تونغ» لا يقِلُّون عن ضحايا من سبقَه إذ قتل ما بين «١٤» إلى «٢٠» مليونًا ولم يكن مسلمًا، وفي إيطاليا وحدها بلغ عدد قتلى «موسوليني» «٤٠٠» ألف إنسان، ولم يكن مسلمًا، وبعد انتصار الثورة الفرنسية قام الشخص الذي سُمِّيت الثورة باسمه «ماكسميليان روبسبيير» بتعذيب أكثر

من «٢٠٠» ألف شخص وقتلهم جوعًا، بالإضافة إلى إعدامه «٤٠» ألفًا آخرين، ولم يكن مسلمًا، وفي معركة واحدة وهي معركة «كالينجا» قتل إمبراطور «أشوكا» الهندوسي أكثر من «١٠٠» ألف شخص، ولم يكن مسلمًا.. ولا شك أنَّ من بين المسلمين يوجد إرهابيون ويوجد من يقتُلُ الأبرياء في سبيل الحكم والكرسيِّ ولكن ما قام به جميع المسلمين أو ممَّن يُحسبون على الإسلام لا يساوي إجرام واحد من هؤلاء، ومع كل هذا الزَّخم الإجرامي لغير المسلمين تثور أحقاد الإعلام الغربي والدَّوْلي ويستهدف المسلمين ويروِّج له على أنَّه الإرهاب، ومن هذا الاستهداف غير ما نشاهده في الصحف والشاشات تعريف كلمة «الأصولي»، إذ غالبًا ما يُطلق الإعلام الغربي على المسلمين أنهم «أصوليون»، وقد أُطلقت هذه الكلمة في بدايتها على المسيحيين «البروتستانت» الذين عارضوا الكنيسة، حيث كانت الكنيسة تؤمن بأنَّ رسالة الكتاب المقدَّس منزَّلة من الإله، بينما ذهب البروتستانت إلى أنه ليس فقط رسالة الكتاب المقدس، وإنما كلُّ كلمة وكلُّ حرف في الكتاب المقدس منزَّل من الإله، وبالرجوع إلى قاموس «أوكسفورد» نجد أن تعريف الأصولي: «الشخص الذي يلتزم التزامًا تامًّا بالمعتقدات والمبادئ القديمة لأي ديانة»، غير أنَّ القائمين على النسخة المنقَّحة للقاموس قد غيَّروا في التعريف وأضافوا عليه: «وخاصة الإسلام»، وهذا يعني أنه بمجرد ذكر كلمة «مسلم» فإن المرء يبدأ بالتفكير أنه أصولي ومتشدِّد وإرهابي، وتصير مَهمة أيِّ مسلم نفيَ التهمة عنه وإثبات عكسها.

***

كثيراً ما تكون خيوط الحكم على الأشخاص بيد نسَّاج لا يهمُّه أصالة تلك الخيوط بقدر الظروف والمصالح، وهذا هو حال المتحكِّمين برقاب البلاد والعباد، فرأينا أنَّ كثيرًا من الشخصيات وصفَهم الآخرون بصفةٍ ما سرعان ما تبدَّلت تلك الصفة لينقلبَ العدوُّ صديقًا والصديقُ عدوًّا، ولينقلبَ الوطنيُّ المناضل إرهابيًّا والإرهابيُّ وطنيًّا وبطلًا قوميًّا، وفي الوقت نفسِه يتصدَّر الشخص نفسُه قائمة الإرهاب لأنه يقاوم محتلًّا ويدافع عن الحق، في الوقت ذاته الذي يكون فيه وطنيًّا عند أبناء بلده، فمنذ سنين طويلة يوم كانت الهند مستعمرةً بريطانية، كان المقاتلون الهنود من أجل تحرير بلدهم إرهابيين في نظر الحكومة البريطانية، في حين كانوا في عيون أبناء بلدهم أبطالًا وطنيين مدافعين عن الحرية والكرامة، ويوم كانت بريطانيا تحتلُّ أمريكا أطلقت الحكومة البريطانية لقب «إرهابيين» على كل من وقف في وجهِها بشكل أو بآخر، وكان على رأسهم كبار الساسة والمفكِّرين الأمريكيين في ذلك الوقت، ومنهم «جورج واشنطن» و«بنيامين فرانكلين».. ولتحديد درجة خطورة الشخص أُطلق على «جورج واشنطن» لقب الإرهابي رقم «١»، لكنَّه في المستقبل أصبح رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية، وصار الأبَ الروحي لجميع الرؤساء الأمريكيين الذين جاؤوا بعدَه، ومن ثم صارت أمريكا الحليف الأكبر لبريطانيا، فإرهابيُّو الأمس أصبحوا حلفاءَ اليوم.. ولو لم تتغيَّر الظروف وفشلت المقاومة الأمريكية لظلَّ

هؤلاء الأشخاص إرهابيين في نظر العالم؛ لأن الإعلام سيظلُّ مسيطرًا على عقول الناس، والأمر نفسه ينطبق على «نيلسون مانديلَّا» الذي قضى من عمره سنين طويلة في السجون، وكان الإرهابيَّ رقم «١» لأنه طالب بحقوق السُّود في بلده، ولكنه كان بطلًا قوميًّا عند من يدافع عنهم، إلَّا أنَّ الإعلام المتواطئ لم يكن يسلِّط الأضواء الإيجابية عليه، ولم تتغيَّر هذه الصورة عند العالم الخارجي إلَّا عندما انتصف السُّود من البِيض واعتلى «مانديلَّا» سُدَّة الرئاسة فاهتزَّت الدول الحليفة لجنوب أفريقيا، وعاد الإعلام نفسُه يصور «مانديلَّا» الذي فرض نفسه على أنه بطل قومي، وهكذا تسير الأمور.

إذًا.. على مَن يقتصر الإرهاب؟.. بناءً على الإحصاءات المقدَّمة وعلى تحليل الوقائع -يقول «د. ذاكر»- فإنَّ الإرهاب حِكر على السياسيين في كلِّ مكان في العالم، ولنتمكَّنَ من القضاء على الإرهاب فإنَّه ينبغي لنا أن نحدِّد أسباب هذا الإرهاب، ومن خلال تتبُّع ما جرى من أحداث فإنَّ هناك علاقة وطيدة بين الإرهاب والظلم، فعندما تتعرَّض فئة معيَّنة من الناس للظلم فإنهم يجنحون إلى الانتقام، فيصبح هذا إرهابًا، وهنا ينتظر السياسيون الفرصة المناسبة لإحداث ضجَّة كبرى في نشرات الأخبار ووسائل الإعلام كما حصل في تفجير بُرجَي التجارة في نيويورك، وتفجيرات «٧» تموز/ يوليو في لندن، وتفجيرات مومباي «١٩٩٣م»، وآلاف القتلى في أفغانستان والعراق والبوسنة وفلسطين ولبنان، والسبب الرئيس الذي يقف خلف هذا هم السياسيون.. السياسيون الذين يديرون دَفَّة القيادة وفق الأهواء، فعندما كان الصهاينة يُمطِرون «لبنان» بوابل

من النار والصواريخ أثار ذلك استياء الشعب البريطاني، ونظرًا لخلوِّ الساحة من حدثٍ آخر فإنَّ بوصلة الشعب قد توجَّهت إلى لبنان، فما كان من السياسيين البريطانيين إلَّا أن يتحيَّنوا الفُرص لإحداث ضجةٍ ما تحرِف البوصلة، وتوجِّه الأنظار للتخفيف من الضغط على الحلفاء الصهاينة أو الأداة الصهيونية بالأحرى، وإذا بوسائل الإعلام تُعلن أن الحكومة ألقت القبض على «٢١» مسلمًا كانوا يخطِّطون -كما زعم السياسيون- لتفجير الخطوط الجوية، وكانت الطبخة كبيرة ووُضعت عليها التوابل من مختلف الأشكال والألوان، فانشغل الشارع البريطاني بذلك الحدث، ونجح السياسيون بصرف أنظار الناس عن مجازر الصهاينة في لبنان، وكذلك في الهند، فعندما قُصم ظهر البريطانيين وخرجوا تركوا وراءهم إرثهم وأزلامَهم لينفِّذوا مآربهم، ولم تهدأ الهند حتى الآن من أحداث الشغب، فلا يمرُّ وقت قصير ينتهي بعمل تخريبي حتى نسمع عن آخر، وأبناء الهند على اختلاف عِرقهم ودينهم وطائفتهم لا يريدون القتال مع الآخرين، يريدون العيش بسلام، إلَّا أنَّ السياسيين لا يتركون الأمر يمرُّ بسلام، ولا يتوقَّفون عن غرس الكراهية في نفوس أبناء كلِّ طائفة تجاه أبناء الطائفة الأخرى وإذكاء نار العداوة للآخر حتى يحصلوا على مكاسبَ سياسية على حساب أمن البلد واستقراره وراحة الشعب وسلامته.

ومن أخطر التلاعبات السياسية التي وقعت في الهند وأدَّت إلى أعمال شغب وقُتل على إثرها نحو «٢٠٠٠» شخص معظمُهم من المسلمين، وحصل انقسام طائفي كبير لا تزال آثاره حتى اليوم كانت قضية مسجد «بابري» ومعبد «رام»،

إنَّ معظم سكان الهند لم يسمعوا بهذا المسجد من قبل، ولكن السياسيين الذين أرادوا كسب تأييد أتباعهم كان لا بدَّ لهم من إشعال شيء في نفوس هؤلاء الناس ليكونَ عندهم قضية يعملون فيها ويُظهرون شراستَهم في الدفاع عن الحقوق، فأثاروا قضية مسجد «بابري» الذي يقع في مدينة «أيوديا» في «أتر برديش» الهندية، التي تتلخَّص في كونه موقعًا تنازع عليه المسلمون والهندوس، وهو مسجد أثري بناه مؤسس الإمبراطورية المغولية في الهند «ظهير الدين بابر» في القرن الـ «١٦» الميلادي، وسُمِّي نسبةً إليه، يقع المسجد على هضبة «راماكوت» حيث يؤمن الهندوس أن المسجد بُني على أنقاض معبد الإله «راما جانام بهومي» مع أنَّ علماء التاريخ الهنود لم يستطيعوا إثبات ذلك، وإنما أثبتَتِ الدراسات الهندية التي أُجريت في الفترة الأخيرة أن المسجد قد بُني على أنقاض مسجد آخر.. لكنَّ السياسيين الذين وجدوا في ذلك فرصة ذهبية لكسب مؤيِّديهم لم يفوِّتوا هذه الفرصة، وأخذوا يطالبون بحقوق الهندوس ويجمعون أكبر حشد منهم، وبالفعل نجحوا في ذلك، وشكَّلوا مظاهرة هندوسية كبيرة بلغت «١٥٠٠٠٠» هندوسي من أتباع منظمة «جنتا بارتي» المتعصِّبة التي وصلت لحكم الهند سنة «١٩٩٨م» زحفت باتجاه المسجد في «٦» كانون الثاني/ ديسمبر عام «١٩٩٢م» حيث قاموا بهدم المسجد «عفويًّا!»، ولاحقًا في «٢٠١٠م» تمَّ تقسيم المكان إلى ثلاثة أقسام، ثلث للمسلمين وثلثين للجماعات الهندوسية المختلفة، وكما يقول «د. ذاكر» فإنه من المستحيل هدم المسجد من قبل هؤلاء بهذه البساطة، والأمر قد دُبِّر بليل، لأنَّ السياسيين قد زرعوا المتفجِّرات المناسبة

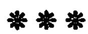
في المسجد من قبلُ، وقادوا الناس إلى هناك، وأحدثوا تلك الضجة الكبرى، حيث سيطرت حالةٌ من القلق والترقُّب والخوف على مناطق مختلفة في الهند، وبقي كثيرون في منازلهم وخزَّنوا المواد الغذائية، ونشرت السلطات الهندية أكثر من «٢٠٠» ألف شرطي في شتى أنحاء الهند تحسبًا لوقوع أيٍّ أحداث عنف طائفي، لم يكن الهندوس أنفسُهم يعرفون شيئًا عن المسجد والمعبد، ولا يملكون أدنى فكرة عن ذلك، ولكنَّ أصحاب المصالح حرَّكوا الماء الراكد وأحدثوا قضية تلُوكُها الألسنة وتطفو على السطح ليظهروا أمام أتباعهم على أنهم أبطالٌ بواسلُ، لقد حرَّضوا الهنود المساكين على أتباع الديانات الأخرى، وعندما اندلعت الأحداث اكتفى معظم الشرطة بالمشاهدة ولم يتدخَّلوا بقوة لإيقاف سيل الدماء، بل كان بعضُهم ضالعًا في الأمر، وشارك بشكل أو بآخر في الأحداث. واستقراءً لهذه الأحداث ذهب «د. ذاكر» إلى أن رئيس الولايات المتحدة الأسبق «جورج بوش» ربما يكون قد شاهدَ ما حصل، وهو المتسبِّب بأحداث «١١» كانون الأول/ سبتمبر وقام بتفجير برجَي التجارة ليسيطر على النفط بحُجة محاربة الإرهاب.

والأشخاص أنفسهم الذين أداروا تلك الأحداث هم أنفسُهم الذين افتعلوا غيرها لإزاحة المسلمين عن مواقع الصدارة ليحافظوا على مراكزهم وتحكُّمِهم بالآخرين، ففي «٢٠٠٢م» اندلعت فتنة أخرى كبيرة في «جوجارات» حيث تم تحريض السكان ضد المسلمين الأبرياء دون سابق إنذار عن طريق إغراء الكثير منهم بالأموال وإذكاء النار الطائفية، ولكي يُعطوا مبررًا لهذا فقد بدأت الشرارة

باشتعال عربة قطار في «جودرا» زعمت الحكومة أنَّ «٥٩» رجلَ دين قُتلوا فيها، لكنْ ثبتَ فيما بعد وفق التحقيقات الرسمية أنَّ الأمر ليس صحيحًا، فاحتراق العربة جاء من الداخل وليس فعلًا إجراميًّا، وثبت بالدليل القاطع أنَّ القتلى أقلُّ من ذلك، وأنَّ بعض الأشخاص الذين ذكروهم من بين القتلى كانوا أحياء، فانكشف السرُّ وبانت الخديعة، لكنَّ بعض السياسيين نجحوا في إشعال النار الطائفية، فاضطرمت وعمَّت الفوضى، وبدأت الأعمال الانتقامية، وإنَّ أقلَّ عدد من القتلى بلغ حسب المصادر الرسمية لـ «جوجارات» كان: «٧٩٣» مسلمًا و«٢٥٣» هندوسيًّا، في حين صرَّحت بعض منظمات حقوق الإنسان أنَّ العدد نحو «٢٠٠٠» إلى «٢٥٠٠» معظمهم من المسلمين، وذهبت تقارير أخرى أنَّ العدد الحقيقي هو أنَّ أكثر من «٥٠٠٠» مسلم ذهبوا ضحية الأعمال الطائفية، وتعرَّضت آلاف النساء المسلمات للاغتصاب، وتمَّ تشريد عشرات الآلاف المسلمين وطردُهم من منازلهم التي نُهبت وأُحرقت، وبسبب ضغط السياسيين على النظام القضائي ذهبت حقوق المسلمين أدراجَ الرياح، وفوق هذا نجد -كما يقول «د. ذاكر»- أنَّ «جورج بوش» لا يرى أنَّ مرتكبي مجزرة «جوجارات» إرهابيين، مؤكِّد ذلك، فالأمر لا يمسُّ الأمريكيين.

وغير هذه الأحداث كان هناك المئات من الأعمال الإجرامية التي قام بها غير المسلمين، أو أبطالُها السياسيون الذين يشعلون الفتنة، ويدفع ثمنَها المسلمون الأبرياء، ويسلِّطون الضوء على أنهم إرهابيون، و﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦] في تفسير آيات الجهاد، ويروِّجون أنَّ الإسلام يحرِّض أتباعه على قتل

الآخرين، ولكنَّ الحُجَّة تُقرع بالحُجة، فها هو «د. ذاكر» يضع في عيونهم ما جاء في كُتبهم عن القتل وأنَّ المقاطع والجمل الواردة عندهم التي تحضُّ على القتال أكثر مما جاء في القرآن بكثير، ولا سيما في كتاب «مهابهارات» و«بهاجفيد».. أمَّا كيفية التعامل مع أيِّ فِكر مهما كانت خلفيَّتُه فينبغي أن تكون بحِكمة، لا أن تكون بحقد طائفي أو تهوُّر وتسلُّط، وكمثال على ذلك فإنَّ الحكومة الهندية غالبًا ما تتَّهم تنظيم «لَشْكُر طَيبة» بالإرهاب، وأنه متورط في كثير من التفجيرات، فكيف نتصرف؟! إنَّ ما تقوم به الحكومة ليس حكيمًا، إذ ينبغي أن تمنح الحكومةُ المسلمين الثقة بدلًا من أن تعتقل ألف مسلم بريء للتحقيق معهم والإساءة إليهم وتعذيبهم في الاستجواب، لأن كثيرًا منهم وكَردٍّ فعل منهم سيكون لديهم الاستعداد للانضمام إلى التنظيم، ألا تكون الحكومةُ عندها قد قدَّمت خدمة كبيرة للتنظيم وساعدت في انتشاره بدلًا من أن تحجِّمَه وتسيطر عليه؟!، وكما يقول الكاتب «جوليو ريبيرو» في مقاله الذي نشره في صحيفة «هندوستان»: «كلما زاد عدد المقبوض عليهم بلا داعٍ في سبيل الوصول إلى الجُناة أصبحتْ عملية الوصول أصعب».



الاستراتيجيات الخمس

ما زال المسلمون يتعرَّضون لشتى أنواع المضايقات، فمن إساءة هنا إلى فيلم

هناك، ومن جريدة إلى مجلَّة، وما إلى ذلك، لكنْ ما الحلُّ الأنجعُ الذي ينبغي للمسلمين أنْ يتَّبعوه لمواجهة مثل ذلك، لا شكَّ أنَّ المنظمات الكبرى المعادية تنتظر الفرصة المناسبة كما كان يحصل في السابق لجرِّ الشباب المسلم لأعمال العنف دفاعًا عن دينهم فيصوِّرونهم على أنهم إرهابيُّون همجيُّون متخلِّفون، ماذا نفعل أمام الإعلام المسموم؟ ماذا نفعل أمام ما يصنعونه من أفلام مسيئة للإسلام كـ «براءة المسلمين» الفيلم الأمريكي المعادي للإسلام الذي يصوِّر النبيَّ محمدًا -صلى الله عليه وسلم- كزِير نساء، وأنَّ القرآن ما هو إلَّا خليط من آيات التوراة، وضعها راهب مسيحي؟.

لقد أدَّى هذا الفيلم إلى حالة من الغضب والاستياء في الأمة الإسلامية كغيره من الأعمال المعادية للإسلام التي اعتاد الغرب القيام بها أو دعمها، مثل «سلمان رشدي» الذي وضع كتاب «آيات شيطانية»، والبنغالية «تسليمة نسرين» التي كتبت «لَاجَا» التي تعني «العار» تهجمت فيه على الإسلام والقرآن، والرسومات الدنماركية، فما العمل؟.

ما يحدث هو: إذا كان المسلمون يقومون بأنشطة مُثمرة معيَّنة فلماذا لا تتوحَّد الجهود ويكون النشاط جماعيًّا لإيصال الاحتجاج، فنحصر نشاطاتنا في: «الاعتداءات الإعلامية على الإسلام»، ويكون ذلك من خلال إنشاء منظَّمات متخصِّصة للتعامل مع هذه الاعتداءات، ولا يكون العمل من خلال أفراد قد لا يكونون قادرين على إيصال المطلوب، فيظهرون بمظهر المغلوب، فيُسيئون أكثر مما ينفعون، أو يقعون في فخِّ الغرب من حيث لا يشعرون، فلو كان العمل من

خلال منظَّمات فإنَّه سيكون سديدًا وأكثر فاعليةً وإيجابيةً، ويتمكَّن المسلمون الآخرون من متابعة أنشطتهم اليومية المعتادة في نشر الإسلام.

وقد وضع «د. ذاكر» لهذه الحالات خمس استراتيجيات فعَّالة، على المسلمين القيام بها، وإلَّا فسنقع في مصيدة تُهمة الإرهاب والفشل:

الاستراتيجية «١»

وجود مجموعة من أفضل المحامين الدَّوْليين، ومن مختلف البلدان الإسلامية، يتولَّون رفع الدعاوى في المحكمة الدولية أوَّلًا حتى يكون عملُنا قانونيًّا، وذلك أنَّ المحكمة الدولية أبعد ما تكون عن العدل عندما يتوقَّف الأمر على المسلمين، فلو كان هناك تكتُّل كبير للمسلمين من مختلف بقاع الأرض ومن كلِّ القارات فسيشكِّلون قوة لا يُستهان بها لإجبار المحكمة الدولية على إنصاف المسلمين ومعاقبة المسيئين، إذًا وجود المحامين ضروريٌّ حتى إنْ لم يكونوا من المسلمين وكانوا على قدر عالٍ من النزاهة والإنصاف والكفاءة.

الاستراتيجية «٢»

لا ينبغي للدول المسلمة أنْ تقف مكتوفةَ الأيدي كما تفعل دائمًا، إنما عليها «جميعًا» أن تحتجَّ رسمياً عن طريق وزارات الخارجية، يجب أن يُوصِلوا احتجاجَهم الرسمي الى السفراء في تلك الدول، دون الاكتفاء بالاحتجاج الشعبي والاتّكاء عليه كما يحصل عادةً، فالشعوب لا يأبهُ لها أحد، أمَّا الحكومات

فالأمر معها مختلف لوجود المصالح المشتركة بين غالبية الدول التي لو استُخدمت سلاحًا فعَّالًا لأوقفوا الكثير من تلك الإساءات.

الاستراتيجية «٣»

«عقلانية الردِّ» على تلك الأفعال، والابتعاد عن الرد الغوغائي الذي ينتظره منا الإعلام الغربي، حتى يهرع ويصوِّر حالة الهياج التي نشعر بها على أنَّها همجيَّة ووحشية، وقد يعترض معترض على ذلك بأنَّه علينا أن نغضبَ لديننا وأنْ نثور وأنْ نحطِّم وأنْ.. وأنْ... متغافلًا عن سيرة الرسول الكريم في مراعاة مقتضى الحال والتصرُّف بالعقل والمنطق وفق الظروف المحيطة، ومن يقرأْ سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- يجدِ الكثير من المواقف الحكيمة التي اتَّخذها، ولا يمكن بحال من الأحوال أنْ تكونَ نتيجة الضعف، وما صلحُ الحديبية إلَّا خيرَ شاهد على تلك السياسة الحكيمة، وذلك أنَّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يبحث عن النتائج.

الاستراتيجية «٤»

بعد أنْ أصبح العالم قريةً صغيرة صارت معظم الدول تشترك في كثير من المصالح، سواءٌ على الصعيد الرسمي أو الشعبي، وأهمُّها تصريف المنتجات، فلو اتَّحد المسلمون جميعًا وقاطعوا تلك الدول التي تصدُر منها تلك التصرُّفات المشينة فإنَّه دون أدنى شكٍّ ستتعرَّض لخسائرَ فادحة، وستضغط على من يقوم

بتلك التصرفات لإيقافها، وتقديم اعتذار رسمي عما بدر منهم، ولو كانت المقاطعة قوية فإنَّهم سيسعون جاهدين لاسترضائنا والسعي خلفَنا بدل استرضائهم والسعي خلفَهم، كما حصل مع الرسوم الدنماركية المسيئة حيث ظهرت حملاتٌ قوية في الخليج لمقاطعة المنتجات الدنماركية، الأمر الذي سبَّب خسارة أكثر من مليار دولار، عندها ارتفعتِ الأصوات في الدنمارك وأرادوا الجلوس للمفاوضة، إذا كانوا يؤمنون بحرية التعبير فلنا حريةُ استخدام ما نشاء، عندها فقط أرادتِ الدنمارك التحدُّث مع المسلمين، عندها أرادت الاهتمام بمشاعرهم، لا ينبغي التعامل مع الغرب إلَّا في المادة التي جعلها دينَه.

الاستراتيجية «٥»

على جميع المسلمين في كلِّ أنحاء العالم الاحتجاج من خلال استخدام التكنولوجيا المعاصرة، من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، من خلال البريد الإلكتروني، من خلال الرسائل، من خلال الفاكس، الاحتجاج على الشخص المعنيِّ أو المنظمة المعنيَّة أو الدولة المعنيَّة، هذا الاحتجاجُ يشكِّل ضغطًا ويبرز وجودنا، لا أنْ نتغافل عمَّا يجري ونقول إنَّها سحابة صيف، وإنّه عبث أفراد، ينبغي أنْ يكون هناك احتجاجٌ سِلْمي ضخم جدًّا لإظهار القوة بطريقة سِلْمية، دون الاعتداء على الآخرين وإيذاء الأبرياء أو تدمير الممتلكات وإظهار العنف، ينبغي أنْ يجتمع الملايين معاً وتكون المسيرة سِلْمية. إذا عمل المسلمون بعقلانية واتِّحاد فسيتحقَّق لهم ما يريدون، وإلَّا فسيزيدون الطِّين بِلَّة.

مفاهيم خاطئة عن الإسلام

قد يكون ما بين الخصومة والبحث عن الحقيقة برزخٌ ليس بكثير اتِّساع، وقد يبغي أحدُ الطرفين على الآخر ما لم تتلقَّف تلك الكلماتِ الناقدةَ الموجَّهة إلى الإسلام أذنٌ واعية، فمن جاء باحثًا عن الحقيقة ولم يجدْ عندك الجواب المقنع فتردُّ بغِلظة وفظاظة، فتكون قد قطعتَ له بعض الحبال التي تصل بينه وبين الإسلام فتقترف إثمًا، ولا سيما إذا قلَبتَ بحثه عن الحقيقة إلى خصومة وعنف وحالة من الغضب كحال كثير ممَّن يدَّعون الدعوة إلى الله فيقطعون ما أمر الله به أن يوصل أكثرَ من غيرهم..

لا بدَّ أن تكون في ذهن غير المسلمين الكثير من المفاهيم غير الصحيحة عن الإسلام، يحملونها من هنا وهناك، ولعلَّ نسائم الهداية إن هبَّت على بعضهم فإن شِفاء صدورهم وبناتِ أفكارهم وإرواء تعطُّش مُهَجهم لوجه الحقيقة لا يكون إلَّا بإجابة شافية تُريحهم من عناء سَفر طويل في فيافي التفكير والتأمُّل، غير أنه إذا ما صادفَتْ تلك النسائم حائطًا صُلبًا صَلدًا من بعض المسلمين فإن خصب أرضهم قد ينقلب قاعًا صَفْصفًا يابسًا لا تلبث عقارب الأرض تجتمع في شُقوقه لتخرج ليلًا ونهارًا تلدغ الآخرين، فيكون هذا الحائط وهو يحسب أنه يحسن صُنعًا كمن نقضَتْ غزلها من بعد قوة أنكاثًا..

آااه.. أنت المسلم الإرهابي نفسُه، آااه.. أنت المسلم المتزمِّت نفسُه، آااه.. أنتم من

تنشرون دينكم بالسيف، آااه.. أنتم الذين تستعبدون المرأة، آااه.. أنتم من تتزوَّجون أكثر من زوجة.. قد تدور كلُّ هذِه الأسئلة وما كان على شاكلتها في ذهن غير المسلمين، سواءٌ أراد البحث عن الحقيقة أو الطعن في الدِّين الإسلامي، وإن من أُهم الحُجة وقوة الدليل والبرهان كمن حمل بيده مفتاح حصن عظيم مَنِيع الأبواب لو قذفْتَه بألف منجنيق لما أسقطتَ منه طوبةً، لكنك تستطيع أن تفتحَه بسهولة، فنزيل الالتباس عمَّا علِق في عقولهم لتظهرَ الحقيقة جليَّةً ناصعةً، وإذا لم يهتدِ هذا السائل إلى الإسلام فإنك تكون قد قرَّبته خطوة منه وصحَّحت المفاهيم على أقلِّ تقدير. ومن خلال المسيرة الدعوية -يقول «د. ذاكر»- استطاع أن يحصي أكثر الأسئلة شيوعًا في أذهان غير المسلمين عن الإسلام، مرتَّبةً وفق كثرة التساؤل عنها، ولو استطاع كل مسلم أن يجيب عن تلك الأسئلة بالحُجة والدليل والعقل والمنطق ومقتبسات من القرآن والحديث الصحيح واقتباسات من كتب غير المسلمين فإنه بلا أدنى شكٍّ يكون على المسار الصحيح للدعوة، ويستطيع أن يجعل غير المسلمين يتقبَّلون الإسلام ويزيل العَدَاء المعشِّش في صدورهم، يستطيع أن يبدِّد الشعور السلبي ويسحق الكراهية تجاه المسلمين، يستطيع أن يفعل ذلك حتى إن لم يدخلوا في الإسلام.

وقد تمحورت الأسئلة الأكثر شيوعًا وفق الآتي:

١- هل الجهاد إرهاب؟.

٢- هل المسلمون إرهابيون؟.

٣- هل المسلمون أصوليون؟.

٤- هل انتشر الإسلام بالسيف؟.

٥- لماذا يسمح الإسلام للرجل بالزواج من «٤» نساء؟.

٦- لماذا لا تتزوج المرأة من أكثر من رجل في الإسلام؟.

٧- لماذا يظلم الإسلام المرأة بالحجاب؟.

٨- لماذا يأكل المسلمون لحوم الحيوانات؟.

٩- إنَّ ذبح الحيوانات من أجل أكلها هو فعل وحشيٌّ، فلماذا تقتلونها؟.

١٠- إن العلم يقول: الذي يأكل الحيوان يتصرَّف مثله ولهذا فإنَّ المسلمين وحشيون!.

١١- لماذا تركعون للكعبة إن كنتم ضد عبادة الأصنام؟.

١٢- لماذا لا يُسمح لغير المسلمين بدخول مكة والمدينة إن كان الإسلام ديناً عالمياً؟.

١٣- لماذا حُرِّم لحم الخنزير في الإسلام؟.

١٤- لماذا حُرِّمت الخمر في الاسلام؟.

١٥- لماذا جعل الإسلام شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد، أليس هذا تقليلًا من شأن المرأة؟.

١٦- ألم يظلم الإسلام المرأة بقوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾؟.

١٧- كيف تثبت لنا وجود الحياة الآخرة منطقياً؟.

١٨- إذا كان المسلمون يعبدون إلها واحداً ويتَّبعون نبياً واحداً وقرآنًا واحدًا فلماذا ينقسمون إلى طوائف؟.

١٩- إذا كانت كلُّ الأديان تخبرنا بأمور جيدة فلماذا نتَّبعُ الإسلام فقط ولا نتَّبع غيره؟.

٢٠- إذا كان الإسلام أفضلَ الأديان فلماذا نرى المسلمين أسوأ الناس وأكثرَهم إرهاباً وسرقة وغشاً؟.

٢١- لماذا يُسمِّي المسلمون غيرهم بـ «الكفار»؟.

***

السؤال الأول: الجهاد والإرهاب

وهو السؤال الأكثر تداولًا على ألسنة غير المسلمين، وقد طفا على سطح المشهد بعد أحداث «١١» أيلول/ سبتمبر، وكثرت الأسئلة عن مفهوم الجهاد، ولماذا يقع الكثير من الشباب فريسةً للإرهاب باسم الجهاد، وقد تربَّع الجهاد في ذروة سنام تلك المفاهيم الخاطئة التي ليست حِكرًا على غير المسلمين فقط، إنما يشاركهم المسلمون في سوء الفَهم هذا، حيث يظنُّ الكثير أن الجهاد هو أيُّ حرب يقوم بها أيُّ مسلم مهما كان مأكلُه ومشربُه ولأيٍّ سبب كان، سواءٌ ابتغى به وجه السلطة أو التقرُّب إلى الثروة أو عبادة الوطن.. فأيُّ حرب يشنُّها أيُّ مسلم ولأيٍّ سبب كان تُسمَّى عند بعضهم جهادًا!!.

لا... لا يعني الجهاد ذلك على الإطلاق، لو حلَّلنا الأصل اللغوي لكلمة «جهاد» لوجدناها من الفعل «جهَدَ» الذي يعني السعيَ والمكافحة، فالجهاد يعني في الأساس السعي والمكافحة ضدَّ نزعة الشر في النفوس، والسعيَ والمكافحة لتحسين المجتمع ومحاربة الاضطهاد، والدفاعَ عن النفس في ساحة

المعركة، وعلى سبيل المثال، يكافح الطالب ويبذل ما في وُسعه لينجحَ في الامتحان، فنقول: إن الطالب يجاهد، ويعتقد الكثير أن الجهادَ يقوم به المسلمون فقط، إلّا أن هناك العديد من آيات القرآن تقول إن غيرَ المسلمين يجاهدون أيضًا، يقول تعالى-: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤] إذ بعد أن أثنت الآية على الوالدين ولاسيما الأم جاءت الآية «١٥»: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾، فحديث القرآن الكريم هنا عن الآباء غير المسلمين، يجاهدون ليجعلوا أبناءهم يُشركون بالله إلهًا آخرَ، والرسالة نفسُها في [العنكبوت: ٨]: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾، وغير هذا الكثير من الأمثلة القرآنية، ونقول عن هذا النوع من الجهاد في اللغة العربية إنَّه: «جهادٌ في سبيل الشيطان»، وما ينبغي علينا فعله نحن المسلمين أن نجاهدَ في سبيل الله، ومتى ما ذُكرتْ كلمة «الجهاد» وحدَها تُفهم على أنها الجهاد في سبيل الله، والكثير من غير المسلمين بالإضافة إلى هؤلاء الذين يدَّعون أنهم علماءُ مسلمون يُترجمون كلمة الجهاد إلى «الحرب المقدَّسة»، ولا نجد أيَّ ذِكر لمصطلح الجهاد بهذا المعنى في القرآن أو السنة النبوية المطهَّرة، إلَّا أنَّ وسائل الإعلام الغربية المعادية للإسلام دأبَتْ على نشر معنى الجهاد هكذا حتى تخوِّف الناس من الإسلام وتنفِّرهم منه ومن المسلمين، إنَّهم لا ينشرون إلَّا ما يوافق أهواءهم، ولا يمكنهم بحال من الأحوال أنْ ينشروا أنَّ معنى الجهاد في الإسلام «الكفاح والنضال لتحسين البشرية ونشر السلام في ربوع الإنسانية،

والنضال ضد الظلم»، وأما أولئك الذين يأتون من مختلف الأماكن القريبة والبعيدة باسم الجهاد فقسم منهم يتعرَّض للتضليل على أيدي بعض من لا يفهمون معنى الجهاد الحقيقي، ويفسِّرون آياتِ القرآن الكريم خارجَ سياقها الدلالي، وهم نسبة قليلة قياسًا بمن شُحنوا نتيجة تصوير وسائل الإعلام الجائر للغالبية العظمى من الشباب المسلمين، ويظهرون على أنهم إرهابيون، لا يتمُّ التركيز إلَّا على المسلمين في صورتين مختلفتين، الأولى صورة بعض المنحرفين الذين تعزف على أخبارهم وسائل الإعلام أحقرَ السيمفونيات مع إضافة الكثير من البهارات على المشهد المسرحي حتى تكتملَ مسرحية الإرهاب، فيصوِّرونهم على أنَّهم الإسلام برمَّته، والصورة الثانية وهي الأكثر شيوعًا، تلك التي تدافع فيها عن نفسك ومالك وعِرضك ودينك ووطنك فيصوِّرونك على أنَّك إرهابي، يسلبون منك كلَّ شيء وإنْ رفعتَ صوتك فأنت إرهابي، ومن خير الأمثلة على ذلك ما يحدث في فلسطين لأبناء فلسطين مع الكيان الصهيوني وأنظمة الحُكم العالمية، فعندما طالبوا بحقوقهم من مغتصبي أرضهم ودِينهم جعلوهم على رأس قائمة الإرهاب، وقتلوا منهم الآلافَ المؤلَّفة، ولا نجد مكانًا في الأرض فيه اعتداء على المسلمين إلَّا وصوَّروا المسلمين إرهابيين مع وجود المحتلِّ داخلَ بيوتهم وخارجَها، وعندما يقول المسلم: «اخرجْ من بيتي» فإنَّه إرهابي، المعايير مختلفة، فقانون القوة هو الذي فرض نفسَه، وهو الذي يتحكَّم بالمصطلحات والتسميات، وكثير من الصفات التي أُلصقت بالمسلمين لا صلة لها بالواقع، وكمثال آخر، للنظر إلى ما حصل في العراق، إذ لا شك انَّ أسلحة الدمار

الشامل خطرٌ كبير على البشرية، وهي أحد أهم الأسباب الظاهرية الذي جعل أمريكا تقتحم العراق، لا شكَّ أنَّ امتلاك مثل هذه الأسلحة ضرب من الإرهاب، ولكن ما الذي حصل؟ ماذا كانت نتيجة دخول أمريكا العراق؟ لا شيءَ سوى الخراب والدمار، فأين أسلحة الدمار الشامل؟! لقد خرب الأمريكيون العراق وجعلوها في الحضيض، وهذا كان الهدف من وراء الدخول فهل وصفتهم وسائل الإعلام الغربية بأنَّهم إرهابيون خربوا بلدًا بأكمله وهجَّروا أهله وقضَوا على اقتصاده؟، لا لم يحصل، مع أنَّهم اعترفوا بعد تحقيق الهدف أنَّ المعلومات التي وصلتْهم لم تكن صحيحة، إنَّ الذي يعطي تلك الشهادات المزوَّرة عن الإرهاب هم أنفسُهم، فلن يكتبوا أنفسَهم من التُّعساء. وفي الجهة المقابلة لا نراهم كثيرًا ينغِّمون عن الإرهابيين غير المسلمين، فهناك منظَّمات عالمية إرهابية غير مسلمة تقوم بالكثير من التفجيرات والقتل، إلَّا أنَّ أخبارَهم تمرُّ مرور الكرام في موجزات الأخبار أو في عنوان فرعي ليوم واحد ثم تختفي عن الأنظار، في الوقت الذي تبقى الأخبار تسيء للمسلمين أيامًا وأسابيعَ بالخطِّ العريض، لم نقرأ يومًا أنّهم وصفوا الجيش الجمهوري الأيرلندي الذي قتل الكثير من الناس بأنهم إرهابيون مسيحيون أو إرهابيون كاثوليك، الكثير من الناس لا يعلمون عن الماويين وأفعالهم في الهند شيئًا، ولا عن نمور التاميل، ولا يلقِّبهم أحد بالهندوس الإرهابيين، بينما الوضع مختلف تمامًا في طريقة التعامل مع المسلمين، فالتُّهم جاهزة، والألقاب مفصَّلة، والمانشيتات تنتظر الطباعة، والأخبار والتعليقات أكثر من أنْ تُعدَّ أو تُحصى، هذا باختصار ما تفعله وسائل

الإعلام حول مفهوم الجهاد، وهكذا يتمُّ تشويهه وتحريف معناه في أذهان الناس.

* * *

الإسلاموفوبيا

نعم، هناك ظاهرة تسمى «الإسلاموفوبيا»، ولا سيما في القرن الـ «٢١»، وإن أحدَ أهمِّ أسباب انتشار هذه الظاهرة في المجتمعات الأخرى هو «الإعلام» كما أسلفنا الذي ينشر العديدَ من المفاهيم الخاطئة عن الدِّين الإسلامي، ومن واجبنا نحن المسلمين أن ننشر التعاليمَ الحقيقية للدِّين الإسلامي، نحن ندرك أن هناك بعضَ النماذج السيِّئة في المجتمع الإسلامي، فلا نقول إن جميع المسلمين أنقياء وجيِّدون بنسبة «١٠٠٪»، ففي كل مجتمع هناك أفراد سيِّئون، ومنها المجتمع المسلم، وما يفعله الإعلام أنه يختار تلك النماذج السيِّئة من المجتمع الإسلامي ويقدِّمها للعالم على أنها الإسلام وأنها تمثِّل جميع المسلمين، إذًا ما علينا فعله هو نشر تعاليم القرآن الحقيقية وأحاديث نبينا الكريم الصحيحة، وإذا ما تورَّط أيُّ مسلم بفعل يتنافى مع تعاليم الدِّين الإسلامي كالإرهاب وقتل الأبرياء فمن واجبنا تجاه هؤلاء أن نخبرَهم بأن ما يفعلونه حرام، هناك بعض الأشخاص الذين تمَّ تضليلُهم وغَسْل أدمغتِهم، ولا سيما مقولة أنَّ قتل الناس الأبرياء هو جزء من الإسلام يُثاب عليه الشخص، علينا أن نمنع هؤلاء من الضياع بتعليمهم الإسلام الحقيقي، والنقطة الثانية أن نوصل لحكوماتِ البلدان حيث نعيش أن الإسلام دِين مسالم، على المسلمين أن يكونوا جزءًا من الحلِّ لا جزءًا من المشكلة، وهذا ما قدَّمه «د. ذاكر» لشرطة الهند وشرطة مومباي، وهو

يتواصل بشكل دِوري مع الشرطة بهذا الخصوص[1]، ويطلب منهم أنْ يَثِقوا بالمسلمين، فأفضل وسيلة هي التفاعلُ معهم، وكذلك خاطبَ العديدَ من ضبَّاط الشرطة في بلدان مختلفة، وعلينا إقامة جلساتٍ حوارية لطرح الأسئلة والإجابة عنها لإزالة المفاهيمِ الخاطئة التي زرعَها الإعلامُ في رؤوس الناس، وأن الإنسان إذا كان على دراية تامَّة بالإسلام فسيعلم أنَّ المسلم هو الشخص الذي ليس لأحدٍ أن يخاف منه.

***

السؤال الثاني: المسلمون أصوليون

كثيرًا ما يتَّهم أعداء الإسلام المسلمين بأنهم أصوليون، وتتَّجه نحوَهم أصابع الاتِّهام والتقريع والنَّبْذ، ويقف الكثير من المسلمين حائرين لا يُحِيرون جوابًا، ولا يعرفون كيف يردُّون، فيشعرون بالخِزي والعجز، ولكننا إذا حلَّلنا المعنى الحقيقي لكلمة «الأصولي» لوجدناها تعني الشخصَ الذي يتَّبع أصول موضوع معيَّن، فإذا أراد شخص ما أن يكون بارعًا في الرياضيات مثلًا، فعليه أن يكون أُصوليًّا في هذه المادة، عليه أن يطبِّق أصولها وقواعدها وأن يلتزمَ قوانينها، فإن لم يكن أصوليًّا في هذه المادة فليس له أيُّ حظٍّ من الإبداع والابتكار فيها، ولن يكون إلَّا كأيِّ دارس عاديٍّ مرَّ عليها فشرب من مائها ثم غادر دون أن يزرع شيئًا في أرضها يراه الناس من بعده، لن يكون الشخصُ عالمًا جيدًا إن لم يكن

---

(١) كان هذا يوم كان في الهند قبل أن ترفع الحكومة الهندية طلبًا للإنتربول الدول للقبض عليه، يُنظر ص٣٦٧ وما بعدها.

أُصوليًّا في هذا العلم، وبالطبع فلا يمكننُا التعميم بأيٍّ حال من الأحوال أن جميع الأصوليين على قدر عالٍ من التميُّز أو الجودة أو السوء، فهم متفاوتون في ذلك، إنما الذي يفصل في هذا هو المجال الذي أصبح فيه أُصوليًّا، هنا يمكننُا الحُكم عليه من خلال مجاله إن كان جيدًا أو سيئًا، فليس من المعقول أن نحكم على سارق إن كان أُصوليًّا في فنِّ السرقة كما نحكم على غيره من أصحاب العلوم والنفع المجتمَعيِّ كالطبيب الأصولي في علم الطب الذي كرَّس نفسه وعلمه لإنقاذ الأبرياء ومداواة الناس، وهنا أخرج «د. ذاكر» ما في نفسِه تجاه هذه التُّهمة بقوله: «أنا مسلم أُصولي وأفتخر بذلك»، وذلك وفقًا للتعريف الحقيقي للمسلم الأُصولي فهو الذي يتَّبع تعاليم الإسلام ويسعى جاهدًا لممارسة أصوله وأحكامه على أكمل وجه، هذه الأصول التي لم تكن في يوم من الأيام ضدَّ الإنسانية، بل على العكس من ذلك، إنَّ كلَّ ما جاء به الإسلام إنما جاء لنَفْع البشرية جمعاءَ على اختلاف مآكل البشر ومشاربهم وألوانهم وألسنتهم، وحيثما حلُّوا وارتحلوا، وفي المقابل من العقول فقد يظنُّ بعضها أنَّ هناك أحكامًا إسلامية ليست في صالح البشرية، لبُعدهم عن الدين، ولِما لوسائل الإعلام من أثر كبير في تشويه الصورة الحقيقية للمسلمين، وما إنْ تُظهِر لهم السبب الحقيقيَّ في وجود هذه الأحكام حتى يكتشفوا أنها في صالح البشرية، لا يُنكر هذا إلَّا كلُّ جاحد معاند، ولن تجد أيَّ شخص يمكنه أنْ يقتبس حكمًا واحدًا ضد الإنسانية، وطبقًا لقاموس «ويبستير» إذا عدنا بالتاريخ قليلًا إلى الوراء فإننا سنجد أنَّ كلمة «أُصولي» استُخدمت للمرة الأولى في وصف جماعةٍ من الأمريكيين المسيحيين في

الحِقبة الأولى من القرن «٢١» الذين وقفوا في وجه الكنيسة التي كانت تؤمن سابقًا أنَّ رسالة الإنجيل الكاملة إنَّما هي من الإله، هؤلاء المسيحيون «البروتستانتيون» احتجُّوا على الكنيسة، وقالوا: ليسن فقط رسالة الإنجيل من الإله، بل كلُّ كلمة وكلُّ حرف في الإنجيل من الإله، وكان هذا الاحتجاج جديدًا على الكنيسة التي كانت تسيطر على كلِّ شيء، وإذا ما راجعنا قاموس «أوكسفورد» للكشف عن معنى كلمة «أُصولي» لوجدناه يقول: الأُصولي: «هو الشخص الذي يلتزم بشدة بالتعاليم القديمة والكتب المقدَّسة الخاصة بأيِّ دِين»، بينما إذا نظرنا إلى النسخة المنقَّحة من قاموس «أوكسفورد» نفسِه فإننا سنجد اختلافًا بسيطًا، حيث يقول: «هو الشخص الذي يلتزم بشدَّة بالتعاليم القديمة والكتب المقدسة بأيِّ دِين ولا سيما الإسلام»، لاحظوا أنَّ العبارة التي أضافوها إلى التعريف هي عبارة «ولا سيما الإسلام»، وهكذا عزَّزوا في أذهان الناس الْتصاقَ هذا المصطلح بالمسلمين، على ما يَعنِيه عند الغرب من تشدُّد وتعنُّت وإرهاب، لن يذكر أحد أيَّ جزء من التعريف إلَّا الجزءَ المتعلِّق بالإسلام، ومع الأسف، فعندما تُوجَّه إلينا هذه التُّهمة نسارع نحن المسلمين إلى نَفْي التهمة عنَّا: لا، لسنا أصوليين، لسنا متشدِّدين، وهذا هو الخطأ عينُه، لأننا بهذا ننفي كونَنا مسلمين حقيقيين، المسلم المتشدِّد هو شديدُ الالتزام بأحكام الإسلام، شديدُ الصدق، شديدُ العدل، شديدُ اللطف، شديدُ الرحمة، شديدُ الحب، ولا أظن أنَّ شخصًا شديدَ الالتزام بهذه الصفات يمكن أن يكون شخصًا سيِّئًا بحال من الأحوال، وقرآنُنا الكريم يحضُّنا بشدة على الالتزام بتلك الصفات

الحسنة، إذْ لا يمكن للمسلم أن يكون صادقًا جزئيًا، يكذب أحيانًا ويصدق أحيانًا، وكذلك في كلِّ الصفات الحسنة التي تميِّز المسلم حتى يكون شامة بين الناس، إنَّ التشدُّد في الاتجاه الصحيح هو ما يحضُّ عليه الإسلام، وليس التشدُّد في الاتجاه الخاطئ الذي حاربَه الإسلام بشدَّة واتهمَنا به الآخرون ووقفنا عاجزين لا نُحِير جوابًا، يقول الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، طبِّقوا الإسلام كلَّه لا جزءًا منه، إننا نتَّبع أفضل دِين في تاريخ البشرية، ومع ذلك لا نلتزم ما جاء فيه ونُذعِن للآخرين الذين ما برحوا يشوِّهونه، فلماذا لا نتعلَّم أحكام ديننا بشكل جيد ونبرز وجهَه الحقيقي؟، لماذا نخاف منهم عندما يرموننا بهذه التُّهم؟ إنه الوقت لكي نقلب الطاولة عليهم، إنَّ التشدُّد في الإسلام وفق الصفات التي يريدها الله «التشدُّد في الرحمة والعطف والمحبة والتسامح والعدل والصدق.. وغيرها» فيها حلٌّ لجميع مشاكل البشرية، وهنا تأتي مداخلة للدكتورة «بوجا»، وهي مختصة في العلاج الطبيعي، بأنَّها تودُّ أنْ تصحِّح ما ذكره «د. ذاكر» من حل جميع مشاكل البشرية بالاتِّصاف بتلك الصفات، إذ أرادت تعديل مقولته: «إذا كان كلُّ شخصٍ مسلمٍ متشدداً فستُحل مشاكل البشرية» إلى: « إذا كان كلُّ شخص متشدداً فستُحل مشاكل البشرية»، دون كلمة «مسلم»، وقالت: «أودُّ أن أجري تصحيحاً، أنا صغيرة جداً على التصحيح لك، آسفة على ذلك، ولكن من أعماق قلبي أعتقدُ أن هذه الجملة ستكون أكثرَ مصداقية لو صغناها على هذا النحو»؛ أي: سواء أكان الشخص مسلماً أو

هندوسياً أو مسيحياً أو غير ذلك.

فجاءها جواب «د. ذاكر» أنَّ المسلم المتشدِّد هو شخص متشدِّد في لطفه ورحمته ومحبَّته وأمانته وعدله، وإلَّا فقد يكون هناك سارق متشدِّد يريد أن يسرق، أو قد يكون هناك مغتصب متشدِّد، ولو قلت «متشدداً» فحسب فلن تُحلَّ المشاكل، وسيكون المغتصِب مسروراً مني.

وهنا لما رأى «د. ذاكر» تعلُّق هذه الدكتورة استدرجها إلى الطريق الصحيح قليلًا قليلًا، إذ يبدو للوهلة الأولى أنَّ كلامها صحيح، فالمحبَّة والتسامح والعدل وما إلى ذلك لا تقتصر على المسلمين، فقال لها: إذا ترجمت الكلام كلَّه إلى الإنكليزية فستفهمين على نحو أكثر دقة، وهو: «إذا أصبح كلُّ إنسان شخصاً مسالماً متشدداً يسلم مشيئته للإله فستُحلُّ جميع مشاكل البشرية»، إن استخدامي للكلمة العربية «مسلم» أو «إسلام» قد لا يعجب الكثيرين، لهذا أودُّ أن أُعيد صياغة السؤال لفائدة غير المسلمين: «إذا أصبح كلُّ إنسان شخصاً متشدِّداً في مسالمته، يُسلِم مشيئته للإله العظيم فستُحلُّ جميع مشاكل البشرية»، فعقَّبت الدكتورة ظنًّا منها أنَّ الأمور انتهت على ما تحبُّ، فقالت: «سواء أكان مسلماً أو هندوسياً أو مسيحياً»، فعقَّب «د. ذاكر» بقوله: إذا أضفت عبارة «سواء أكان مسلماً أو هندوسياً أو مسيحياً أو مغتصِباً أو سارقاً» فلن تنجح، لأنه يجب أن يكون مسلماً حتى يُسلِم مشيئته للإله العظيم، فعقَّبت الدكتورة: «وإذا سلَّم الهندوسي مشيئته للإله؟»، فقال لها: إذا كنت هندوسية، وتسلمين مشيئتك للإله، وتتبعين الكتب «الفيديَّة» وإذا شاهدتِ محاضرتي عن أوجه التشابه بين الإسلام والهندوسية

فستجدين أن كتب «الفيدا» تنصُّ على أن المرء يجب أن يؤمن بربٍّ واحد، إذا اتَّبعتِ «الفيدا» فمذكور في: «أوبانيشاد تشاندوغيا»، الباب «٦»، الجزء «٢»، الآية «١»: «الإله وحدَه لا شريك له»، وهذا مذكور في «الفيدا»، الياجورفيدا، الباب «٣٢»، الآية «٣»: «لذلك الإلهِ لا تُوجد براثيما»، و«براثيما» تعني: الصورة، النَّحت، التمثال.. فإذا كنت هندوسية فمذكور في كتب «الفيدا» أنَّه سيأتي رسول آخر، هو خاتم الرسل، واسمه النبي محمد -صلى الله عليه وسلم، حيث بُشِّر به في «كالكي أَفْتار»؛ أي: «نبي كالكي المقبل»، الباب «٢»، الآيات: «٥ -٧ -٩ -١١ -١٥»، وقد ورد أنه سيُولد في مدينة السلام؛ أي: مكة، وسيكون اسم والده «فيشنو ياش»؛ أي: «عبد الله»، وهو اسم والد النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وسيكون اسم أمه «سوماتي» وتعني: المسالمة والهادئة وترجمتها إلى العربية فهي «آمنة»، وهو اسم والدة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وسيولد في الثاني عشر من شهر «مادهاف»، ونعرف أنه ولد في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وسيكون له أربعة من الصحابة وهم الخُلفاء الراشدون الأربعة، والآن ما أقوله هو: دعينا نتَّفق على أن كتاباً واحداً على الأقل هو كلام الإله، سيقول الهندوس إنَّ «الفيدا» هو كلام الإله، وسيقول المسيحيون إنَّ الكتابَ المقدَّس هو كلام الإله، وسيقول المسلمون إن القرآن هو كلام الإله، دعونا نتَّفق على الأقل على أنْ نتَّبع ما هو مشترك بين الكتب المقدسة حتى نخرج من الخلاف، ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ودعينا لا

نتشاجر على نقاط الخلاف، سنأتي إلى التشابُه وهو أنَّ جميع الكتب المقدسة الرئيسة سواء أكان القرآن أو الكتاب المقدس أو الفيدا أو الكتب الفارسية أو كتب السِّيخ كلُّها تقول إنَّ علينا أن نؤمن بربٍّ واحد، معظم الأديان الرئيسية تبشر بقدوم خاتم الأنبياء والرسل، وهذا مذكور في الكتاب المقدس في سفر التثنية، الإصحاح «١٨»، في الآيتين «١٨» و«١٩»، وفي سفر إشعياء، الإصحاح «٢٩»، الآية «١٢»، وفي نشيد الإنشاد، الإصحاح «٥»، الآية «١٦»، وفي العهد الجديد، في كتاب يوحنَّا، الإصحاح «١٤»، الآية «١٦»، وفي كتاب يوحنَّا، الإصحاح «١٥»، الآية «٢٦»، وفي كتاب يوحنَّا، الإصحاح «١٦»، الآيات «٧-١٢-١٣-١٤»، حيث يقول عيسى المسيح -عليه السلام- «إنَّ لي أمورًا كثيرة، أقولُها لكم أيضًا، ولكنَّكم لا تستطيعون أن تحتمِلوا الآن، أما متى جاء ذاك، روحُ الحقِّ، فهو يرشدُكم إلى جميع الحقِّ، لأنه لا يتكلَّم من نفسِه، بل كلُّ ما يُسمع منه يتكلَّم به ويخبرُكم بأمور آتية، ذاك يمجِّدني لأنه يأخذ ممَّا لي ويخبرُكم»، إذًا ما نعرفه من جميع الكتب المقدسة هذه هو أن علينا أن نؤمن برب واحد، لا صورةَ له ولا تمثالَ ولا صنمَ، ويجب أن نؤمن بخاتم الأنبياء والرسل، دعينا نتَّفق على ذلك، دعينا لا نتشاجر حول الاختلافات، دعينا نتَّفق على اتِّباع ما هو مشترك بين الكتب الهندوسية المقدَّسة والكتب الفارسية المقدَّسة والكتب المسيحية المقدَّسة، وإن شاء الله فسيتَّفق جميع البشر الذين يؤمنون بالإله على الإيمان بربٍّ واحد، لا صورةَ له ولا صنمَ ولا تمثالَ، والإيمانِ بأن خاتم الأنبياء والرسل اسمه محمد -صلى الله عليه وسلم- وعندئذ سيكون كلُّ إنسان مسالمًا

جداً يُسلِم مشيئته للإله العظيم وستُحلُّ جميع مشاكل البشرية.

وخلاصة قوله أنَّ من يقرأ تلك الكتب حقًّا فسيعلم أنَّ هذا الشخص المسالم المتشدِّد في تسامحه وعطفه وعدله ما هو إلَّا الشخص المسلم الذي يشهد ألَّا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله.

***

السؤال الثالث: المسلمون إرهابيون
«MUSLIMS ARE TERRORISTS»

«ليس كلُّ المسلمين إرهابيين، ولكنَّ كلَّ الإرهابيين مسلمون» إنها مقولة دأب الإعلام العالمي على ترديدها وزَرعها في الأذهان والعقول التي لا ينطبق عليها إلَّا وصفُ «سياسة القطيع» المنقاد لرأسه وقائده، ولا أدري كيف يُؤخذ الكثير من المسلمين والعرب بها عند الغرب على وجه الإطلاق، حتى تكاد لا تسمعُ نقدًا واحدًا لهؤلاء، فإذا ما جاء ذِكر الإسلام انصبَّتِ القاذورات من أفواهِهم بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، إنَّ الشعوب التي يغسلون أذهانَها ببساطة بنَشرة أخبار أو خبر في صحيفة أو فيلم قصير لهيَ شعوبٌ أَولى بها أن تتربَّع على عرش الغَباء، الأمر الذي جعل «د. ذاكر» يُعطي محاضرة كاملة حول هذا الموضوع بعنوان: «هل الإرهابُ حِكر على المسلمين؟»[1]، هذا اللقب الذي الْتصقَ بالمسلمين ولا سيما بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر وبعده

(١) انظر ص ٢٢٧.

حادثة تفجيرات لندن في السابع من تموز/ يوليو، إذا ما راجعنا تاريخ وسائل الإعلام المقترنة بالسياسة فسنجدُها تُطلق اسمَين مختلفَين متناقضَين على الشخص نفسِه، وبسبب الفعل نفسِه الذي يقوم به، فعلى سبيل المثال: كان الكثير من الهنود يحاربون من أجل حرية بلادهم قبل أكثر من «٦٠» سنة ضدَّ الاحتلال البريطاني الذي سمَّاهم «إرهابيين» بينما نسمِّيهم نحن الهنود بالوطنيين المدافعين عن الحرية، إنهم الأشخاص أنفسُهم، والأفعال نفسُها، إلَّا أن التسمية اختلفت وفق وجه نظر الوسيلة، وعندما كان «د. ذاكر» يقابل بعض الهنود يسألهم: هل تعدُّون «بهغات سينغ» إرهابيًّا؟ فيقولون: لا، فيقول: لماذا؟ فالإعلام الغربي يسمِّيه إرهابيًّا؟، ليس إرهابيًّا لأن هؤلاء يعلمون الوقائع التاريخية التي تخصُّ الهند ويؤمنون بحرِّيتها وعدم تبعيَّتها لبريطانيا، حسنًا.. إذًا فلماذا توافق الآن على تسمية المسلمين بالإرهابيين من قِبَل الوسائل الإعلامية نفسِها التي سمَّت «بهغات سينغ» إرهابيًّا؟!!، هل قمتم بالبحث والتحرِّي؟ لا جواب سوى أنهم يبتسمون ابتسامة الخاسر الذي لا شيء عنده. والله -عز وجل- يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ [الحجرات: ٦]، وهناك العديد من الأمثلة على ذلك، فعندما نقرأ تاريخ الثورة الأمريكية في عام «١٧٧٥م» كان «جورج واشنطن» في نظر الحكومة البريطانية الإرهابي رقم «١»، هذا الإرهابي الذي دافع عن حرية بلادِه أصبح رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية والأبَ الروحي لكلِّ الرؤساء الذين جاؤوا بعده، ومثله «نيلسون مانديلَّا» الذي الْتصقَ به أيضًا

لقب الإرهابي رقم «١» من قِبَل الحكومة العنصرية البيضاء التي كانت تحكم جنوب أفريقيا، وحكم عليه بالسجن لأكثر من «٢٥» سنة في جزيرة «روبن» في جنوب أفريقيا، وبعد الحرية حصل مانديلًا على جائزة نوبل للسلام وأصبح رئيسًا لجنوب أفريقيا، الإرهابي رقم «١» يحصل على جائزة نوبل للسلام، ليس لأنه عدَّل من سلوكه وغيَّر نهجه، وإنما على الأفعال نفسِها التي قام بها سابقًا وأطلقوا عليه لقب الإرهابي رقم «١» بسببها، هذا هو الإعلام، وهذا أثرُه، يحوِّل البطل إلى مجرم والمجرم إلى بطل، وللأسف فنحن المسلمين متأخِّرون جدًّا في الإعلام، ضعيفون جدًّا في الإعلام، بعيدون جدًّا عن الإعلام، لم نُلقِ بالًا للإعلام، اتجهنا في الإعلام إلى ما يضرُّنا ولا ينفعنا، لم يحرِّم الإسلام وسائل الإعلام، والذي يحكُم على حلالها وحرامها هو ما يُعرض فيها، صحيح أنَّ الكثرة الكاثرة منها حرام، ولكنَّ كلَّ ذلك بأيدينا نحن، فلماذا لا نحوِّل الحرام إلى حلال؟

وهكذا ننقل رسالة الله إلى الناس، ونُظهِر لهم المحجَّة البيضاء الحقيقة التي لا تَشُوبها شائبة عن الإسلام، إنَّها أفضل وسيلة لنشر الرسالة السماوية السمحاء، وعلى الأقل يكون هذا حُجَّة لنا يوم القيامة بأنْ فعلنا ما بوسعنا، علينا أن نستخدم السلاحَ نفسَه الذي حرَف طريق الشباب عن جادَّة الصواب، علينا أن نكون أذكياء في التعامل مع الواقع، لا أن نقف عند دعاوى من هو مغيَّب عن الواقع ويدعو إلى تحريم وسائل الإعلام.

***

السؤال الرابع: الإسلام انتشر بالسيف:

Islam was spread by the sword

إذا ما أتينا أولًا لتحليل معنى كلمة «إسلام» فإننا نجد أنها مشتقَّة من «السلام – peace»، التي تعني إخضاع إرادتك لله –تعالى–، إنَّه السلام المكتسب من خضوع إرادتك لله –سبحانه وتعالى–، وهذا متناقضٌ تمامًا مع التُّهمة التي يُلصقونها بالإسلام وهي أنَّه انتشر بالسيف والعَنوة والقوة، متناقضًا تمامًا مع الرسالة التي يحملُها الإسلام للبشرية وهي نشر السلام في كلِّ مكان، كلُّ دولة في العالم تريد أن ينتشر الأمن في ربوع أراضيها، ولذلك فإن لديها قواتِ الشرطة ومختلفَ الأجهزة لتحقيق ذلك، وهذه الشرطة لن تكون رحيمةً مع المجرمين والخارجين على القانون، وكذلك الإسلامُ، غير أنَّه لا يريد نشر الأمن والسلام في بقعة معينة في الأرض، إنما في كلِّ بقاع المعمورة من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، وهو ضدُّ الاقتتال وضدُّ العنف واستخدام القوة في السيطرة على الآخرين، لا يؤمن بشريعة الغاب وحاربها بكل قوة، أخذ حقَّ القوي من الضعيف، وأنصف المسكين، ووقف في وجه الظالم، ولا يمكن أن يحصل هذا ما لم يمتلِكِ الإسلام القوة التي يجعلها آخرَ سلاح يستخدمه للحفاظ على الأمن العام ونشر السلام في كلِّ مكان، وهنا تأتي القلوب الحاقدة والعقول العَفِنة التي تحرف الحقَّ وتُحِيله إلى باطل، فيتَّهمون الإسلام بأنَّه انتشر بالسيف وإرهاب الآخرين وتخويفهم، وإنَّ أحسن ردٍّ يمكن أن يردَّ به المسلم على الاتهام الباطل هو الاستشهاد بقول المؤرِّخ البريطاني المشهور «دي لاسي أوليري» في كتابه

«الإسلام مفترق الطرق» حيث يقول في الصفحة الثامنة: «التاريخ وضَّح الأسطورة القائلة إنَّ المسلمين انتشروا في العالم ويُرغمون الناس على الدخول في الإسلام بقوة السيف والغزوات، هذه أكبر خرافة كرَّرها التاريخ»، عن أيِّ سيف يتكلمون!، لقد حكم المسلمون إسبانيا لمدة «٨٠٠» سنة، غير أنَّهم للأسف لم يُبلِّغوا الرسالة على أكمل وجه، لم يُوصِلوا رسالة الإسلام لغير المسلمين، بعد ذلك جاءت الحملات المسيحية الصليبية ولم يكنْ باستطاعة مسلم واحد فعل أيِّ شيء، حتى رفعُ الأذان على الملأ، لو قرأنا التاريخ جيدًا لعرفنا أنَّ الديانة التي انتشرتْ بالسيف هي الديانة المسيحية، حيث تمَّ قتلُ الآلاف باسم المسيحية، وأتباعُها هم أنفسُهم من يتَّهم الإسلام بأنَّه انتشر بالسيف، لقد حكم المسلمون الأراضي العربية في الـ «١٤٠٠» سنة الماضية، ولسنين قليلة حكمَها البريطانيون والفرنسيون، ومع ذلك يوجد الآن ما يقرب من «١٤» مليون عربي قِبطي مسيحي، التي تعني: مسيحي لعدة أجيال، إنَّهم خيرُ مثال على عدم انتشار الإسلام بالقوة، وإلَّا لما وجدتَ مسيحيًّا واحدًا في الأراضي التي حكمها المسلمون، وكمثال آخر فقد حكم المسلمون الهند لأكثر من «١٠٠٠» سنة، ولو كانت التُّهمة صحيحة لتحوَّلت كلُّ الهند إلى مسلمين، ولكنَّ هذا لم يحصل، والإسلام يحرِّم إرغام الآخرين على اعتناق الإسلام، ولو نظرت في حال الهند اليوم لوجدت أن أكثر من «٨٠٪» من الهنود غير مسلمين. وإذا نظرنا إلى إندونيسيا أكثر البلاد في عدد المسلمين وتساءلنا: أيُّ جيش إسلامي ذهب إليها وأرغمَها على الدخول في الإسلام؟!، أيُّ جيش إسلامي ذهب إلى ماليزيا

وأرغم «٥٠٪» من سكانها على الدخول في الإسلام؟! أيُّ جيش ذهب إلى الساحل الشمالي الأفريقي؟!، عن أيِّ سيف تتحدثون؟!، الردُّ من المؤرخ الفرنسي الشهير «توماس كارلايل» الذي يقول في كتابه: «Heroes, Hero-worship»، واضعًا الرسول محمدًا -عليه الصلاة والسلام بطلًا له: أيُّ سيف؟ أولًا يجب أنْ تجد سيفَك، حيث إنَّ كلَّ فكرة جديدة تخطر في ذهن صاحبها في عقل رجل واحد تتحرَّك وحيدة، رجلٌ واحد أمام العالم كلِّه، لن يكون نافعًا إنْ حمل سيفًا وأراد فرض تلك الفكرة، إنما يجب أن تجدَ سيفَك الحقيقي لنشر تلك الفكرة، إنَّه ليس السيف الذي تعرفون، إنَّه سيف الحكمة، أيُّ سيف هذا الذي جعل الآلاف من الناس يدخلون الإسلام؟!، إنّه سيفُ الحكمة ليس إلَّا، إنَّه السيف الذي عناه الله -تعالى- بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، إنَّه سيفُ المنطق العقلي القائم على الإقناع لكسب قلوب الناس، إنّه قطعًا ليس تلك القطعة المعدنية التي حتى إن حملَها المسلمون لنشر الإسلام فلن يُفلحوا لأنهم بذلك يخالفون حكم الله -تعالى- الذي يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢]، لا شيءَ سوى سيف العقل والحكمة والمنطق.

كان ثمة بحث قد نُشر عام «١٩٨٤م» في: « Reader,s Digest 'Amanac',year book»، ونُشر البحث أيضًا في مجلة الحقيقة المجرَّدة «The plain Truth»، وكان عن انتشار الديانات الكبرى في العالم في مدة «٥٠» سنة من عام «١٩٣٤م» حتى عام «١٩٨٤م»، وقد أظهر هذا البحث أنَّ

أكثر الديانات انتشارًا هو «الإسلام» بمعدل «٢٣٥٪»، أما المسيحية فجاءت بمعدل «٤٧٪» فقط، والسؤال الذي يطرح نفسه ويُلقي الحجارة في أفواه أولئك الناعقين: أيُّ سيف هذا الذي نشر الإسلامَ في هذه الفترة؟، أيُّ حرب تلك التي حدثت في هذه الفترة وأجبرت عشرات الآلاف على الدخول في الإسلام؟، وفي هذه الأيام إنَّ أسرع الديانات انتشارًا في أمريكا هو أيضًا «الإسلام»، أسرع الديانات انتشارًا في أوروبا هو «الإسلام»، من أجبر هؤلاء الأمريكيين والأوروبيين على اعتناق الإسلام؟ أيُّ سيف هذا؟!، وإضافة إلى هذا يقولون إنَّ الإسلام يضطهد المرأة ولا يحفظ حقوقَها في الوقت الذي نجد فيه أنَّ ثُلثي الذين يعتنقون الإسلام في أمريكا وأوروبا من النساء، إنْ كان الإسلام يُهين المرأة فمن أجبر تلك النساءَ الأمريكياتِ والأوروبياتِ على اعتناق الإسلام؟، إنه سيف الحكمة والقناعة، يقول «آدم بيرسين»: «إنَّ الناس الذين يخشَون من امتلاك العرب للسلاح النووي فشلوا في إدراك أنَّ القنبلةَ الإسلامية قنبلةَ السلام قد أُلقيت بالفعل يومَ ولادة الرسول محمد –عليه الصلاة والسلام.

***

السؤال الخامس: لماذا يسمح الإسلام للرجل بالزواج من «٤» نساء[1]؟

لم يعلم هؤلاء الذين يسألون هذا السؤال أنَّ الإسلام هو الدِّين الوحيد الذي

(١) هناك محاضرة كاملة ألقاها د. ذاكر نايك عن المرأة في الإسلام، انظر ص١٦٧.

ينصُّ صراحة على الزواج بامرأة واحدة فقط عندما قال الله -تعالى-: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣]، وهذا يعني أنَّه فقط من يستطيع العدْل فله أن يتزوج أكثر من امرأة، والله يقول في محكم تنزيله: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]، وكثيرٌ من الناس يظنُّون وفق أهوائهم أنَّ الواجب في الإسلام أن يتزوج الرجل «٤» نساء، لا، ليس الأمر كذلك، إنه على الإباحة وليس الوجوب، غير أنَّ المسلم إنْ تزوج بأكثرَ من امرأة ولم يعدل فإنَّه يتحمل أوزار ذلك، والآن، ما الأسباب المنطقية التي جعلت الإسلام يسمح للرجل بالزواج من أكثر من امرأة؟، من المعلوم أن نسبة المواليد الإناث متساوية في شكلها الطبيعي مع المواليد الذكور، إلَّا أنَّه إنْ سألتَ أيَّ طبيب فسيخبرك أنَّ الطفلة الأنثى أقوى من الذكر، لأنها تملك مناعة أكثر من الذكر، فهي تستطيع مقاومة الأمراض والجراثيم أكثرَ من الطفل الذكر، ولذلك فهناك في عمر الأطفال وفَيَات في الذكور أكثر من الإناث، وعندما يكبرون فإنَّ الحروب تحصد أرواح الآلاف من الشباب الذكور، أضِفْ إلى ذلك حالات الوفَيَات الكبيرة بالحوادث أو الإدمان أو الأمراض، وفي كلِّ هذه الحالات فإنَّ عدد الوفَيات من الذكور أكبرُ بكثير من الإناث، ولو طالعنا الإحصائيات اليوم لوجدنا أنَّ معدل عمر الإناث أكبرُ بكثير من معدل عمر الذكور، ولذلك فإنَّ عدد الإناث على مستوى الكرة الأرضية كلِّها يفوق أعداد الذكور، إلَّا في بعض الدول كالهند مثلًا حيث يفوق عددُ الذكور عددَ الإناث بسبب قتل الأجنَّة الإناث ووأد الفتيات، وهذا

مخالف لكل الشرائع، وكان هناك برنامج بعنوان: «دعها تموت» في إذاعة الـ «BBC» يقدمه «إيميلي بوكانان» حيث ذكر وفق الإحصائيات أنَّه في كل يوم يتمُّ إجهاض «٣» آلاف جنين بعد التعرُّف على نوعه أنَّه جنين أنثى، ولو ضربنا هذا العدد بعدد أيام السنة لعلمنا أنَّه في الهند يتم إسقاط أكثر من مليون جنين أنثى، ووفقًا لتقرير مستشفى «تامل نادو» فإنَّ «٤» من أصل «١٠» إناث يتمُّ قتلُهنَّ بعد الولادة، فلو توقف هذا العمل الشنيع فإنَّه في خلال عقود قليلة سيفوق عددُ الإناث عددَ الذكور كباقي إحصائيات العالم، في نيويورك وحدَها هناك مليون امرأة زيادة على عدد الرجال، وفي الولايات المتحدة الأمريكية كلِّها هناك «٨.٧» ملايين امرأة زيادة على عدد الرجال، وفي المملكة المتحدة هناك «٤» ملايين امرأة زيادة على عدد الرجال، وفي ألمانيا يزيد عدد الإناث على عدد الذكور بـ «٥» ملايين امرأة، وفي روسيا هناك «٩» ملايين امرأة زيادة على عدد الرجال، فإذا ما تماشينا مع رأي هؤلاء الذين يطعنون في الإسلام لسماحه الزواجَ بأكثرَ من امرأة فهذا يعني أنَّ الملايين من النساء لن يتزوَّجنَ، فما الخِيار المتاح أمام أولئك النسوة في هذه الحالة؟ إمَّا أنْ تتزوج برجل متزوج من امرأة أخرى أو أنْ تصبح مُلْكية عامة!، وفي تلك الدول يشيع لدرجة كبيرة اتِّخاذ عشيقات لا زوجات، فالرجل في أمريكا يقيم علاقةً وسطيًّا مع «٨» نساء قبل أن يستقرَّ مع واحدة، أنْ يتَّخذ الرجل العشيقات العديدات أمر شائع ولا مشكلة فيه!، أمَّا أن يُسمح للرجل المسلم أن يتزوج بالحلال بأكثرَ من امرأة فإنهم لا يستسيغونه ولا يقبلونه!، فأيُّ معايير فاسدة تلك التي يحكمون بها؟!، وإذا كانت المرأة زوجة

ثانية فإنَّه تحصل على كامل حقوقها في الإسلام، لا ينقصُها شيء، وتعيش حياة آمنة شريفة عفيفة، وأمَّا العشيقة فإنها لا تنال شيئًا، وليس لها حماية، ليس لها إلَّا الخِزيُ والعار، ولذلك فإنَّ زواج الرجل في الإسلام بأكثرَ من امرأة جاء حماية للمرأة على وجه العموم حتى لا تغدوَ مُلْكية عامَّة وتضيع حقوقها ومكانتها، صحيح أنَّ المرأة بطبيعتها لا تحبُّ أنْ تشاركَها امرأة أخرى في زوجها في الحالات الطبيعية إلَّا أنَّه في بعض الحالات لا بدَّ من تحمُّل بعض الخسائر البسيطة لمنع مشاكلَ أكبر منها بكثير، والمسلمة الحقيقية تعلم علم اليقين ما الموقفُ العامُّ من هذا الموضوع، فلا ينبغي أنْ تمانع في حماية أختِها من أنْ تكون مُلْكية عامة، ولو سألنا أيَّ امرأة عفيفة إذا كانتْ تفضِّل أنْ تكون زوجة ثانية أو مُلْكية عامة فحتمًا ستختار الخِيار الأول.

***

السؤال السادس: لماذا لا تتزوج المرأة بأكثرَ من رجل في الإسلام؟

قياسًا على سماح الإسلام للرجل أن يتزوج أربعَ نساء فلماذا لا يُسمح للمرأة أيضًا أن تساويَ الرجل في هذا فتتزوج أربعة رجال؟ هكذا يروِّج أعداء الإسلام أدعياء الحرية والمساواة، وهذا ما لا يقبله شرعٌ ولا عقلٌ، فبالإضافة إلى الأسباب المنطقية التي تجعل الإسلام يحرِّم على المرأة الزواج بأكثرَ من رجل فإنَّ مشكلة التوازن في الزواج سوف تزداد أكثر مما هي عليه، فإن كان عدد النساء يفوق عدد الرجال بملايين، وهذه الملايين من النساء لا يجِدْنَ زوجًا لهنَّ فكيف لو سُمح للمرأة أن تتزوج أكثرَ من رجل؟! فإنَّ ملايين أخرى من النساء لن يكون لهنَّ

زوج، وبهذا تكون متاعب المجتمعات قد تعقَّدت وازدادت بدلًا من أنْ تُحلَّ، وأمَّا الأسباب المنطقية لهذا التحريم فأولها سهولة التعرف على والد الطفل إن كان له أبٌ واحد حتى إن كان له أكثرُ من زوجة، بينما إن كان للمرأة أكثر من زوج فمن الصعب التعرُّف على الوالد الحقيقي له، لذا إن أردت أن تسجل هذا الولد في المدرسة فعليكَ أن تعطي اسمين للأب أو أكثر، وهذا الأمر يدعمه علماء النفس الذين يقولون إنَّه من المهم جدًّا لصحة الولد النفسية تحديد الوالدَين، ولا سيما الأب، وقد يتنطَّع أحد المتحذلقين اليوم بدعوى إمكانية تحديد الحمض النووي المعروف بالـ «DNA» واختبار الجينات الوراثية التي تمكِّن من تحديد هوية الأب والأم، هذا صحيح ولكن ماذا عن آلاف السنين التي ذهبت؟!، ومن أسباب التحريم أيضًا ما أخبرنا به العلم من أنَّ الرجل يملك إمكانية التعدُّد أكثر من المرأة، وذلك لما يعتري المرأة من تغيُّرات سلوكية ونفسيَّة تترافق مع دورتها الشهرية، لذا فهي لا تستطيع تأدية دور زوجة لأكثر من رجل، بينما يمكن للرجل القيام بذلك، اختلاف الطبيعة بين الرجل والمرأة جعلَه مهيَّئًا لذلك بينما لا تستطيع المرأة ذلك، هكذا خلقنا الله -تعالى-، إضافة على ذلك فإنَّه لو كان للمرأة أكثر من زوج وعلى افتراض أنهم مخلصون لها فإنَّ احتمال الإصابة بأمراض تناسلية جنسية معدية احتمالٌ كبير، بينما يخبرنا العلم أنَّ الرجل لو كان لديه أكثر من شريك وكانوا مخلصين فمن الصعوبة بمكان أن تكون هناك احتماليةُ الإصابة بمثل تلك الأمراض، لذلك فعِلميًّا وطبيًّا ليس هناك أيُّ عائق أمام الرجل إذا تزوج أكثر من امرأة، بينما المشكلة كبيرة أمام

المرأة، فلا يمكنها القيام بذلك.

***

السؤال السابع: حجاب المرأة ظلم واضطهاد

تلفَّتتْ عيونُهم العمياء فأبصرتْ فجأة شيئًا يغطِّي رأس المرأة المسلمة في الوقت الذي اعتادوا فيه على رؤية معظم جسدها عاريًا، فكان من أكثر الأسئلة شيوعًا وافتراءً على الإسلام حول المرأة التي ادَّعوا أنَّهم يدافعون عن حقوقها وحريَّتها، فلذلك هم ينتقدون اضطهاد الإسلام لها عندما أمرها أن تتحجَّب، فقيَّد حريَّتها بالحجاب، وبنظرة سريعة إلى تاريخ المرأة عبر الحضارات القديمة نجد أنَّ المرأة في الحضارة البابلية كانت في الحضيض من حيث المعاملة، بحيث لو قام رجل ما بجريمة قتل فإنَّ القِصاص يكون من زوجته بقتلِها هي لا بقتلِه هو، وإذا عرَّجنا على الحضارة اليونانية التي تُوصف أنَّها من أعظم الحضارات لوجدناهم ينسبون الشرَّ للمرأة، إذ يؤمنون بالأسطورة التي تقول إنَّ المرأة التي يسمُّونها «باندورا» كانت سبب الشرِّ في المجتمع، وكانت المرأة في تلك الحضارة موقوفة فقط على الجنس والمتعة والدعارة التي كانت شائعة جدًا في تلك الحضارة، ولا يبعدُ الأمر كثيرًا عن الحضارة الرومانية التي لم تُقِم للمرأة وزنًا، فالعُريُ والدعارة كان لهما الحظُّ الكبير من الانتشار، وفي الحضارة الفرعونية القديمة كانت المرأة تُعدُّ شرًّا، وكانت أداةً للشيطان، وفي عصر الجاهلية كان بعض العرب يدفنون المواليد الإناث وهنَّ على قيد الحياة، ولكن عندما جاء الإسلام فإنَّه رفع من شأن المرأة وأبطلَ كلَّ هذه العادات السيِّئة، وأحلَّها في أعلى المراتب، وجعلها درَّة ثمينة ما

ينبغي للرجل أن يصلَ إليها بسهولةٍ إذا أراد الحلال، فكيف بالحرام الذي كان منتشرًا؟! لقد حرص الإسلام على صيانة المرأة من تلك العيونِ الغادرةِ ففرض عليها الحجاب حتى يصونَها ويحفظَها لتكون كالدرَّة في صدفتها، وعلى الرجل أنْ يبذل الغاليَ للحصول عليها، لا أن تكون عُرضة لأيٍّ أحد في الشارع بدعوى الحرية والانفتاح، وما تلك الدعوى إلَّا لاستغلال المرأة ولإفساد الأرواح، ولتكونَ سِلعة يحقِّقون من ورائها مآربَهم الشيطانية لتكون عشيقةً دون التزامات ومجرَّد أداة في أيدي الباحثين عن المتعة العابرة، جعلوها عَبْدة عند تجَّار الجنس تحت شعارات مزيَّفة كالفنِّ والثقافة وغيرهما، لقد حطُّوا من شأن المرأة وجعلوها في الحضيض، يقول الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وقبل أنْ يذكر الله -تعالى- حجاب المرأة شدَّد على حجاب الرجل ألا وهو غضُّ البصر- إذ يقول -جل شأنه-: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، هذا حجاب الرجل، فإذا كان الطرَف الثاني على قدرٍ عالٍ من الحشمة والستر فإنَّ شيئًا سيِّئًا لن يقع، يقول الله -تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، وهذا ما يساعد الرجال كذلك على عِفَّتهم، أمَّا إنْ كانت البضاعة معروضة في الشارع وفي وسائل الإعلام وتقدِّم المغريات بشتَّى السبل فما حال المجتمع؟!. مؤكَّد أنَّ الرجل الذي في قلبه مرض وخرج

قاصدًا التحرَّش بالنساء لن يقترب من امرأة صـانَتْ نفسَـها وغطَّـتْ جسـمَها، وسيوجِّه سهامه إلى تلك العارية التي ارتدَتْ ما يُثيره ويُـرضي نفسَـه المريضـة، البضاعة المعروضة لا يمكن إلَّا أنْ يشاهدها الناس بشكل أو بـآخر، إنْ دعـوتَ الآخرين فلا تنتظر منهم إلَّا أنْ يلبُّوا الدعوة، ولا دعوة أقوى من الإغراء بما يثير نوازع النفس البشرية.

في الحقيقة إنَّ للحجاب بمفهومه العام ستة معايير جاءت في القـرآن والحـديث، أولُها طول الرداء، وهو ما يُقصد به سِتر العورة الذي يكون للمرأة بتغطية كامـل جسدِها ما عدا الوجهَ والكَفَّين، أما الرجلُ فمن السرَّة إلى الركبة، وأمـا الخمسـة الباقية فهي نفسُها للرجل والمرأة، بحيث تكون فضفاضة ليسـت ضـيِّقة تصـف الجسد وتُبرز تفاصيله، ولا تكون شفافة تُظهِر ما كـان تحتهـا، ولا تكـون مبهـرةً لافتة للنظر مثيرة للغرائز حتـى لا تجـذبَ الجـنس الآخـر، ولا أن تكـونَ مماثلـة للباس الجنس الآخر، ولا مماثلة للباس الكفَّار. هذا مواصـفات اللبـاس المـاديِّ الذي لا يكتمل إلَّا بالحِجاب المعنوي الذي يتضمَّن أيضًا التصـرُّفات والسـلوك والنيَّات، فللعَينين حجابٌ، وللقلب حجابٌ، وللعقل حجابٌ، وطريقة الكـلام والمشي والتعامل، كل ذلك له حجابٌ، وهذا ما يُعرف بالحجاب الكامل، فإذا ما خُلعت تلك الحُجب فلن يكون المجتمع في مأمن من الفسـاد والانحـلال، وهـا هي الولايات المتحدة الأمريكية تحتلُّ أعلى نسبة في العالم في حالات الاغتصـاب نتيجة لذلك الانفلات الخُلُقي المستشري في مجتمعاتهم، إذ كل «٣٢» ثانية تحدث حالة اغتصاب وفق الإحصـائيات الأمريكيـة، وعقـب «د. ذاكـر» وهـو يُلقـي

المحاضرة أَنَّه منذ أنْ بدأ بها حتى وقت كلامه منذ ساعة ونصف تقريبًا قد حدث أكثر من «١٥٠» حالة اغتصاب في أمريكا، فإذا ما طُبِّق الحجاب لكلا الجنسين وطُبِّقت أحكام الإسلام بعقوبة المعتدي فهل ستبقَى نسبة الاغتصاب في أمريكا كما هي؟، وهل سيبقَى هذا الانحلال والفساد؟. إذا كان حجابُ المرأة اضطهادًا لها فنحب نحبُّ هذا الاضطهاد لأنه يحمي المرأة ويصونُها، وإذا كانت الحرية التي ينادي بها دعاة التغريب عبارة عن بيع جسد المرأة والتجارة به فنحن ضدُّ هذه الحرية.

* * *

السؤال الثامن: قتلُ الحيوانات وأكلُ لحومها

أمرٌ غريب أن يصرفَ هؤلاء الأغبياء عيونَهم عمَّن هو قريب منهم وينتقدوا الإسلام على فعل مباح يقوم به من هم حولَهم، إذا ليس الكثير من الناس من لا يأكل اللحوم، والقِلَّة القلية التي تعتمد أكلَ النباتات، ولكنهم عندما يريدون توجيه أذاهم وسلاطة ألسنتِهم لا نجدُهم إلَّا وهم يتهجَّمون على الإسلام واصفينه بأنَّه دِين دمويٌّ بلا رحمة يسمح بأكل لحوم الحيوانات، هل الإسلام وحده من يبيح أكل اللحوم؟! إذا كان الله -تعالى- قد أباح لنا أن نأكلَ اللحوم فلماذا نحرِّمها على أنفسنا؟ يقول الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، ويقول: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٥]،

مع العلم أنَّ الإنسان يستطيع أن يكون مسلمًا جيدًا حتى إن كان نباتيًا، وليس من اللازم في الإسلام أن نتناولَ اللحوم على وجه الفرض والوجوب، ونأتي الآن إلى السبب المنطقي والحكمة من تحليل الإسلام أكل اللحوم، وهو أننا إذا قمنا بتحليل اللحوم فإنها غنيَّة بالبروتين، وجسم الإنسان يحتاج إلى «٢٣» حمضًا أمينيًّا أساسيًّا، وكلُّها لا تُصنع في جسم الإنسان، فلذلك ينبغي الحصولُ عليها عن طريق التغذية الخارجية، وهذه الأحماضُ مجتمعة معًا لا توجد في أي مصدر نباتيٍّ، موجودة فقط في اللحوم، لذلك تُعدُّ اللحوم مصدرًا كبيرًا للتغذية مقارنة بالخضراوات، ومن ناحية أخرى إذا رأيتَ تكوين أسنان الحيوانات الآكلة للعشب كالبقر والأغنام وباقي المواشي فهي غير مدبَّبة القواطع، تأكل النباتات فقط، ولا تأكل اللحوم.. وإذا حلَّلنا تكوين أسنان الحيوانات اللاحمة كالنمر والفهد والأسد فإنَّ لديها أنيابًا، وهي تأكل اللحم فقط ولا تأكل النباتات، وإذا قمنا بفحصِ تكوين أسنان الإنسان فسنرى أنَّ الإنسان لديه القواطع والأنياب، فلو أراد الله لنا أن نأكل النباتات فقط فلماذا خلق لنا هذه الأنياب؟، ولو قمنا بفحص الجهازِ الهضميِّ للإنسان وقارنَّاه بالحيوانات الآكلة للأعشاب لوجدنا جهازَها الهضميَّ قادرًا على هضم النباتات فقط، وأما الجهازُ الهضميُّ للحيوانات المفترسة فبإمكانه هضم اللحوم فقط، ولا يستطيع هضم النباتات، أما الإنسان فيستطيع جهازُه الهضميُّ هضم الاثنين اللحومِ والنباتاتِ، ولديه أمعاءٌ دقيقة وغليظة، ولو أراد الله -تعالى- لنا أن نأكل النباتات فقط فلماذا خلق لنا هذا الجهاز الهضميَّ؟!. وكذلك لو بحثنا فسنجدُ أنَّ الكثير من الهندوس

يظنون أنَّ الديانة الهندوسية تحرِّم عليهم اللحوم، ولكن في الحقيقة إذا قرأنا «مانوسمرتي» فمذكور في الجزء الخامس، العدد «٣٠»: «خلق الله حيواناتٍ تأكل وأخرى تُؤكل، إذا تناولتَ اللحوم التي خُلقت لكي تُؤكل فأنت لستَ مذنبًا»، وجاء أيضًا في الجزء الخامس، العدد «٣١»: «خلق الله بعضَ الحيوانات للتضحية، قتلُهم ليس خطيئة»، وفي الجزء الخامس، العدد «٤٠»: «قتلُ الأُضحية من أجل التضحية مسموحٌ به، إنه قانون الآلهة»، إذًا فتناول اللحوم في الكتب الهندوسية المقدَّسة مسموح به، فإذا قرأتَ الفيداس والكتب الأخرى فسترى أن «سيجا» والأبناء قد أكلوا اللحوم، حتى إنهم أكلوا لحم البقر، لو قرأتَ «مهابهارتا أنوشاسان بارف»، الجزء «٨٨»: عندما كان أخو «باندافاس» الأكبر «يوضيشتيرا» سأل «بهيشما»: ما الطعام الذي يجب علينا التضحية به حتى يرضى عنا الأسلاف؟ فأجاب «بهيشما»: إذا أعطيتَ العشب والنباتات والخضراوات فسيرضى عنك الأسلاف لمدة شهر، وإذا أعطيتَهم السمك فسيرضَون عنك لشهرين، وإذا أعطيتَهم اللحم فسيرضَون لمدة ثلاثة أشهر، إذا أعطيتَهم الأرنب فسيرضون لمدة أربعة أشهر، إذا اعطيتَهم الخِراف فسيرضَون لخمسة أشهر، إذا أعطيتَهم لحم الخنزير فسيرضَون لستة أشهر، إذا أعطيتَهم الطيور فسيرضَون لسبعة أشهر، إذا أعطيتَهم الغِزلان فسيرضَون لثمانية أشهر... وتستمر القائمة، وهي طويلة، إذا أعطيتَهم الجاموس فسيرضون لأحد عشر شهرًا، إذا أعطيتَهم لحم البقر فسيرضى الأسلاف لسنة كاملة، وإذا أعطيتهم لحم الخِراف الأحمر أو لحم وحيد القرن فسيرضَون عنك بلا كَلَل. إذًا فوفقًا للنصوص الهندوسية فأكلُ

اللحوم ليس ذنبًا، إلَّا أنَّ كثيرًا من الهندوس يتَّبعون الفلسفة الشائعة بعدم قتل الكائنات الحية، لكنَّ مخترع هذه الفلسفة عندما قال: «قتلُ أيِّ كائن حي هو ذنب».. لم يعلم أنَّ النباتات لديها روح، هل تعلم أنَّ للنباتات روحًا؟، إذًا قتلُ النباتات الحية خطيئة مثل قتلِ الكائنات الحية، إذًا لماذا تأكل النباتات؟ قد يقول بعضهم: أنا أوافقك أنَّ النباتات كائنٌ حيٌّ، لكنها لا تشعر بالألم، لذلك فقتْلُ النبات يُعدُّ أقلَّ خطيئة من قتلِ الحيوان.. لكن العلم الحديث جاء بمعلومة مهمة وأثبتَ أنَّ النباتات تشعر بالألم، ولا يستطيع الإنسان سماع بُكائه، لأنَّ تردُّد أُذن الإنسان يتراوح ما بين «٢٠ د/ ثانية» إلى «٢٠٠٠٠ د/ ثانية»؛ أي إنَّ أيَّ تردُّد أقلَّ من هذا أو أعلى لا يستطيع الإنسان سماعه، هناك مُزارع في أمريكا استطاع أنْ يحوِّل تردُّد بكاء النبات إلى معدل تردُّد أُذن الإنسان، وصار يعلَم متى يبكي النبات، كان ذلك عند حاجته للماء... وهناك شخص آخر جاء مجادلًا وقال: «د. ذاكر».. أوافقك أنَّ النبات لديه رُوح، ويستطيع أن يشعر بالألم، لكنه أقلُّ بحاسَّتين مقارنة بالحيوان، لذا فقتلُ النبات أقلُّ ذنبًا من قتل الحيوان، وأنا أسألك سؤالًا الآن: افترض أنَّ أخاك الكبير وُلد أصمَّ وأبكمَ، وبعد أن يكبر إذا جاء شخصٌ وقتله فهل ستذهب للقاضي وتخبرُه أن يعطيَ القاتل عقوبةً أخفَّ لأنَّ أخاك تنقصُه حاسَّتان، لا يستطيع أن يسمع ولا أن يتكلم؟!، لا لن يحدث هذا، بل ستطالب بعقوبة أعلى وتقول: لقد كان أخي أصمَّ وأبكمَ، لقد كان بريئًا... الإيلام لا يحكم بهذه الطريقة، ولا فرق بين إنْ كان أقلَّ بحاسَّتين أو ثلاث، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨].

السؤال التاسع: ذبح الحيوانات بلا رحمة

عندما يريد شخص ما فارغٌ روحيًّا وعقليًّا لا يعرف شيئًا عن الحق أنْ يهاجم خصمه فإنَّه لا يفوِّت فرصةً مهما كانت تافهة وغير حقيقية من أجل هدفه، وفي نظر الكثير من المفلسين الذين يبحثون بين طيَّات عقولهم العَفِنة عن شيء يطعنون به دينَنا يرَون أنَّ المسلمين يقومون بتعذيب الحيوانات عندما يذبحونها بهذه الطريقة، لأنها تأخذ وقتًا حتى تموت، وحول هذه المناسبة فقد جرى جِدال طريفٌ بين شخص مسلم وآخر من «السِّيخ» الذي قال للمسلم: «أنتم ليس عندَكم رحمة ولا شفقة، أنتم تعذِّبون الحيوانات هكذا، بإمكانكم عن طريق صَعقةٍ واحدةٍ قتل الحيوان»، فردَّ عليه المسلم: «أنتم أيها السِّيخ جبناءُ، تهاجمون الحيوانات من الخلف، أمَّا نحن فشجعانٌ نهاجِمُها من الأمام»، أمَّا السببُ الحقيقيُّ المنطقيُّ الذي يجعل المسلمين يذبحون الذبائح بسكِّينة حادَّة وبحركة سريعة لتخفيف الألم عن الحيوان، حيث تُقطع القصبة الهوائية والأوعية الدموية والحَنجرة دون قطع الحبل الشوكي، فإذا ما انقطع الحبل الشوكي فإن الأعصابَ المرتبطة بالقلب قد تُقطع، فتحدُث سكتةٌ قلبيةٌ، فلذلك لا ينبغي قطع الحبل الشوكي حتى يبقى القلب ينبض، وعندها فإنَّ أغلب الدم يخرج من جسم الحيوان، ويخبرنا العلمُ الحديث أنَّ الدمَ ما هو إلَّا مستودع جيد جدًّا للجراثيم والبكتيريا والسموم، لذا فوِفق الطريقة الإسلامية في ذبح الحيوانات يُسمح للدم بالخروج من أجسامها، إضافة إلى أنَّ الحيوان إذا ذُبح هكذا فإنَّه يبقى طازجًا لفترة أطول مقارنة بالحيوان المصعوق، لأنَّ نسبة الدم فيه أقلُّ فيبقى طازجًا

أكثر، وعلاوة على ذلك فإنَّ فهم الناس خاطئ حول تحديد مستوى الألم عند الحيوان، لأنَّ العلم الحديث يخبرنا أنَّنا عندما نقطع الحلق والقصبة الهوائية والأوعية الدموية فإنَّ العصبَ الموصول بالدماغ يُقطع أيضًا، وهو المسؤول عن الشعور بالألم، لذلك فإنَّ الحيوانَ لا يموت متألمًا، لكنَّه يموت بطريقة سليمة، على عكس الصَّعق الذي يموت الحيوان به بعد عدَّة ساعات، وما نشاهده من رَكل ورفس في أرجل الحيوان ليس ناتجًا عن الألم، بل عن انقباض العضلات وانبساطها عند خروج الدم من الجسم، فلأجل هذا كلِّه كانت الطريقة الإسلامية في الذبح هي الطريقة السليمة الصحيحة.

* * *

السؤال العاشر: المسلمون يتصرَّفون كالحيوانات

كثيرًا ما تتوجَّه السهام المسمومة بطريقة غير مباشرة، فهذه فئة من الناس لم تتَّجه لانتقاد أكل المسلمين لحوم الحيوانات، ولعلَّها ظنَّت بشكل أو بآخر أنَّها تُحسن صنعًا أكثر من الفئات الأخرى، فغيَّروا مذهبهم في التعدِّي على الإسلام بأنَّ المسلمين يتصرَّفون مثل الحيوانات لأنهم أخذوا سلوكَها من أكلهم لحومَها، ووفق أسلوب الموافقات في الحوار فإنَّنا نوافق على أنَّ ما نأكله يؤثر في تصرُّفاتنا، وهذا ما يخبرنا به العلم الحديث، ولكنْ لننظرْ أولًا إلى ما يأكله المسلمون من اللحوم، لقد حرَّم الإسلام أكلَ لحوم الحيوانات المفترسة المتوحِّشة كالأسود والنمور والفهود وغيرها، وسمح لنا بأكل الحيوانات المسالمة فقط، وما ذلك إلَّا ليعزِّز فينا صفة السلام، كلُّ الحيوانات التي حلَّلها الله لنا حيواناتٌ مسالمة

تنعكس في سِلميَّتها على تصرُّفات المسلمين، وهذا ما يدعو إليه الإسلام الذي اشُتقَّ اسمُه أصلًا من «السلام»، فلا يفتأُ يعزِّز فينا هذه الصفة بكل طريقة ووسيلة، يقول الله -تعالى-: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فكلُّ ما حرمه الله تعالى فيه شيء من الخبائث التي لا تليق بالبشر وتصرفاتهم، ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ولن يأمرنا الرسول بشيء فيه مضرَّة لنا، ولن ينهانا عن شيء فيه مصلحةٌ لنا، وفي أحاديث الرسول الصحيحة -صلى الله عليه وسلم- أحاديثُ كثيرةٌ تتحدث عن تحريم أكل لحوم الحيوانات المتوحِّشة والمفترسة، كلُّ ذي ناب من السباع محرَّم، وبعض القوارض كالفئران وغيرها، وبعض الزواحف كالأفاعي والتماسيح، وكلُّ ذي مِخلب من الطيور كالنسور والصقور. ونلاحظ أنَّ كلَّ تلك المحرمات إنَّما لأنها لا تحمل الصفات التي أرادها الله أن تنسكبَ في قلب المؤمن وتنعكسَ في تصرُّفاته، وهذا أحد أسباب تحريم لحم الخنزير الذي يحلِّله غيرُ المسلمين ونجد أنَّ تصرُّفاته انعكست على من يأكلون لحمه، فهو الحيوان الأكثرُ صفاقةً والأقلُّ حياءً، ويسبِّب لحمُه أكثر من «٧٠» مرضاً، إنه الحيوان الوحيد الذي يدعو أصدقاءه لكي يجامعوا رفيقتَه، وكأنَّه يقدِّم لهم ضيافة كما يفعل بعض الناس اليوم ممَّن لا يغارون على أعراضِهم، بل لا يعدُّونها أعراضًا باسم الحرية الشخصية، ولعلَّ أحدهم يعترض أنَّ الدول الغربية تتناول لحم الخنزير ولم يشاهد أيَّ وَباء أو أمراض، فالرد عليه أنَّ الأطباء ينهَون الناس عن الذهاب إلى بائعة الهوى لأنهم

قد يُصابون بالإيدز، لكن ليس كلُّ من يذهب إلى بائعة هوى يصاب بهذا المرض، بل هو عُرضة في أيِّ لحظة، وبالمثل، ليس كلُّ من يأكل لحم الخنزير يصاب بهذه الأمراض، ولكن في الوقت الحالي يعاني أكثر من «٥٠٪» من الأمريكيين من أمراض الضغط، وأحدُ أهمِّ الأسباب هو أنهم يأكلون لحم الخنزير.

* * *

السؤال الحادي عشر:

لماذا تركعون للكعبة إن كنتم ضدَّ عبادة الأوثان؟

قد يظنُّ بعض الناس ممَّن لا درايةَ لهم أنَّ المسلمين في مواسم الحج والعمرة عندما يطوفون حول الكعبة إنَّما يعبدونها مخالفين قولَهم إنَّهم ضدُّ عبادة الأوثان والأصنام، وفي الحقيقة هذا جهل مُطبِق بمناسك المسلمين الذين لا يعبدون الكعبة ولا غيرها من المخلوقات بأيِّ شكل من الأشكال، وما الكعبة إلَّا قِبلة واتجاه كما يقول تعالى: في كتابه العزيز: ﴿**فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾ [البقرة: ١٤٤]، فلو لم تكن هذه القِبلة وأراد المسلمون الصلاة فربَّما اختار بعضُهم الشرق واختار آخرون الغرب وهكذا، ولكلٍّ أسبابُه في الاختيار، فجاء الأمر الإلهي من الله أن يتَّجه المسلمون نحو الكعبة لا أنْ يعبدوها كما ادَّعى بعضهم.

لقد رسم الإدريسي أول خارطة للعالم عام «١١٥٤م»، حيث كان القطب الجنوبي في الأعلى، والقطب الشمالي في الأسفل والكعبة في المنتصف، ثم جاء

الجغرافيون الغربيون وعكسوا اتجاه القطبين وبقيت الكعبة في المنتصف، لذا فحيثما كنتَ واتَّجهتَ إلى الخلف فستكون الكعبة في المركز، ويطوف المسلمون حول الكعبة بأمر من الله -تعالى-، من حيث المنظور الديني، ولكنَّ التفسير المنطقي لذلك هو أنَّنا نعلم أنَّ لكلِّ دائرة مركزًا واحدًا فقط، ولذا فحين نطوف حول الكعبة فإنَّنا نقرُّ أنَّ الإله واحدٌ لا ثانيَ له.

ولكي نقرع الحُجة بالحُجة فإنَّ في تاريخنا الإسلام ما يدحض هذا الافتراء، وقصةُ الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- معروفة مع الحجر الأسود: «عَنْ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ فَقَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»[1]، إضافة إلى أنَّ المؤذن في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يقف على سطح الكعبة ويؤذِّن للصلاة، ولا يوجد من يعبد شيئًا ثم يقف بقدميه على ما يعبد.

***

السؤال الثاني عشر:

لماذا لا يُسمح لغير المسلمين بدخول مكة والمدينة؟

بما أنَّ الإسلام دِين عالمي، فلماذا تمنعون غيرَ المسلمين من دخول مكة والمدينة؟، والإجاب عن هذا التساؤل بسيطة جدًّا، وذلك أنَّ كلَّ دولة يوجد فيها ما يُسمَّى

---

(١) البخاري: برقم «١٥٩٧».

بالمناطق الآمنة، وهي تلك المناطق التي لا يدخلُها المواطنون أنفسُهم، وإنما شريحةٌ معيَّنة من العسكر و الأشخاصُ المعنيُّون بحماية أمن الدولة، وبالمثل فإنَّ مكة والمدينة هما المنطقتان الأمنيَّتان للإسلام، ولذا لا يُسمح بالدخول إليها إلَّا لكلِّ من يؤمن بالإسلام ويحبُّه ومستعدٌّ للموت من أجله، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنَّ دخول أيِّ دولة أخرى لا بد أن يكون وفق تأشيرة الدخول «الفيزا»، لا دخول إلَّا بهذه التأشيرة، وكذلك الموافقةُ على كلِّ ما من شأنَّه أن يهمَّ تلك الدولة، وإلَّا فلا يمكنك الدخول، فعلى سبيل المثال سافر «د. ذاكر» إلى سنغافورة وكان مكتوبًا في استبيان الهجرة عبارة: «الموت لتجَّار المخدِّرات»، يعني أنَّه إذا تمَّ القبض عليك وبحوزتك المخدِّرات فعقوبتُك الموت، لذا فلا يمكنُك القول إنَّ الإعدام عقوبةٌ قاسية ولا أوافق عليها، إذا أردت الدخول فعليك الالتزام والموافقة، عليك الالتزام بقوانين البلد أو ابقَ حيث أنت، وعودة إلى مكة والمدينة، فالحصولُ على «الفيزا» لدخولها لا يحتاج الكثيرَ من دفع الأموال والوساطات وطول الانتظار على أبواب السفارات أو القنصليات، ما على الشخص إلَّا أنْ يحرِّك شفتَيه ويقول: «لا إله إلَّا الله، محمدٌ رسول الله».

* * *

السؤال الثالث عشر:

لماذا حرَّم الإسلام لحم الخنزير على المسلمين؟

لقد حرم الإسلام في القرآن لحم الخنزير في أكثر من موضع، [البقرة: ١٧٣]، [المائدة: ٣]، [الأنعام: ١٤٥]، [النحل: ١١٥]، والأمر الذي لا يعرفُه كثيرٌ من

منتقدي الإسلام أنَّ لحم الخنزير محرَّم أيضًا في كتبهم المقدسة دون أن يعلموا لأنهم لا يقرؤون، بل يتَّبعون ما يمليه عليهم رجال الدِّين فقط، فالتحريمُ مذكور في الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية، حيث جاء في سفر اللاويين، الإصحاح «١١»، في الآيتين «٧-٨»: «والخنزيرُ لأَنَّه يشقُّ ظِلفًا، ويقسمُه ظِلْفين، لكنه لا يجترُّ، فهو نجسٌ لكم، من لحمها لا تأكلوا، وجثثَها لا تلمسوا، إنَّها نجسة لكم»، هذا يعني أنَّ الكتاب المقدس يحرِّم أكل لحم الخنزير، حتى لمسُه محرَّم، وكذلك جاء في سفر التثنية، الإصحاح «١٤»، الآية «٨»: «والخنزيرُ لأَنَّه يشقُّ الظِّلف، لكنه لا يجترُّ، فهو نجسٌ لكم، فمن لحمها لا تأكلوا، وجثثَها لا تلمسوا»، وكذلك جاء في سفر إشعيا، الإصحاح «٦٥»، الآيات «٢-٣-٤-٥» أنَّه يجب ألَّا تأكل لحم الخنزير، ولا يقتصر الأمر على اليهودية والمسيحية، وإنَّما ورد التحريم في الكتب الهندوسية، حيث ذُكر في كتاب «مانوسمرتي» أن الشخص الإبراهيمي؛ أي: الشخص الصالح، عليه ألَّا يأكل الفِطر و البصل والخنزير، والأمر نفسه في «فشنوسوترا»: «أيُّ شخصٍ يبيع اللحم، اللحم المحرم»، (ويقصد لحم الخنزير) يجب قطعُ يديه وقدميه من خِلاف، هذا العقاب ليس في القرآن الكريم ولا في السنَّة النبوية، إنما في الكتب المقدسة الهندوسية.

والآن، ما الأسباب المنطقية التي حرم الله -تعالى- لأجلها لحمَ الخنزير طبقًا للكتب المقدسة المسيحية واليهودية والهندوسية والإسلام؟ يخبرنا العلم الحديث أنَّ أكل لحم الخنزير يجعل الإنسان مُعرضًا للإصابة بما لا يقل عن «٧٠» مرضًا مختلفًا، مثل الدودة الدبوسية، والدودة المستديرة، ودودة الإنكلوستوما،

وغيرها، ومن أخطر هذه الديدان ما يُعرف بـ «الدودة الشريطية الوحيدة – taenia solium»، المعروفة عند العوام بـ «الدودة الشريطية» التي تستقرُّ في الأمعاء، حيث يمكن لبَيضِها أن يدخل أيَّ منطقة من الجسم عبر مَجرى الدم، فإذا وصلتْ إلى الدماغ فمن الممكن أن تتسبَّب في فقدان الذاكرة، وإذا وصلتْ إلى العين فمن الممكن أن تتسبَّب في فقدان البصر، وإذا وصلتْ إلى القلب فمن الممكن أن تتسبَّب في السكتة القلبية، وعندما يشعر الإنسان بخطر هذه الدودة على جسمه ويكتشفها فسيكون الوقت متأخرًا جدًا، والمرض الخطير الآخر الذي يسبِّبه أكلُ لحم الخنزير هو «Trichura Tichurasis»، وهناك اعتقادٌ خاطئ لدى العوام أنَّ الطهوَ الجيد للطعام يقتل هذه الديدان، غير أنَّه وفقًا لبحث علمي فإنَّ هناك أكثر من «٢٥٪» من الناس الذين يعانون من الدودة الشريطية منهم «٢٢٪» يطهون الطعام بشكل جيِّد، إنَّ الحرارة التي نطهو بها الطعام لا تصلُ إلى المستوى الذي تقتل به الجراثيم والبكتيريا والبويضات الموجودة في لحم الخنزير، إضافة إلى العديد من الأسباب الأخرى التي يطالعنا بها العلم الحديث تمنع من أكل لحم الخنزير، مثل احتوائه على الكثير من موادِّ بناء الدهون والقليلِ جدًّا من موادِّ بناء العضلات، وبسبب موادِّ الدهون فإنَّ احتمال إصابة الأشخاص آكلي لحم الخنزير بارتفاع ضغط الدم وتصلُّب الشرايين والجلطات القلبية كبيرة، هذا الأمر جعل «٥٠٪» من الأمريكيين يصابون بضغط الدم، ومن المعروف أنَّ الخنزير من أكثر حيوانات الأرض قذارةً، إذا لا يحلو له اللعب والتمرُّغ إلَّا في الأماكن التي تكثر فيها القُمامة والوحَل والبُراز،

فإذا ما جادل البعض وقال إنَّ بعض الدول مثل أستراليا يربُّون الخنازير تربية صحِّية ولا يدعونها مع القاذورات فإنَّ ذلك ليس حُجة لهم لأنَّ الخنازير تأكل بُرازها، ولا يمكن أن يتحكَّموا بها مطلقًا، لذلك حتى تلك الدول التي تدَّعي أنَّه تربِّي الخنازير تربية صحِّية هي لا تفعل ذلك في الحقيقة، وفوق هذا كله فإنَّ الخنزير واحد من أكثر الحيوانات دياثة على وجه الأرض، إنَّه الحيوان الوحيد الذي يدعو أصدقاءه ليرَوه كيف يجامع شريكتَه، بل يدعوهم لفعل ذلك معها، ولذلك فإنَّ كثيرًا من صفات الخنزير تتسرَّب لآكلي لحمه، وهذا ما يظهر في كثير من المجتمعات المنحلَّة، ففي أمريكا مثلًا هناك مجتمعات تُقيم حفلات رقص جماعي، وبعد الانتهاء يتم تبادل الزوجاتِ فيما بينهم، مَن يأكلُ لحم الخنزير فسوف يتصرَّف مثله.

***

السؤال الرابع عشر: لماذا حُرِّمتِ الخمر على المسلمين؟

لم يقتصر تحريم الخمر على الإسلام فقط، بل جاء في الإنجيل أيضًا في سفر المثال، الإصحاح «٢٠»، الآية «١»، التي تقول: «الخمر مجُونٌ، والسُّكْر عربدةٌ، ومن يهيمُ بهما فلا حكمةَ له»، وفي الإنجيل في سفر إفسس، الإصحاح «٥» الآية «١٨»: «ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة، بل امتلئوا بالرُّوح»، فبناءً على ما جاء في الإنجيل فعلى المسيحيين أيضًا تحريم الخمر كما هو منصوص عليه، والرسالة نفسُها موجودة في الكتب الهندوسية، حيث حُرِّمت الخمرُ في أكثر من موضع، فقد جاء التحريم في «مانوسمرتي»، الجزء «٩»، الآية «٢٢٥»، حتى في

«الفيداس» وكان ذلك في أكثر من موضع، والآن، ما الأسباب المنطقية التي جعلت الخمر محرَّمًا على المسلمين؟ يخبرنا العلم اليوم أنَّ لكل إنسان مركزًا مثبِّطًا في الدماغ، حيث يقوم هذا المركز بكَبْح الإنسان عن كلِّ فعل غير قويم، فيهذِّب أفعالَه وأقوالَه، وهذا المركز هو الذي يجعلُنا ننتقي كلماتِنا ونحترم من هو أمامنا ولاسيما من كبار السنِّ، وأن نحافظَ على ثيابنا الساترة لأجسادنا وأنْ نذهب إلى دورة المياه، وغيرها من الأفعال السلوكية، فماذا تفعل الخمرُ بهذا المركز؟ تقوم الخمر بكَبح مركز السيطرة هذا وتكفُّه عن عمله، فتخرج التصرفات عن السيطرة، ويفقد الشخص السكرانُ القدرة على ضبط لسانه وأفعاله، وربما يرتكب الجرائم وغيرها من الفعال السيِّئة، وربما تبوَّل في ملابسه وأمام العامَّة، وفوق هذا كلِّه، فإنَّ العلم الحديث اليوم يخبرنا أنَّ الشخص السكران يقوم بكلِّ الأشياء الممنوعة، فوفقًا لإحصائيات تقارير الـ«FBI» عام «١٩٩٠م» في وزارة العدل في مكتب المسح الوطنيِّ لضحايا الجريمة في أمريكا فإنَّ «١٧٥٦» حالة اغتصاب قد وقعت في ذلك العام يوميًّا، ويقول التقرير إنَّ غالبية هذه الحالات قام بها أشخاصٌ سُكارى، وتخبرُنا التقارير أيضًا أنَّ «٨٪» من الأمريكيين يرتكبون زنى المحارم، وكل «١٢» أو «١٣» مواطنًا أمريكيًّا تلتقي به فقد مارس واحدٌ منهم زنى المحارم وفقًا للدراسة، ويقول الاستبيان إنَّ الأكثرية يكونون سُكارى، أحد الطرفين أو كلاهما، وكما هو معلوم اليوم فإنَّ أكثر الأسباب صلة بالأيدز هو الخمر، إنْ قابلت الكثير من شاربي الخمر فإنَّهم في الغالب يتهرَّبون من هذا الوصف بأنَّهم «شاربون اجتماعيون»؛ أي: يشربون كأسًا صغيرًا أو

كأسَين صغيرَين، ولا يسرفون في الشُّرب، فيبرر أنَّه يستطيع التحكُّم بنفسِه وبتصرُّفاته، لكنَّك إذا قابلت أيَّ سكِّير وسألته عن ماضيه فلن تجدَ أحدًا بدأ الشُّرب ليصبح سكِّيرًا، وإنَّما بدأ الجميع بما يُسمَّى بـ «الشارب الاجتماعي»، ثمَّ أدمن الكحول إلى درجة السُّكْر والعربدة، حتى إنْ تمكَّن الشخص من السيطرة على أفعاله وسَكِر مرة واحدة في حياته وقام بفعلٍ شنيع كزنى المحارم أو السرقة أو الاغتصاب فإنَّه يندم أشدَّ الندم على فعلٍ لا يمكن إصلاحه، لذلك فالخمر مفتاح كلِّ شرٍّ كما جاء في الحديث النبوي الشريف: « وَلَا تَشْرَبِ الخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ »[1]، وسدًّا للذرائع فإنَّ الإسلام حرَّم كلَّ شيء مُسْكر قلَّ أو كثُر، حيث قال الرسول –صلى الله عليه وسلم: « مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ»[2]، وهذا يسدُّ الباب على من يقول إنَّه «شارب اجتماعي» لا يسْكَر من كأس أو كأسَين، بل شدَّد الإسلام على كلِّ من يتعامل بالخمر لأنها أمُّ الخبائث، إذ عندما يفقد الإنسان عقله فإنَّه لا يتورَّع عن فعل أيِّ شيء، يقول الرسول –صلى الله عليه وسلم: «لُعِنَتِ الخَمْرُ عَلَى عَشَرَةِ أَوْجُهٍ: بِعَيْنِهَا، وَعَاصِرِهَا، وَمُعْتَصِرِهَا، وَبَائِعِهَا، وَمُبْتَاعِهَا، وَحَامِلِهَا، وَالْمَحْمُولَةِ إِلَيْهِ، وَآكِلِ ثَمَنِهَا، وَشَارِبِهَا، وَسَاقِيهَا»[3]، لكنَّ بعض أطباء اليوم لهم منظورٌ آخر حول الخمر، إذ يحاولون أن يجمِّلوا القبيح بقولهم إنَّ السِّكِّير ليس مدمنًا على الخمر، وإنَّما هو مرض، فيجب

---

(١) سنن ابن ماجه: رقم: «٤٠٣٤».

(٢) سنن ابن ماجه: رقم: «٣٣٩٣».

(٣) سنن ابن ماجه: رقم: «٣٣٨٠».

علينا أنْ نتعاطف مع هؤلاء، وأنْ نظهر لهم اللطف كما نزور المرضى ونتعاطف معهم، وردَّ عليهم «د. ذاكر» في رسالة عبر قناته «السلام» بأنَّكم إن جعلتموه مرضًا فإنَّه المرَض الوحيد الذي ليس له مسبِّبات فيروسية أو جراثيم أو بكتيريا، إنَّه المرض الوحيد الذي يُباع في القوارير، إنَّه المرض الوحيد الذي تنتشر إعلاناتُ الترويج له في الجرائد والمجلَّات والإذاعات والقنوات التلفزيونية، إنَّه المرض الوحيد الذي له ترخيصٌ للبيع، إنَّه المرض الوحيد الذي له إيراداتٌ لحكومات كثيرة حول العالم، ولكنَّه في المقابل المرض الوحيد الذي يسبِّب حالات وفاة عنيفة على الطرق السريعة، المرض الوحيد الذي يؤدِّي إلى تدمير عائلات بأكملها، ويأتي الردُّ من الله -تعالى- حيث يقول: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، ليست الخمرُ ليس مرضًا، إنَّها رجسٌ من عمل الشيطان، وما كان من الشيطان إلَّا أنْ دعاكم لشُربها فأسرعتم إليها، هذا هو السبب الذي جعل الخمر من المحرَّمات في كثير من الكتب المقدسة إلى جانب القرآن الكريم، إنَّ الخمر مجَمَع خبيث للأمراض التي ترى فيها مرتعًا وبيئة مناسبة للانتشار، ومن أهمها:

- تليُّف الكبد وهو المرض المعروف الأكثر صِلة بشرب الخمر.
- سرطان البلعوم، سرطان الرأس والرقبة، سرطان الكبد ، سرطان القولون، وما إلى ذلك من أمراض السرطان.
- التهاب المرِيء، التهاب المعدة، التهاب البنكرياس والتهاب الكبد.

• ضعف عضلة القلب، ارتفاع ضغط الدم ، تصلُّب الشرايين التاجيَّة والنَّوبات القلبية.

• الجلطة الدماغية، السكتة الدماغية، وبعض الصَّرَع، ومختلف أنواع الشلل.

• اعتلال الأعصاب الطرَفية، ضمور الجلد، ضمور المخ، وهي متلازمات معروفة، وأحد أهم أسبابها شرب الخمر.

• متلازمة فيرنيكه - كورساكوف Wernicke - Korsakoff syndrome مع فقدان الذاكرة للأحداث الأخيرة، التخريف والعودة بالذاكرة لأحداث قديمة.

• البَرِي بَرِي Beriberi وغيره من الأمراض التي تحدث نتيجة نقص المواد داخل الجسم، داء البلاجرا .

• هذيان ارتعاشي - Delerium Tremens ، من المضاعفات الخطيرة التي قد تحدث أثناء العدوى المتكرِّرة للمدمنين على الخمر أو بعد العمليات الجراحية، وقد يحدث أيضاً خلال الإقلاع عن الشُرب كعلامة من علامات ترك الخمر.. وهو خطير جدًّا قد يصل الأمر به إلى الموت حتى إنْ كانت مراكز العلاج على درجة عالية من التطور.

• اضطرابات الغدد الصماء، حيث تتراوح بين وَذْمة مخاطية Myxodema لفرط نشاط الغدَّة الدرقيَّة Hyperthyroidism، ومتلازمة فلوريد كوشينغ Florid Cushing Syndrome .

• التأثير على الأمراض المتعلقة بالدم، نقص حمض الفوليك، ومع ذلك، هو

العلامة الأكثر شيوعًا لتعاطِي الخمر، فقر الدم، متلازمة زيف Zeive، وهي ثالوث من فقر الدم الناتج من تحلل الكريات الدموية الحمراء، اليرقان وفرط الدهون في الدم الذي يتبع فرط تناول الخمر:

Zeive's syndrome is a triad of Hemolytic Anemia, Jaundice and Hyperlipaedemia

- نقص الصُّفيحات الدموية وغيرها من تشوُّهات الصُّفيحات.
- أقراص الفلاجيل «ميترنيدازول» الشائعة عند أخذها فإنها تتفاعل بطريقة سيئة مع الخمر.
- العدوى المتكرِّرة شائعة جدًا بين مدمني الخمر، ضعف مقاومة الأمراض والجهاز المناعي في الجسم.
- التهابات الصدر، الالتهاب الرئوي، خُرَّاج الرئة، انتفاخ الرئة، السِّلُّ الرئوي.
- هذا وإنَّ الآثار السلبية لتناول الخمر على النساء تستحقُّ اهتمامًا خاصًا، لأنَّ الإناث أكثرُ عُرضة لتليُّف الكبد المرتبط بتعاطي الخمر من الرجال، وشرب الخمر أثناء الحمل له تأثير ضارٌّ شديدٌ على الجنين، حيث إنَّ متلازمة الكحول للجنين أصبحت معروفةً بشكل أكبر في مهنة الطب.
- الأمراض الجلدية.
- الأكزيما، الصلع المَرَضي، تشوُّه الأظافر، التهاب النسيج حول الظفر، التهابات زوايا الفم، كلُّ هذا أمراض شائعة بين المدمنين على الخمر.

* * *

وتعليقًا على ما يسمَّى بـ «الشارب الاجتماعي» فإني أذكر لكم قصة وقعت معي شخصيًا، ففي أحد أيام التدريب الجامعي جمعَنا أحدُ الضُّباط المعروفين بكثرة سُكرهم لدرجة أنَّك يصعب أنْ تراه بكامل قواه العقليَّة، ويُمضي أيامه تسليةً مع الطلاب الذين اعتادوا تصرُّفاته، جمعَنا في أحد الأيام وبدأ بإلقاء محاضرة كعادته حيث يُشرِّق ويُغرِّب كما شاء، وكان الحديث هذه المرة عن «شُرب الخمر»، هناك بجانب المطعمِ على الطرف الغربي ألقى كلٌّ منَّا بثِقَلِه على الأرض في صفَّين متقارِبَين نستمع لحكيم الزمان الذي أخذ يُشنِّع على بعض شاربي الخمر، والأمر اللافت أنَّه فرَّق بين صِنفَين من شاربي الخمر، نظرنا إلى وجهِه الشاحب وأُذنيه المتهدِّلتين وهو يسترسل في وصف المشهد الذي اشمأزَّ منه هو، أصَخْنا أسماعَنا جميعًا لرجل سِكِّير ينتقد شُرب الخمر، وعلمنا أنَّ في الأمر شيئًا ما، وإذا به يفرِّق لنا بين نوعَين من شاربي الخمر، الأول هو «الشُّرب الحلال!» -على حدِّ تعبيره- إذ يشتري الرجلُ قارورة الخمر ويفتحها بهدوء ويشربُها بكل احترام!، هنا وجَّه له بعض الشباب سؤالًا عن جواز ذلك، فكان جوابُ سماحة المفتي أنَّه حلالٌ حلالٌ إذا شربها المسلم بهذه الطريقة، وهذا الذي يستحق لقب «الشرِّيب المؤمن!»، وأمَّا الآخر الذي انهال عليه شتمًا فهو الذي يذهب إلى الخمَّارة و«يعاقر الخمر» بشدةٍ وبطريقة وحشية كأنَّ له ثأرًا مع زجاجة الخمر، يضعُها في فمِه من الأعلى ولا يتوقَّف حتى يشربَها كلَّها مع إصدار أصوات مقزِّزة، ومع علمنا بأنَّ

هذا الرجل خارج نطاق التغطية إلَّا أنَّنا أيقنَّا عندها أنَّ التغطية يستحيل أن ترجع إليه، إنَّ الشخص الذي «يدلُق» زجاجة الخمر بفمه دفعة واحدة ليس «شرِّيبًا مؤمنًا» بينما الذي يشربُها بهدوء «مؤمن صادق»، وهذه الفلسفة الفاسدة لا تبعدُ من فلسفة بعض الغرب بأنهم من أصحاب «الشُّرب الاجتماعي» الذي لا يُسكِر.. لكنَّه كان يومًا ممتعًا.

* * *

السؤال الخامس عشر:

لماذا تعادل شهادةُ رجل واحد شهادةَ امرأتين؟

من الأسئلة الأكثر شيوعًا عند غير المسلمين ولاسيما الذين يدَّعون حرصهم على حقوق المرأة وحرِّيتها أنهم يبادرون بالتشكيك بعدالة الإسلام إذ جعل شهادة الرجلِ تعادل شهادة امرأتين، والأمر برُمَّته ليس كذلك، وذلك أنَّ هذه الشهادة ليست مُطلقة، وإنما هي في حالة خاصَّة محدودة، وجاءت لحكمةٍ ما أرادها الله -تعالى-، وللردِّ على هؤلاء الأدعياء المزوِّرين فإنَّ القرآن الكريم قد ذكر في أكثر من مكان الشهودَ دون أن يحدِّد إذا ما كان الشاهد ذكرًا أو أنثى، فتكون شهادة المرأة في هذه الحالة مساويةً تمامًا لشهادة الرجل كقوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦]

ويقول أيضًا: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢]، فهنا لم يحدِّد القرآن

الكريم نوعَ الشهود، وإنَّ الموضع الذي جاء فيه أن شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد إنَّما جاءت في التعاملات المالية في قوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ إلى أنْ يقول: ﴿وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى...﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وكما نلاحظ فإنَّ هذه الآية خاصة بالتعاملات المالية التي من الأفضل أن يكون هناك اتفاقٌ مكتوب بين الأطراف، وأن يوجد شاهدان على هذا الاتِّفاق، والأفضل أن يكون الشاهدان من الرجال، أما في حالة عدم وجود رجلَين فليكنِ الشهود رجلًا وامرأتين، وذلك لأن الإسلام يريد من الرجال أن يكونوا مصدرَ الرزق لعائلاتهم. وبما أن المسؤولية المادية في الإسلام إنَّما هي من اختصاص الرجال، فإذًا لديهم الخبرةُ والمعرفةُ الكافية بهذه الأمور أكثر من النساء، فلذلك كان ينبغي أن يكون الشهود من الرجال، إلَّا أنَّه إذا لم يكن هناك رجلٌ فلا بأس أن يكون الشهود رجلًا وامرأتَين، ولكنْ ما الحكمة من أن تكونا امرأتَين لا امرأة واحدة؟.. الحكمة أنها إذا أخطأتْ إحدى الشاهدتَين قامت الأخرى بتذكيرها، فيحصل التعاون بينهما فتُشحذُ الذاكرة كي تتجنَّب الخطأ وليس النسيان الذي فهمه بعضُهم من كلمة «تَضِلَّ» المستخدمة في القرآن التي هي بمعنى «ترتبك» أو «تخطئ»، وليس «تنسى»، إذًا فإن الحالة الخاصة في معادلة شهادة الرجل بشهادة امرأتَين إنما كان فيما هو من صُلب عملِه المنُوط به وهو التعاملات المالية. ومن ناحية أخرى فإنَّ المشاعر الأنثوية قد تقف حائلًا أمام بعض الأحداث في

الشهادة فتضعُف المرأة، كحالات الشهادة في الجرائم مثلًا، إذ تتملّكها عاطفة الخوف فتصبح مضطربة فإنْ كان معها امرأة أخرى فإنَّها تشجِّعها وتقوِّيها، ولذلك فلا يمكن بحال من الأحوالِ أنْ يتساوى الجنسان في الشهادة في كلٍّ الحالات، وإلَّا فلن يتحقَّق العدل في المجتمع، ولن تكون الأمور في نصابها الصحيح، وعلى النقيض من ذلك فقد كانت شهادة السيدة عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- وحدَها في إسنادها لأحاديث إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تكفي، إذ رُوي عنها ما لا يقلُّ عن «٢٢١٠» أحاديث، وكذلك يرى بعض الفقهاء أنَّ هلال رمضان قد يتعيَّن بشهادة امرأة واحدة على ما فيه من خطورة؛ لأنها ستجعل الأمة الإسلامية تصوم، وفي التعاملات الخاصَّة بالنساء لا يُسمح للرجل بالشهادة، إنَّما شهادة المرأة هي المقبولة، إذًا هناك حالات في الإسلام يتساوى فيها الرجلُ مع المرأة في الشهادة، وهناك حالات شهادة الرجل بشاهدة امرأتَين، وهناك حالات لا تُقبل شهادة الرجل مطلقًا، وما ذلك إلَّا لاختلاف طبيعة الرجل عن طبيعة المرأة، وحُجة من طعن في هذه الشهادة باطلة ولا أساس لها من الصحة.

* * *

السؤال السادس عشر: للذكر مثل حظ الأُنثيين

يتَّهم من لا درايةَ له ولا اطِّلاعَ الإسلامَ بأنَّه ظالم للمرأة غيرُ عادل، وذلك أنَّه أعطى المرأة في الميراث نصفَ ما يأخذ الرجل، وفي الحقيقة هذا ادِّعاء باطل، مبعثه أنَّ الأنظمة والقوانين التي سنُّوها لا تنظر إلى الحالات ولا تُراعي الظروف

والفروق والمسؤوليات، وهذا ليس من العدل والإنصاف في شيء لأنه يظلم المرأة من حيث لا يشعرون، فالمرأةُ في الإسلام محصَّنة تمامًا من حيث الإرثُ ومن حيث غيرُه أكثرَ من المرأة غير المسلمة، مع العلم أنَّه في بعض الحالات فإن المرأة ترثُ «ضعفَ» ما يرِثه الرجل، وذلك إذا تُوفِّيت امرأة ليس لها أولاد ولا إخوة وأخوات، ولها زوج وأمٌّ وأب، فالزوج يرِث النصفَ، بينما ترِث الأم الثلثَ، والأب يرِث السدس، ففي هذه الحالة ورثت الأم «الأنثى» ضعف ما ورثه الأب «الذكر»، أمَّا الحالات التي يرِث فيها الذكرُ ضعفَ ما ترِثه الأنثى فهي: أنَّ الابنة ترِث نصف ما يرث الابن، و الزوجة ترِث الثُّمن بينما يرِث الزوج الربع إن كان المتوفَّى ليس له أولاد، والزوجة ترِث الربع بينما يرِث الزوج النصف إن كان للمتوفَّى أولاد، وإن كان المتوفَّى ليس له ولد ولا والد فالأخت ترِث نصف ما يرِثه الأخ.

وملخَّص الأمر أنَّ الإسلام راعى الظروف والمسؤوليات، وهذا غيرُ موجود في الغرب الذي يطلب من المرأة العملَ والإنتاجَ تمامًا مثل الرجل، بينما في الإسلام لا تتحمَّل المرأة أيَّ مسؤولية مادية منذ أن تُولد إلى أن يتوفَّاها الله، فقبل الزواج تقع مسؤوليتُها على أهلها كاملة، وبعد الزواج تقع المسؤولية على الزوج، وليس مطلوبًا منها أن تقدِّم أيَّ شيء ماديٍّ، بينما مطلوب كلُّ ذلك من الذكر، فلذلك يحصل هو على ضِعف الإرث حتى يتمكَّن من الإنفاق على الأسرة التي لا تنفق عليها المرأة شيئًا في الإسلام، لذلك فالمرأة هي الرابحة في الشرع الإسلامي، وهذه إحدى مزايا تكريم الإسلام للمرأة، فعلى سبيل المثال: لو ورث الابن

«١٠٠» ألفٍ فإنَّ الابنة ترِث نصفَها؛ أي: «٥٠» ألفًا فقط، ولكنْ لَّما كان غيرَ مطلوب منها الإنفاقُ على أيِّ شيء فإنَّها تحتفظ بالـ «٥٠» كاملة دون نقصان، بينما لن يتبقى مع الابن إلَّا القليل لأنه هو المعنيُّ بالتَّبِعات المادية، وقد لا يتبقَّى معه شيء من هذا المبلغ، فلو ساوينا بينهما فلن يتحقَّق العدل.

***

السؤال السابع عشر: إثبات الحياة الآخرة منطقيًّا

كثيرًا ما يتساءل الآخرون: إنْ كان الإسلام دِينًا منطقيًّا علميًّا فكيف يؤمن المسلمون بوجود يوم الآخرة الذي لا يمكن إثباتُ حدوثِه؟ كيف يمكن تبرير وجود الحياة الآخرة؟ لماذا تؤمنون هذا الإيمانَ الأعمى غيرَ القائم على أُسس علمية؟. وفي الحقيقة قد اختفى من أمام أعيُنهم الوجهُ المنطقي لوجود الآخرة مع وضوحه كوضوح الشمس في جهيرة النهار، فوِفق قوانين المنطق والفلسفة فإنَّ ما تمَّ إثباته علميًّا في القرآن يعادل ما يقرب من «٨٠٪» ممَّا هو معروف حتى الآن، وأما الـ «٢٠» الباقية فلم يتطوَّر العلم كثيرًا حتى يصل إلى إثباتها، ولكن ضمن هذه القوانين فإنَّ إثبات «٨٠٪» من شيء، وعدم إثبات خطأ أيِّ شيء من الـ«٢٠» المتبقِّية لا يعني بحال من الأحوال أنَّها خاطئة، وبما أنَّه قد تمَّ إثبات القسم الأكبر والعملية مستمرَّة فالأصلُ افتراض صحَّة ما تبقَّى نظرًا لقصور العلم عن إثباتها، فلذلك إنَّ الإيمان باليوم الآخر وِفق هذه القوانين هو إيمان منطقيٌّ، وليس أعمى، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإننا نشاهد ونقرأ عن كثيرٍ من المجرمين الذين عاثُوا في الأرض فسادًا ككثيرٍ من الحُكَّام الذين أزهقوا

الأرواح، وكثيرٍ من أصحاب المافيا الذين سرقوا الملايين ولا يجرؤ الكثير من أجهزة الدول على إلقاء القبض عليهم، يسرقون ويتنعَّمون في حياتهم ثم يموتون ولم يكن بالإمكان في أيٍّ حال من الأحوال إيقافُهم وإقناعُهم أنَّ السرقة فعل سيِّئ، فمن وجهة نظر المنطق والعقل مَن سيُحاسب هؤلاء؟!، لم يفكِّر الملحدون مطلقًا أنَّ العدالة المطلقة لا بدَّ أنْ تتحقَّق، وهذا ما لا يمكن وقوعُه ضمن الأنظمة البشرية الخاضعة للتسلُّط والنفوذ، إذًا فلا بدَّ أن يأتي يوم يأخذ فيه كلُّ ذي حقٍّ حقَّه، ولكنَّ أصحاب نظرية عدم وجود خالقٍ للكون لا يفكِّرون هكذا، وإنْ سألتَهم فسيقولون: على الشرطة وأجهزة الأمن أن تحمينا، ولكنْ هيهات، ففي كثير من الحالات يُقتل أناسٌ ظلمًا وينجو المجرم بفِعلته، فهل من العدالة ألَّا يلقى جزاءه؟!، مَن الذي سيحاسبُه وفق نظرية نشوء الكَون التي يؤمنون بها؟!!، لا أحد، وسيأكل القويُّ الضعيفَ وينجو المجرمون بأفعالهم ولن يتحقَّق العدل، بينما في شريعتنا الإسلامية نؤمن بوجود يوم للحساب، ينتصف الضعيفُ فيه من القوي، ويأخذ حقَّه منه كاملًا دون أن يجرؤ أحد على الوقوف في وجهه، يقول الله -تعالى-: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فالحاكم الظالم الذي يقتل الآلاف وربما الملايين حتى إن قُبض عليه وقُتل فإنَّ ذلك يعني أنَّ القِصاص وقع مقابل قتلِه شخصًا واحدًا فقط، أما يوم القيامة فإنَّ الله يحاسبُه في النار ثم يعيد جِلْده وأعضاءه كما كانت حتى يستوفيَ كلَّ ما عليه، وهذا ما لا يقدر عليه البشر، هذا

هو الحلُّ في الشريعة الإسلامية، لا بدَّ أن يموت كلُّ شخص، ولكنَّ مآلهم إلى الله يوم القيامة وليس إلى الفناء والعدم كما يظنُّ الملحدون، وهناك سينال كلُّ شخص جزاءَ ما عمله في الدنيا، ولن ينفعَه جاهُه وسلطانُه وما كان عليه من سطوة وجبروت، لذا فالإيمان باليوم الآخر منطقيٌّ عقلانيٌّ لتتحقَّق العدالة في الأرض.

***

السؤال الثامن عشر: التفرقة في الإسلام

من الأسئلة التي تنتشر على ألسنة غير المسلمين أنَّه إذا كان المسلمون يؤمنون بإله واحد ونبيٍّ واحد وقرآن واحد فلماذا ينقسم المسلمون إلى طوائفَ عدَّة؟

وللإجابة على هذا السؤال فإنَّا نقرأ قول الله -تعالى-: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [البقرة: ١٠٣]، هذا هو الأساس في الشريعة الإسلامية، أنْ نكون جميعًا لا متفرِّقين متشرذمين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، ولو نظرنا إلى كلِّ الطوائف الموجودة الآن وقِسناها برسول الله -صلى الله عليه وسلم- فعلى أيِّ طائفة كان؟ كان مسلمًا، مسلمًا فقط، يدعو إلى الله ويعمل صالحًا، كما قال الله -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، هكذا على المسلم أنْ يكون، وكذلك جاء القرآن الكريم في دعوته غير المسلمين إلى الإسلام عندما قال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، فالمسلم الحقُّ لا يعبد إلَّا الله، ولا يشرك به شيئًا، ولا يتَّخذ ربًّا إلَّا الله، ولا يشهد إلَّا بكونه مسلمًا بعيدًا عن المسمَّيات الطائفية التي تضيِّق على المسلمين، وتعزِّز التناحر والتشاحن فتفرِّق ولا تجمع، لقد أمرنا القرآن في أكثر من «٢٢» موضعًا أنْ تقول إنَّنا مسلمون، لا أنْ نسمِّي طائفتنا أو اتِّجاهنا أو ميولنا، فقط أن نقول إنَّنا مسلمون، فإذا ما حصل خلاف بين جماعة وأخرى وهو أمرٌ محتمَل وكثير الوقوع فما العمل؟ الحل كما جاء في القرآن الكريم إذ يقول الله -تعالى-: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، الحلُّ أنْ نعرض خلافنا على ما جاء في القرآن الكريم وعلى سنة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- بكلِّ صِدق، فإنْ كنا مخلصين ونيَّتنا الوصول إلى الحقِّ فسينتهي الخلاف سريعًا ولن يكون له أيُّ تَبِعات، فمن أين أتَتْ كلُّ هذه الطوائف والجماعات؟، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»[1]، ولعل الكثير يحلِّل قول رسولنا الكريم إنَّ افتراق المسلمين وِفق هذا أمرٌ مباح ولا شيء فيه، فلماذا نُنكره؟، إلَّا أنَّهم لم يتنبَّهوا إلى أنَّ

---

(١) سنن أبي دادود، رقم: «٤٥٩٧».

الرسول قال: «ستفترق» ولم يقل: «افترقوا»، هو لم يأمرْنـا بهـذا، بـل أخبرنـا بـما سنصير إليه، وكلُّ هذا من صُنع أيدينا، لذا فلا طوائفَ في الإسلام، وإنَّ ما نـراه اليوم هو من صُنع البشر لا من تعاليم الدِّين.

***

السؤال التاسع عشر: لماذا نتَّبع الإسلام حصرًا، ولا نتَّبع غيره؟.

يذهب بعض الناس إلى أنَّ معظم الأديان تدعو إلى الأفعال الحميدة على اختلاف أنواعِها، فلماذا علينا اتِّباع الإسلام حصـرًا؟ لماذا لا نبقَى عـلى ديننـا؟ وأيـن الاختلافُ بين ما يدعو إليه الإسلام وبين باقي الأديـان؟ وتكمُـن الإجابـة عـن هذا السؤال في أنَّ الإسلام يعلِّمنا الطريقة التي يجب على الناس ألَّا يرتكبوا فيهـا هذه المعصية أو تلك، فهو لا يكتفي بإعطاء الأمرِ بعدم السرقة مـثلًا، بـل يعلِّـم الناس الطريقة التي تجعلُهم لا يسرقون، إنَّه يقدِّم لنا الحلول المناسبة المنطقيَّة التي تجعل المجتمع خِلوًا من تلك الممارسات غيرِ السليمة، إنَّما تقضي عـلى الانحـراف بشكلٍ نهائي، فنظام الزكاة مثلًا من أعظم الأنظمة عندما يُفعَّل بشكلٍ صحيح في النهوض بالمجتمع ومساعدة الفقراء حتى لا يضطرُّوا إلى السرقة أو غيرها، وبعد ذلك إنْ لم يرتدِع أحد الأشخاص فالعقوبـةُ في الإسـلام كبـيرة حتـى لا تسـوِّل لأحد نفسُه بالسـرقة نظرًا لسهولة العقوبـة، قـال تعـالى: ﴿**وَالسَّـارِقُ وَالسَّـارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [المائدة: ٣٨]، وقبل أنْ يتعنَّت أحدُهم ويتنطَّح متَّهِمًا الإسلام بأنَّـه دِيـن بـلا رحمـة لأنَّـه سـيقطع يـدَ السارق ونحن في القرن الحادي والعشرين، فها هي أمريكا أمامكم خـيرَ مثـال،

وهي من أكثر الدول تقدُّمًا وتطوُّرًا في الأمور المادية، إلَّا أنَّ فيها أعلى معدل للسرقة والنهْب في العالم، والسؤال: لو طبَّقنا أحكام الشريعة الإسلامية بأنْ يدفع الأغنياءُ الزكاة، ثم فلتقطعْ يدُ كلِّ من قام بالسرقة حتى يعلم الأمريكيون أنَّ الأمر جِدٌّ لا مزاح فيه، فلا شك أنَّ معدل السرقة سينخفض إلى درجة لا تكاد تُذكر، فهكذا يعلِّمنا الإسلام طريقةَ تفادي أيِّ فعل سيِّئ إلى جانب نَهْيِنا عن فعله، وهذا ما لا نجدُه في الأديان الأخرى، ثم ضرب «د. ذاكر» مثالًا بالمملكة العربية السعودية التي قد يظنُّ بعضهم أنَّك سترى حيثما تلفتَّ أحدَهم بيد مقطوعة قياسًا بعدد حالات السرقة في الولايات المتحدة أو غيرها من الدول التي ترتفع فيها تلك المعدلات، وهذا ما ليس حقيقيًّا ولا واقعيًّا، ربما يوجد بعضٌ من فعل هذا ولكنهم نسبة لا تكاد تُذكر.

وكمثال آخر فإنَّ معظم الديانات تنهَى عن التحرُّش بالفتيات والاغتصاب، حالها كحال الإسلام، إلَّا أنَّ الفرق هو أنَّ الإسلام يدلُّنا على الطريقة الصحيحة التي يجعل الناس يبتعدون عن هذا الفعل الخاطئ، فأوَّل ما تحدَّث عن نظام الحجاب الذي لا يُظهِر مفاتن المرأة، لكنه لم يُغفل حجاب الرجل أيضًا، بل بدأ به قبلَ حجاب المرأة، فقدَّم لنا الحلول التي تحُوْل دون انتشار التحرُّش والاغتصاب، حيث يقول الله -تعالى-: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]، إذا نظر الرجل إلى المرأة فعليه أن يغضَّ بصره من فوره، قبل أن تعتمِلَ في ذهنه فكرة شيطانية، ثم أكمل القرآن فارضًا حجاب المرأة بقوله: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ

يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]، وذلك أنَّ الحجاب يحمي المرأة من التحرُّش بينما لن تسلم الفتاة المتبرِّجة من التحرُّش، وربما الاغتصاب، لأنَّها تثير غرائز البشر، وبعد ذلك ذكر لنا الإسلام أنَّه إنْ قام أحد بهذا الفعل الشنيع فالموتُ ينتظره، وهنا ينتفضُ أعداء الدين ويتَّهمون الإسلام بأنَّه دِين بلا رحمة ولا شفقة، ولا سيما أنَّنا في القرن الحادي والعشرين، لكنَّ السؤال الذي يُلجم أمثال هؤلاء هو لو أنَّ أمك مثلًا تعرَّضت للاغتصاب وكنت أنت الحكم فماذا ستفعل؟ تفاوتت الإجابات التي كان أخفُّها عقوبة الإعدام، وبعضُها التعذيب حتى الموت، هذه كانت الإجابات عندما كانت المغتصَبة تخصُّ أحد السائلين، بينما سيطالب بإطلاق سراحِه إذا كانت تخصُّ شخصًا آخر، إنَّها ازدواجية ما بعدها ازدواجية، وإضافة إلى أنَّ معظم حالات الاغتصاب لا يُبلَّغ عنها، والحالاتُ القليلة التي تصل إلى المحكمة تكون احتماليةُ معاقبة الجاني ضعيفة جدًّا لعدة أسباب، فوفقًا للإحصائيات فإنَّ حالةً واحدةً تتمُّ معاقبتُها من بين «١٢٥» حالة اغتصاب مبلَّغ عنها، وفي الغالب تكون العقوبة مخفَّفة إذا كان المغتصب أول مرة، فلماذا كل هذا؟ لو طُبِّقت الشريعة الإسلامية لارتاح المجتمع الأمريكي من كلِّ هذه المشاكل، وذلك لأنَّها قدَّمت الحلول ولم تكتفِ كباقي الشرائع بإعطاء التعليمات والأوامر، كلُّ الديانات الأخرى ديانات نظرية بينما قرن الإسلام النظرية بالتطبيق العملي، فكانت له ميزة على باقي الأديان.

وأمَّا من وجهة نظر العقيدة فإنَّ كلَّ الأديان السابقة للإسلام بشَّرت بقدوم النبيِّ محمد -صلى الله عليه وسلم- ليكون نهاية السلسلة، كلُّ الكتب المقدسة.. الهندوسية والفارسية، والبوذية، واليهودية، والمسيحية تتحدث عن نبي سوف يأتي... نبي سوف يأتي ...نبي سوف يأتي، ومنها ما ورد في إنجيل يوحنا، الإصحاح «١٦»، الأعداد «١٢-١٣-١٤» أنَّ المسيح عيسى -عليه السلام- قال: «إنَّ لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكنْ لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك، روح الحقِّ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسِه، بل كلُّ ما يسمع يتكلَّم به ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجِّدني».

عندما تدرس في الصف الأول.. تعلم أن نهاية المدرسة هو الصفُّ العاشر، وعندما تذهب للصفِّ الثاني.. نهاية المدرسة هو الصفُّ العاشر، عندما تذهب للصفِّ الثالث.. فإن الصفَّ العاشر هو النهاية، هذا المثال فيما يخصُّ المدرسة، الصفُّ الخامس، الصفُّ السادس، الصفُّ السابع، الصفُّ الثامن، الصفُّ التاسع، الآن أنت وصلت الصفَّ العاشر.. وستتقدَّم لامتحانات الثانوية، صحيح؟ لكنَّ هذا لا يعني أنَّ ما تعلَّمته في الصفِّ الأول هو نفسُه ما ستتعلَّمه في الصفِّ العاشر، بل أنت كنتَ تستعدُّ للصفِّ العاشر، وفي لحظة الاستعداد قبل «١٤٠٠» سنة مضت كان الله -سبحانه و تعالى-.. يعلم أنَّ الوقت المناسب لظهور الإسلام هو عندما أرسل النبيَّ محمدًا -صلى الله عليه وسلم-، ولذلك قال السيد المسيح في الإنجيل: «إنَّ لي أمورًا كثيرة، أقولُها لكم أيضًا، ولكنَّكم لا تستطيعون أن تحتمِلوا الآن، أما متى جاء ذاك، روح الحقِّ، فهو يرشدُكم إلى جميع

الحقِّ»، إذًا إنَّ البشر في ذاك الوقت لم يكونوا مهيَّئين للرسالة النهائية التي هي الإسلام، وغير مهيَّئين للعهد الخير الذي هو القرآن الكريم الذي لا كتابَ بعده، قد تختلف التفاصيل إلَّا أنَّ كلَّ الكتب السماوية جاءت برسالة أساسية هي رسالة التوحيد، كلُّها تحدثت عن إله واحد وكلُّها قالت إنَّه علينا أنْ نؤمن بالأنبياء جميعًا وآخر الأنبياء محمد -عليه الصلاة والسلام، الذي جاء معه الجزء الأخير من الرسالة الإلهية، حيث لا توجد أيُّ إضافة بعدها، إذ يقول الله -تعالى-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة: ٣]، إنَّه العهد الأخير الذي توقَّفت عنده الرسالات والكتب والأنبياء، وخلاصة القول: إنَّ العهد الأخير يختلف عن العهد القديم والعهد الجديد بأنَّه يقدِّم النسخة النهائية لرسالة الله إلى الأرض، ويعطينا الحلول لمشاكل البشرية.

ولكنَّ سائلًا يقول إنَّه وجد أنَّ الإسلام للمتقدمين روحيًّا فقط، لأننا عندما نقارن الأديان نجد أنَّ الإسلام ذو مستوى عالٍ، وكما هو الحال في المدارس، حيث يمكن تشبيه الديانات الأخرى بالصفوف الابتدائية، بينما يمكن تشبيه الإسلام بالصفوفِ المتقدمة كالصفِّ التاسع أو العاشر..

فكان الجواب بالموافقة من طرف وعدم الموافقة من طرف آخر، نعم هو للمتقدِّمين روحيًّا، لكنَّ ذلك لا يعني أنَّ الذي يفتقد التقدُّم الروحي لا يمكنه الدخول في الإسلام، فهذا لا نتَّفق معه، لأنَّ أيَّ شخص يدخل المدرسة فإنَّ أول شيء يتعلَّمه هو الحروف الهجائية، وكذلك في الإسلام، فإنَّ أول ما تتعلَّمه هو

التوحيد، فهذا ألف باء الإسلام، والتوحيد هو الإيمان بإله واحد، وهو موجود في كلِّ الكتب المقدسة عند الديانات الأخرى، إلَّا أنه للأسف فإنَّ الزعماء الروحيين لتلك الديانات لا يريدون لأتباع تلك الديانات معرفةَ الحقيقة، لأنَّ الزعماء بذلك سيصبحون دون أيِّ منفعة كوسطاء بين الناس والإله، ويخسرون بذلك عملهم، غير أنَّ الدين الإسلامي لا يتطلب أيَّ وساطة، فالأمر مباشر بين العبد وربِّه، وكذلك كلُّ الكتب المقدسة حتى بعد أنْ حُرِّفت وأُضيف إليها وتمَّ التلاعب بها ما زالت تدعو إلى التوحيد، والله قد أنزل دينًا واحدًا لجميع البشر، إلَّا أن رجال الدين في جميع الأديان غير الإسلام لا يريدون للناس أن يتَّجهوا إلى تلك العقيدة، وخلاصة الكلام إنَّ أيَّ شخص حتى إنْ لم يكن متقدِّمًا روحيًّا في اللحظة التي يريد أنْ يشكر الله فعليه أنْ يُسلم إرادته لله، وكلُّ شخص أسلمَ إرادته لله فهو مسلم، وبهذا يكون الدِّين للجميع.

* * *

السؤال العشرون:

إن كان الإسلام أفضلَ دين فلماذا نرى المسلمين أسوأ الناس؟ لماذا نرى أكثر الإرهابيين واللصوص والغشَّاشين من المسلمين؟

في الحقيقة إنَّ أصحاب هذا الادِّعاء لم يحكِّموا عقولهم بل حكَّموا وفق ما يقدمه لهم الإعلام الذي خضعوا له كلَّ الخضوع، وسلَّموا له عقولهم بكل خنوع، وذلك أنَّ الإعلام الغربي لا يسلط الضوء إلَّا على النماذج السيِّئة ويظهرها على أنها الإسلام، ويغضُّ النظر عن كلِّ ما هو جميل بين المسلمين على كثرته، ولكي

يزيد الطين بِلَّة فإنَّ الإعلام الحاقد غالبًا ما يقتطع من القرآن الكريم كلامًا ويُخرجه عن سياقه ليفهمَه الآخرون وفق ما يُقدَّم لهم، وعلى سبيل المثال فمعظم الناس يعرف تفجير أوكلاهوما عام «١٩٩٥م» حيث كان وقتَها أكبر انفجار للنفط في أمريكا، حيث قُتل ما يقرب من «١٦٨» شخص في الانفجار، وامتلأت الصحفُ بالخطوط العريضة: «مؤامرة الشرق الأوسط» «المسلمون يجب أنْ يُدانُوا»، وظلَّت هذه العُنوانات لفترة طويلة يدغدغون بها مشاعرَ الناس، لكنهم عندما علموا لاحقًا أنَّ الفاعل اثنان من الجنود الأمريكيين ظهر الخبر مرة واحدة ثم اختفى كأنَّ شيئًا لم يكن، ومثله الكثير من الأخبار التي تركِّز على كلِّ ما من شأنه الإساءة للمسلمين، كما حصل في الهند عندما امتلأت الصحف بخبر زواج رجل مسلم عربي في الخمسين من فتاة في الخامسة عشرة من عمرها في عنوان رئيسي في الوقتِ نفسه الذي يأتي في موجز الأخبار العابر خبرُ اغتصاب رجل غير مسلم في الخمسين من عمره لفتاة في السادسة من عمرها، ومثلُه ما حصل في ألمانيا عندما حدث انفجار كبير في مخبز في «بون» حيث قُتل تسعة أشخاص، فكان المتَّهم الرئيسي في ذلك المسلمين في الخطوط العريضة للصحف ولعدَّة أيام، وكان مجرَّد اتِّهام دون دليل قطعيٍّ، بينما في اليوم نفسه قام الماويُّون الشيوعيونِ بقتل «١٦» من رجال الشرطة، لكنَّ الخبر جاء في موجز الأخبار.

لذلك فإنَّ المسؤول الأول عن تشويه صورة الإسلام هو الإعلام، ولسوء الحظ فالمسلمون ضعيفون جدًّا في هذا النوع من الإعلام، بينما لدينا العديدُ من قنوات

الرقص والغناء، ومع وجود مسلمين سيِّئين إلَّا أننا في العموم أفضل من غيرنـا، وهذا ما لا يُبرزه الإعلام على الإطـلاق، فالمسـلمون لا يشــربون الخمـور فـلا يقومون بتصرُّفات سيِّئة نتيجة فقدان العقول، المجتمع الأكبر الذي يتصدَّق على الفقراء هو المجتمع المسلم، لا يوجد شخص في العالم يُضاهي المسـلم الملتـزم في احتشامه واعتداله وأخلاقه، لذلك فكلُّ ما يشـاع عـن الإسـلام باطـل، وهـذه دعوة للآخرين ليحكموا على الإسـلام مـن خـلال أحكامـه وتشريـعاته لا مـن خلال أمورٍ أخرى، من خـلال القـرآن الكـريم والأحاديـث الصـحيحة لا مـن خلال الافتراءات الإعلامية أو بعض النماذج السيِّئة التي تُسلَّط عليها الأضـواءُ ولا سيما قادة بعض المجتمعات، فليكُنْ من خلال أعظم قائد للـدِّين الإسـلامي ألا وهو رسولُنا الكريم -صلى الله عليه وسـلم-، فهـذه سـيرة حياتـه فلينظـروا وليعتبروا.

***

السؤال الحادي والعشرون: لماذا نقول عن غير المسلمين كفارًا.

لقد كان هذا السؤال من ضمن الأسئلة العشرين الأكثر شيوعًا عـلى ألسـنة غـير المسلمين إلَّا أنَّه خرج من قائمة العشرين من بعد أحداث «١١» أيلول/ سـبتمبر وحلَّ مكانه السؤال عن الجهاد الذي احتلَّ المرتبـة الأولى في القائمـة، ويتسـاءل أصحابُ هذا السؤال عن سبب إساءة المسلمين لغيرهم بتسميتهم كُفَّارًا، والأمر لا يحتاج إلى طُول عناء، إذا لا بدَّ مـن معرفـة معنـى كلمـة «كـافر»، وبـالنظر إلى الأصل الاشتقاقيِّ لهذه الكلمة فإنَّها مأخوذة مـن «الكُفْـر» التـي تعنـي الـرفض

والإنكار والجَحد، وفي المنظور الإسلامي فإنَّ الكافر هو الذي يجحد رسالة الإسلام ولا يؤمن بها، وإذا ما ترجمناها إلى اللغة الإنجليزية الشائعة فإنَّ معناها «غير مسلم»، فأين الإساءةُ في إطلاق هذه الكلمة على غير المسلمين؟ إنَّ الطريقة الوحيدة التي تزيل عنهم هذه الصفة التي يظنُّونها إهانة هي اعتناق الإسلام، عندها لن تكون كافرًا، عندها سنقول عنهم إنهم مسلمون، أمَّا وهم ليسوا مسلمين فماذا نسميهم؟ الكفر نقيض الإسلام فإمَّا أنْ تكون مسلمًا أو كافرًا.

* * *

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1]

قلَّبوا الأمر من زواياه كافَّة.. ومحَّصوا وفكَّروا.. ووقف عند القرآن كثيرًا.. ولـمَّا لم يخرجوا بشيء ذهب هذا الفريق من الملحدين إلى أنَّ القرآن الكريم ليس كلام الله، بل على العكس تمامًا إنَّه من عمل الشيطان، وفي الحقيقة فإنَّ هذه الدعوى الباطلة ليست حديثة فقد اتَّهم أهل مكة في فجر الدعوة الرسول بأنَّ الشيطان هو الذي يُلقي تعليماته إليه حتى يفضُّوا الناس من حوله ويكذِّبوه، فأنزل الله -تعالى-: **﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [الواقعة: ٧٧-٨٠]، في إشارة إلى اللوح المحفوظ الذي لا يمكن للشيطان الوصول إليه، فإنْ كان من كلام الشيطان فكيف يقول إنَّه لا يمسُّه إلَّا المطهَّرون، والشيطان رمزٌ للقذارة والأفعال الدنيئة

---

(١) النجم: ٤.

الشـريرة؟!، لن يقول الشيطان هذا، فقد فات هؤلاء أن يحبكُـوا القصَّـة جيِّـدًا، فهي إذًا دعوى باطلة وفق العقل والمنطق. وكذلك فقد ورد في القـرآن الكـريم: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشـعراء: ٢١٠-٢١٢]، فكيف يصف الشـيطان عجـزه وعجـز أتباعه إنْ كان هذا كلامَه؟!، لا يوجد عاقل يتقبَّل أنْ يؤلِّف أحدٌ ما كتابًا ثم يـذمُّ نفسَه فيه، ويحذِّر الناس من اتِّباعه، ويحثُّهم على اتِّباع عدوِّه، لكنَّه الفهم الخـاطئ من كثير من الناس الذين يعتقدون أنَّ الشيطان يمكنه أنْ يفعل أيَّ شيء باستثناء أشياء قليلة لا يقدر عليها، يمكن أن يقـوم بهـا الله فقـط، وبنـاءً عـلى معتقـدهم الفاسد فإن الشيطان أقلُّ بقليل من الله في القوة والسلطة.

ولو كان الشيطان قد كتب القرآن أو أوحاه إلى الرسول –صلى الله عليه وسـلم– فإنَّه من المستحيل أنْ يأمر النـاس بالاسـتعاذة منـه، يقـول الله –تعـالى–: ﴿فَـإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، لن يطلب الشيطان من الناس أنْ يلجؤوا إلى الله ليحميَهم مـن شر الشـيطان ووسوسـاته.. ومثلهـا قوله –تعالى–: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَـمِيعٌ عَلِـيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، لن يطلب الشيطان من الناس اللجـوءَ إلى الله ووصـفَه بصـفات عظيمة لمنع الشيطان من تنفيذ مآربه عندما يبدأ بالوسوسة لهم.. وكيـف يطلـب الشيطان عكس ما يسعى له جاهدًا في تضليل الناس، وإبعادهم عن الله فيأمرهم بعدم اتِّباعه،؟! يقول الله –تعالى–: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

وهناك الكثير من آيات القرآن الكريم تحذِّر من الشيطان، عدا عـن وصـفه بأنَّـه رجيم في التعوُّذ بقولنا: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، لذا فليس مـن العقـل والمنطق أنْ يكون الشيطان قد كتبَه.

* * *

لا نحتاج إلى الصَّنم

لو بحثنا في ديانة غير الإسلام فلا شكَّ أنَّنـا واجـدون أنَّ هـذه الديانـة أو تلـك تحمل في تعاليمها عقائدَ شركية بشكل أو بآخر، وكـلٌ يـبرِّر تلـك العقيـدة عـلى هواه، مخالفًا الكتاب المقدس الذي يؤمن به، ولـو درسـنا -عـلى سـبيل المثـال- بعضًا من الديانة الهندوسية، وقرأنا كتـاب «الفيـداس» وغـيره لوجـدناها تحـرِّم عبادة الأصنام صراحةً، فلماذا أدخلوا عبادة الصـنم؟ يـذهب رجـال ديـن هـذه الديانة إلى أنَّهم في بداية الأمر لا يستطيعون التركيز؛ لأن العقل يمكن أن يتشتَّت وينشغل في بدية العبادات، فيلجؤون إلى الصنم حتى يزدادَ التركيز، ثـم يخفِّفـون الوطأة بأنَّهم عندما ترتقي عقولُهم إلى مرحلة عُليـا مـن الـوعي و الإدراك، فـلا داعيَ لاستخدام الصنم للتركيز.

ولو قارنَّا بين ما ذهبوا إليه وفق أسلوب الموافقات الذي يتَّبعُه «د. ذاكر» لوجدنا أنَّ المسلمين قد بلغوا هذا المستوى العالي من الوعي و الإدراك منذ أنْ دخلـوا في الإسلام، واستطاعوا الوصول إلى الخالق بقلوبهم الصافية النقية، وببُعدهم عـن

عالم المادِّيات، فحين يعبُد المسلمون الله فإنَّهم لا يحتاجون إلى ما يقرِّبهم إليه، لقد ألغى الإسلام الوساطة بينه وبين عباده، فالتركيز في أثناء العبادة يصلُ إلى أعلى مستوى عند تَنحِية كلِّ المحسوسات والمادِّيات، فيشعر المسلم بقُربه من الله، والله يُخبر عباده أنَّه قريب منهم لا يحتاج صِلة وَصْل بينه وبينهم، فلا صنمَ ولا أيَّ شيءٍ آخر، وهذه الفلسفة قريبة من فلسفة المشركين الذين كانوا يعلمون بوجود الله، لكنَّهم عبدوا الأصنام وملؤوا الكعبة وما حولها بها لتقرِّبهم إلى الله، قال الله -تعالى- على لسانهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، في الوقت الذي يخبرنا الله -تعالى- أنَّه قريب منَّا إنْ دعوناه بصدقٍ وإخلاص استجاب لنا أو أخَّر الاستجابة لوقت هي أنفعُ لنا، يقول الله -تعالى-: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وحول مفهوم الوعي والإدراك ضرب هؤلاء مثالًا بالطفل الصغير الذي لا يُدرك ما يجري حوله، فيسأل الكبارَ عن التفسير، فيبتعدون بالإجابة الصحيحة عنه لأنه لن يفهم ما يقولون، فكانوا إذا سألهم الطفل: «لماذا تُرعد السماء؟» أجابوه: إنَّ الجدَّة تطحن الدقيق في السماء، هو لن يفهم العملية التي يتمُّ بها الرعد، فلن يدرك شيئًا عن الغيوم واصطدام الغيوم والشحنات الكهربائية ونزول المطر، فيقولون له هذا حتى يسكت، وبهذا يعلِّلون اتِّخاذ الأصنام لتساعدهم على التركيز، لأنهم -كما يقولون- كهذا الطفل الذي لا يستطيع الإدراك في المراحل الأولية فيحتاجون إلى صنم لمساعدتهم على التركيز في

العبادة.

وهذه الفلسفة باطلة، ولا تتوافق أصلًا مع المنهج العلميِّ الصحيح في تربية الأولاد، وفي الإسلام نحن لا نؤمن بقول الأكاذيب، حتى إنْ كانت الكذبة بيضاءَ كما يقولون، كذب كهذا كلُّه أسود. يقول «د. ذاكر»: أنا لن أعطيَ ابني أبدًا إجابة غير صحيحة مثلَ هذه، و ذلك لأنَّه عندما يلتحق بالمدرسة بعد ذلك، ويفهم الحقيقة، ويتعلَّم أن صوت الرعد يأتي بعد البرق، و أن سببَ صوت الرعد هو التمدُّد السريع للهواء الساخن فسيعتقد حينها أحدَ اعتقادَين: إمَّا أنَّ المدرِّس يكذب عليه، أو أنَّ والده كذَّاب.

لو شعرتَ أن الطفل لن يفهم أشياءَ معيَّنة بسبب صعوبتها عليه فعليك أن تبسِّط الإجابة له، بدلًا من أن تعطيَه إجابة غيرَ صحيحة وخيالية من عندك، وبعيدة كلَّ البُعد عن وجه الحقيقة، وإنْ كنت أنت لا تعرف الإجابة فينبغي لك أنْ تتحلَّى بالجُرأة والشجاعة لأن تكون صادقًا وتقول: «أنا لا أعرف»، وبما أنَّ الكثير من الأطفال -في هذه الأيام- لن يرضى بهذه الإجابة، وقد يقول لي: «أبي، لماذا أنت لا تعرف؟»، هذا سيُجبرك على أن تفعل واجبَك، وبالتالي ستعلِّم نفسك مثلما يفعل ابنك.

ووفق المنهج العلمي فإنَّ المعادلة التي يتعلَّمها الطفل ستبقى كما هي ولن تتغيَّر في الصفوف الأعلى، فـ«٢+٢=٤» منذ الصف الأول إلى أعلى الصفوف، فهذه قاعدة، وهي على بساطتها تشكِّل أساسًا قويًّا للطفل، وهناك حقيقة مهمَّة جدًّا هي أنه عندما تكون الأسسُ والقواعد عند الطالب لأيِّ مادة قويةً حينها فقط

سيقدر على أن يتفوَّق ويمتازَ في هذه المادة مستقبلاً.

الطالب الذي تعلَّم مبادئ الجمع البسيطة في الصفوف الدنيا سيبني عليها المعلوماتِ الجديدة في الصفوف الأعلى، ولو شرح المعلِّم الأساسياتِ والقواعدَ بشكل غيرِ صحيح فكيف تتوقَّع أن يتميَّز التلميذ ويتفوَّق في المستقبل؟!.

إنَّ إحدى أساسيات «الفيداس» فيما يتعلَّق بمفهوم الإله أن الإله ليس له صورةٌ ولا شكلٌ ولا رمزٌ، فكيف لعلماء الهندوس بعد أن عرفوا هذه الحقيقةَ أن يظلُّوا صامتين على الأفعال الخاطئة التي يفعلُها الناس؟! إنَّها مخالفة صريحة لكتابهم المقدَّس.

* * *

بين الإسلام والسيخيَّة

لا يخفى على دارس الكثير من الكتب المقدَّسة للأديان وجودُ نقاط تشابهٍ بينها وبين أحكام الإسلام، وأنَّ الكثير منها ممَّن كان قبل الإسلام قد بشَّر بظهور النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- كاليهودية والمسيحية والهندوسية والبوذية، ويذهب «د. ذاكر» في تعليل ذلك إلى أنَّ تلك الكتب مع تعرُّضها للتحريف والتبديل إلَّا أنَّه ما زال فيها شيءٌ من تعاليم الله، ولا يُشترط أنْ يكون اللفظ نفسُه، ولكنَّه سَلِم من التغيير، ولا سيما تلك العبارات التي تأمر أصحاب تلك الديانات باتِّباع الدين الجديد الذي سيظهر واتِّباع رسوله محمد -عليه الصلاة والسلام-، ولا شكَّ أنَّ الذين غيَّروا تلك الكتب لم يتنبَّهوا إلى التفسير الحقيقي لتلك العبارات، وإلَّا لقاموا بتحريفها قبل أيِّ شيء، حتى جاء حملة راية الإسلام بدءًا بالشيخ «رحمتُ الله الهندي» والشيخ «أحمد ديدات» و«د. ذاكر نايك»، ولن أقول «انتهاءً بفلان» لأن السلسلة لن تتوقف بإذن الله -تعالى-، حيث عمل هؤلاء الدعاء على بيان غلط التفسيرات التي يعرفها أصحاب تلك الديانات، إذا أثبتوا لهم ذلك بالحُجة والعقل والمنطق، وأظهروا أشياءَ كانت غائبة عن العقول، فدخل الآلاف من الناس في دين الإسلام، إلَّا أنَّ اللافت للنظر هو وجود بعض التشابُه بين الإسلام والديانة السيخية على حداثتها في الظهور والنشوء، لأنَّها ظهرت في إقليم «البنجاب» في الهند أوائلَ القرن السادس عشر، وكانت الدعوة

قائمة على اتِّباع تعليمات معلِّم يُدعى «غورو ناناك» وخلفائه التسعة من «الغورو»، وهي كلمة هندية تعني «المعلِّم»، ولأن المعلمين «١٠» فإنَّ السيخية تُعرف بـ« دين الـ ١٠ غورو»، بينما جاءت كلمة «السِّيخ» من الجذر السنسكريتي «سيسيا» التي تعني «التلميذ» أو «الطالب»، وقد انتشرت في العالم بسبب اعتماد الإنجليز عليهم في بعض الحروب وهجرات السِّيخ خارج بلادهم، ويذهب بعض الباحثين إلى أنَّ السيخية هامش من الإسلام والهندوسية، وذلك أنَّ المؤسس «غورو ناناك» كان متأثراً بالمسلمين.

ويُفترض بالشخص السيخي أن يحافظ على السيخية وفق المبادئ الخمسة، فعليه أن يحافظ على «الكِيش»؛ أي: يحافظ على شعره غير محلوق، وعليه أن يمتلك «كانغا»، وهو مشطٌ كبير ليحافظ على شعره نظيفاً، وعليه أن يرتدي «كارا»، وهي سِوار من المعدن، وعليه أن يضع «كيربان»، وهو غمد سيف... والخامس هو «الكاشارا»، وهو الثوب الداخلي الطويل، إذًا هذه هي المفاتيح الخمسة التي يجب أن يحافظ عليها السيخي، أمَّا عن التشابهات فبعضها صحيح، لأنَّ النبي -عليه الصلاة والسلام- قال من الضروري أن نحمل غمداً، إنها سُنة، لذلك إذا ذهبت إلى بعض البلدان مثل عُمان واليمن فستجد أنَّ معظمَهم يضعون الخنجر مثل السِّيخ...

ولكنَّه ليس فرضًا مثل ما هو عند السِّيخ، وفيما يخص الشعر فدينُنا لم يأمرنا أنْ نبقيَ شعرنا طويلًا هكذا، وإنَّما في الأمر سَعة، وكان القدامى يُطيلون الشعر ولا يحلِقونه إلَّا قليلًا، ولكنَّه ليس فرضًا.

وأمَّا فيما يتعلَّق بمفهوم الإله فهو تقريبًا متشابه، حيث تقول الآية الأولى من «الغورو غرانث - الجابوجي»، الكتاب الأول: «إنَّ الإله حقيقي، هو الخالق الذي لم يُولد، ليس له خوف أو مراد، عظيم، رحيم»، وهذا مشابه لمفهوم الإله في الإسلام في سورة الإخلاص، والسيخية هي ديانة توحيدية تؤمن بإله واحد، لا تؤمن بعبادة الأصنام، وفي الشكل غير الظاهر فالإلهُ العظيم عندهم يُدعى «إيكونغارا»، وفي الشكل الظاهر «أومغارا»، وتتنوَّع الصفات التي يطلقونها على الإله، وهي متشابهة مع صفات الإسلام كما جاءت في «الغورو غرانث»، فالإله العظيم يدعى بـ «أكل»؛ أي: الأبديّ، ويدعى بـ«صاحب»؛ أي: الرب، ويدعى بـ«كرتار»؛ أي: الخالق، ويدعى «العزيز»، «الرحيم»، «الكريم»، ويدعى أيضًا بالإله الواحد الحقيقي.

ولأنَّ السيخية ديانة جديدة فمن الطبيعي ألَّا تبشِّر بمجيء الإسلام، ولا يوجد شيء مذكور عن النبي محمد -صلى الله عليه و سلم- على الرغم من أن «غورو ناناك» احترم الرسول -صلى الله عليه وسلم- وقدَّره، ولكن لا أعلم -يقول «د. ذاكر»- إذا ذكره كرسول في كتبه المقدسة.

وبغضِّ النظر عمَّا سطَّره «غورو ناناك» فإنَّ تعاليم السيخية قد انحرفت أيضًا وذهبت في طريق آخر مختلف عمَّا كانت عليه، حيث أخذوا بعبادة الـ«غورو ناناك صاحب» والـ«أدي غرانث»، وهذا ما لم يأمرهم به «غورو ناناك»، ولا حتى عبادة النار قد ذكرت أيضًا، فهذا كلُّه تلاعبات وإضافات حدثت فيما بعد، والكثير من طقوس الهندوسية قد دخلت في السيخية، وهكذا أصبح لديك ديانةٌ

مختلفة، ولكن الذي نقوله هو أنَّ القرآن هو الفرقان، هـو المعيـار الصـحيح بـين الحق والباطل.

* * *

هل صُلب المسيح؟

وما زال هناك من يجادل بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، ويحسب أنَّ ما في جَعْبته يقهر به الآخرين، غير أنَّه ما إنْ يصطدمْ بجبل شامخ حتى تتكسَّرَ معاولُه ويجلس ملتقطًا أنفاسَه يمسح عن جبينه ما تصبَّب من عرق، وها هو الآن القس «ركن الدين هنري بيو» يقف أمام «د. ذاكر» ليُثبت له أنَّ المسيح -عليه السلام- قد صُلب فعلًا ظانًّا أنَّه سيُبطل ما جاء به القرآن الكريم، ولكنْ كحال غيره من الذين حسِبوا ريحَهم الضعيفةَ إعصارًا، فنفخوا بكلِّ قوتهم، لكنَّهم لم يستطيعوا ملء «بالون» صغير بالهواء، وقد نظَّمت هذه المحاضرة البعثةُ التبشيرية في مومباي وجمعية البحوث الإسلامية في الهند.

يُعرف القس «ركن الدين هنري بيو» بـ «روكني» وهو من أصل عربي، إذ وُلد في العراق في محافظة البصرة، ثم انتقل إلى الكويت، تخرَّج في جامعة «مومباي» في العلوم، له خبرة واسعة في التعليم ولا سيما علوم الكومبيوتر والتدريب عليه وبرمجته، وتعليم اللغة العربية، ومدرِّس للإنجيل وواعظ مع البعثة التبشيرية الهندية، وشافٍ إيمانيٌّ مشهور.

لقد أتى الأب «روكني» إلى جمعية البحوث الإسلامية طالبًا مناقشةَ بعض الأمور مع «د. ذاكر»، وهكذا اتَّفق الطرفان على أنْ يتمَّ جعل هذا النقاش الفرديِّ على العلن وأمام جمهور غفير حول موضوع محدَّد في مكان مناسب، فتمَّ طرح

مواضيع عدة، إلَّا أنَّ الأب «روكني» هو الذي اختار هذا الموضوع ليكونَ محور المناقشة، حيث ابتدأ الأب «روكني» الحديث وعرض ما عنده، محاولًا إثبات أنَّ السيد المسيح –عليه السلام– مات على الصليب فداءً لأتباعه، وذلك أنَّه أطاع الربَّ لدرجة أنَّه حُكم عليه ظُلمًا بالموت مِيتة الرجل الآثم، حيث كان يسوع مستعدًّا لتذوُّق الموت نيابة عن الآخرين تكفيرًا عن آثامهم وذنوبهم، فلأنَّه أطاع الربَّ حتى النهاية فقد تقبَّل الربُّ التضحية التي قدَّمها تكفيرًا لكلِّ الخطايا، فالمسيحي –كما يقول «روكني»- لا يحتاج إلى أداء طقوس العبادة، كلُّ ما عليه فعله هو أن تنظر إلى يسوع معلَّقًا على الصليب وستُمحى خطاياك كلُّها، لا بدَّ أنْ تتحقَّق عدالة الربِّ بأن يموت شخص طاهر بلا خطيئة، ليمحوَ به خطايا العالم، واليوم ستُمحى خطايا أيِّ شخص يؤمن بموت المسيح على الصليب ودفنِه ثم قيامِه وتغلُّبِه على الموت بعد «٣» أيام، وتسلُّمِه سُلطاته الإلهية مرة أخرى، كل من يؤمن بذلك سيتغيَّر مصيره من الجحيم إلى النعيم، بالإضافة إلى مزايا أخرى.

إنَّ العهد الجديد قائم على حادثة الصلب، وإذا نفينا وأنكرنا هذه الحادثة فليس للعهد الجديد أيُّ قيمة، وعندما يرد ذكر «الكتاب المقدس» فالمقصود كتب اليهود وكتب المسيحيين...

وبدأ بسرد الأدلَّة من الإنجيل على صحة واقعة الصَّلب، ولكنَّ هذه الأدلَّة لم تكن أدلَّة ولا صلة لها بموضوع البحث، ومنها استدلال القس «روكني» بقصة إبراهيم الخليل –عليه السلام–، عندما أراد الله أن يذبحَ ابنه، لكنَّ القصة عندهم مختلفة، فالذبيح هو «إسحاق» وليس «إسماعيل» –عليهما السلام–، وعندما ربط

إبراهيم الخليل ابنَه وأراد ذبحه جاءه الملك وناداه بأنْ يتوقَّف لأنَّ الله عَلِم صدقه إذ أراد اختباره، فافتداه، ثم أردف القس «روكني» أنَّ المسيحيين هم بمنزلة «إسحاق» -عليه السلام- الذي افتداه الله بقُربان أراد اختيارَه بنفسه، فكلٌّ من يؤمن بيسوع يضع نفسه مكان إسحاق، ويؤمن أنَّ الربَّ أنجاه من حُكم الموت بسبب الخطيئة، فالموتُ هو عقاب الخطايا، وسيذهب الشخصُ المذنب إلى الجحيم، ولكنْ ماذا حدث؟ -يقول القس «روكني»-: لقد قدَّم الربُّ القُربان بنفسه، ويسوع المسيح على الصليب قربانٌ آخر، فإذا آمنت بالمسيح فسيصبح قربانًا عنك... ولا أدري ما صلة المسيحيين بهذه القصة، وكيف تكون تضحيةُ إبراهيم الخليل بابنه ذاتَ صلة بالمسيحيين؟!.

ثم سرد قصة أخرى على أنَّها دليل على موت السيد المسيح على الصليب وهي قصة اليهود الذين ظلُّوا عبيدًا في مصر لسنوات، ثم الْتفتَ إليهم الربُّ وأنقذهم بمعجزة كبيرة، حيث أعطاهم علامة على أنَّه سيقتل جميع أبناء أعدائهم في تلك الليلة ليجبرَهم على ترك اليهود والابتعاد عنهم، وجعلَهم يذبحون «حَمَلًا» على غاية من المثالية في الجسم والصحة والخلوِّ من الأمراض والعِلل، حيث أمرهم بسكْب دم هذا الحمَل على عتبات بيوتهم، وعندما يأتي ملك الموت في الليل ولا يجد أثرَ الدم على الأبواب فسيكون الموت مصير كلِّ مولود جديد، فقام اليهود بتنفيذ الوصية، وسكبوا الدمَ على عتبات البيوت، وهكذا انصرف أعداؤهم عنهم، واستطاعوا الرحيلَ عن مصر.. فالتضحية -كما يقول «روكني»- كانت بحَمَلٍ لا عيبَ فيه ولا مرَض ولا دنسَ، فكان إذًا مثالًا للتضحية، وخلاصًا من

الموت، وهذه إشارة واضحة -برأيه-، فالحديث ليس عن الحمَل وإنَّما عن يسوع -عليه السلام-.. وأيضًا فلا صلة لهذه القصة بالسيد المسيح -عليه السلام-.

ثم ذكر قصة ثالثة وهي أنَّ اليهود تمرَّدوا على الربِّ عدة مرات في «سيناء»، فجاءت الحيَّات المحرِقة ولدغتهم، وتسمَّم أغلبهم، ثم طلب الربُّ من موسى أن يصنع «حيَّة برونزية» ويضعها على راية، وكلُّ يهودي ينظر إليها سيُشفى من لدغة الحية، ثم ذكر «روكني» أنَّه قد ورد تعليق على ذلك في العهد الجديد يخبرنا أنَّ الحية رمزٌ للشيطان، فهي ليست شيطانًا وإنَّما ترمز إليه، لأنها مجرد حيوان، والذي حدث هو أنَّ تعليق السيد المسيح على الصليب كان بمنزلة الحيَّة التي أنقذت اليهود، فمات يسوع -عليه السلام- على الصليب لينقذ أتباعه كما أنقذَتِ الحيةُ البرونزية المعلَّقة على الراية اليهودَ الملدوغين.. وأيضًا أين الدليل على صلب المسيح من هذه القصة؟! فما صلة الحية بالسيد المسيح -عليه السلام؟!.

وأمَّا ما جاء في العهد الجديد الذي انتقل إليه القس «روكني» فقد جعل من كلام «بولس الرسول» دليلًا على صلب المسيح، وهو أحد كُتَّاب العهد الجديد، وقد أراد الكثيرون من «بولس» أنْ يتحدَّث عن العقيدة المسيحية دون الإشارة إلى واقعة الصلب، غير أنَّه رفض وقال: «نحن نكرِزُ[1] بالمسيح مصلوبًا»، لا بدَّ أنْ يحقِّق الربُّ عدله بموت شخص طاهر بلا خطيئة.

ثم ذكر دون تفصيل أيِّ شيء أنَّ من الكتب التي تحدَّثت عن الواقعة ما جاء في

---

(١) الكرازة تعني الوعظ والتبشير بالتعاليم المسيحية.

سفر إشعياء، الإصحاح «٥٣»، حيث ذكر معاناة السيد المسيح الشديدة على الصليب، ثم ذكر تنبُّؤات «يوحنَّا اللاهوتي» الذي تنبأً بمعركة عند نهر الفرات العظيم في العراق، وتنبأً بما يحدث في العراق وقد وقع ما تنبَّأ به، حيث رأى «يوحنَّا اللاهوتي» الحمَلَ المذبوح في الجنَّة، الذي هو يسوع -عليه السلام-.

ثم قال إنَّ أعداء يسوع أكَّدوا موته، فقد ذُكر في نسخة «التلمود» التي تعود إلى عصر يسوع قبل نحو ألفي سنة أنَّ يسوع قُتل، وأخيرًا ساق القس «روكني» دليلًا روحيًّا ليس له صلة بالكتاب المقدس، وهو أنَّ المسيحيين يصلُّون من أجل المرضى ودفع الشياطين ومشكلات الحياة، والربُّ يسمع لهم ويشفيهم، واستشهد «روكني» على ذلك بأنه شُفي من مرض شوكي خطير، وهو مرض «التهاب الفقرات التصلُّبي» الذي لا علاجَ له، حيث صلَّى القساوسة من أجله وشُفي خلال «٧» أيام مع أنَّه لم يكن حينها متديِّنًا، إنَّما كان يؤمن بيسوع فقط، ثم ادَّعى أنَّه يعرف أشخاصًا تمكَّنوا من إحياء الموتى باسم يسوع!!، وساقَ قصة حدثت معه شخصيًّا، لكنَّه عقَّب بعدها أنَّه من الممكن ألَّا تكون مثالًا صريحًا على إحياء الموتى، وتتلخَّص الواقعة أنَّه مرَّ بجوار مكان فيه حدثٌ رياضي، في مومباي، وحدث أنْ دهست دراجة بخارية فتاةً صغيرة، فحملها وهي «ميتة»، ولم تكن تتنفَّس، وانتهت تمامًا، فأسرع بها إلى مستشفى «سانت جورج» وهو يبتهل باسم السيد المسيح يسوع -عليه السلام-، وعندما وصل المستشفى عادت إلى الحياة.. وبعد أنِ انتهى وعد الحضور أنَّه سيصلِّي لهم، ولكنَّ الشفاء يكون على قدر الإيمان بيسوع عليه السلام.

بعد أنْ أنهى القس «روكني» حديثه جاءه الردُّ المفحم الذي جعله كغيره ساكتًا حائرًا عند معظم النقاط التي أثارها «د. ذاكر» لعلَّه يهتدي إلى شيء، فابتدأ «د. ذاكر» محاضرته بقول الله -تعالى-: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧]، وأنَّ الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي يؤمن بالسيد المسيح -عليه السلام- إلى جانب المسيحية، وأنَّ المسلم لا يكون مسلمًا إلَّا إنْ آمن بالمسيح، وأمَّا عن موضوع المناظرة فعلى الرغم من أنَّ «د. ذاكر» لا يؤمن بأنَّ الإنجيل كلامُ الله، وذلك لما اعتراه من تحريف وإضافات، فربما بقي فيه شيء من كلام الله، إلَّا أنَّه من المؤكَّد قد حُرِّف حتى امتلأ بالتناقضات والمغالطات والكلام غير السويِّ، ومع ذلك فإنَّ إثبات دعوى صَلب السيد المسيح -عليه السلام- ستكون من الإنجيل نفسِه الذي يؤمن به المسيحيون لا من شيء آخر، نعم من الإنجيل نفسِه، لن يكون البرهان إلَّا ممَّا يؤمنون هم به، وقد قال القس «روكني» قبل قليل إنَّ الجنَّة لن يدخلها إلَّا من يؤمن بصلب المسيح، والله -تعالى- يقول: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، ولم يقدم المسيحيون من برهان إلَّا كتابهم المقدس، ولأنهم اعتمدوا كتابهم فسيكون البرهان على خطأ ما يعتقدون من كتابهم.

بدأ «د. ذاكر» أولًا تعريف الصَّلب وفق قاموس «أوكسفورد» بأنَّه: «القتل

بالتثبيت فيَ الصليب»، ووفق قاموس: «ويبستير»: «القتل بالتثبيـت بالمسـامير أو الرَّبط في صليب»؛ أي: هو الموت على الصليب، وإذا لم يمُت فإنَّه لم يُصلب وفـق التعريف، وأمَّا كلمة «قيامة» فتعني: «عملية القيام من الموت»، وهي قيامة السيد المسيح بعد موته ودفنه؛ أي: إنَّ قيام السـيد المسـيح يتطلَّـب أن يمـوت أولًا ثـم يقوم من موته، وإذا لم يمُت فمعنى هذا أنَّه لن يقوم، يقول المسيح في إنجيل متى، في الآيتين «١٦-١٧»: «إنَّ الإنسان يستطيع أن ينالَ الخلاص إذا عمِـل بوصـايا الله العشر»، ولكن القدِّيس بولس يقول في رسالته إلى «كولوسِّي» في الآيـة «١٤» من الإصحاح «٢»: «إنَّ المسيح علَّق هذه الوصايا على الصليب»، ويقول بـولس أيضًا: «إنَّ الإنسان بإمكانه الخلاصُ إنْ هو آمن بموت المسيح وبقيامته مـن بـين الأموات»، ويقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل « كورونثوس» في الإصـحاح «١٥»، الآية «١٤»: «وإنْ لم يكن المسيح قد قام فباطلـةٌ كِرازتُنـا، وباطـلٌ أيضًـا إيمانكم»، ثم أخذ «د. ذاكـر» يـذكِّر بـما قالـه القـس «روكنـي» مـن أنَّ العقيـدة المسيحية قائمة كلُّها على الصليب، فإذا لم يكن هناك صلبٌ فـلا قيمـة للعقيـدة، ولا قيمة للعهد الجديد، وورد في سفر إشعياء، الإصحاح «٦٤» الآية «٦»: «وقد صرنا كلُّنا كنَجَسٍ، وكثوبِ عدَّةٍ كـلُّ أعـمال برِّنـا»؛ أي: إذا لم تـؤمن أنَّ المسـيح مات على الصليب لمحو خطايا البشرية فإنَّ كل أعمالـك الصـالحة بمنزلـة ثـوبٍ نجس، وما ذلك إلَّا لأنَّه واثق من أنَّه سيغلب خصمه، وسيفنِّد واقعة الصليب، وبذلك يكون قد هدم المسيحية كلَّها بناءً علىَ ما قاله القس وعلى مـا اقتبسـه مـن سفر إشعياء.

قال القديس بولس في الآيات «٢٤-٤٣-٤٤»: «هكذا أيضًا قيامة الأموات: يُزرع في فساد، ويُقام في عدم فساد،، يُورع في هوان، ويُقام في مجد، يُزرع في ضُعف، ويُقام في قُوة، يُزرع جسمًا حيوانيًّا، ويُقام جسمًا حيوانيًّا»، «يوجد جسم حيواني، ويوجد جسم روحاني»، ووفقًا لما قاله بولس الرسول فإنَّ الأجسام تصبح روحانية بعد قيامها من الموت، وهو نفسُه ما قاله السيد المسيح -عليه السلام- في كتاب لوقا، الإصحاح «٢٠»، الأعداد من «٢٧» إلى «٣٦» عندما ذكر قصة امرأة لديها «٧» أزواج، ثم حضر اليهود من أجل أن يطرحوا على المسيح سؤالًا، وكان عند اليهود عادة وهي إنْ تزوج الرجل امرأة، ومات عنها دون أن يكون له ذرية، فإنَّ الأخ الثاني يتزوج زوجة المتوفَّى ليستمر نسل أخيه، وإذا ما مات الأخ الثاني دون ترك ذرية فإن الأخ الثالث يتزوج امرأته، وهكذا، فكان سؤال اليهود عن امرأة تزوجت «٧» إخوة، واحدًا تلو الآخر، وكلُّهم امتلكوها؛ أي: تزوجوها جميعًا، ثم ماتت هي الأخرى، فسألوا المسيح -عليه السلام-: لمن ستكون الزوجة بعد البعث؟ أي: بعد قيامها من الموت، وهذا يعني أنهم جميعًا سيقومون في وقت واحد، من سيحصل عليها في هذه الحالة؟ فقال لهم المسيح -عليه السلام- كما جاء في كتاب لوقا، الإصحاح «٢٠» في العددين «٣٥-٣٦»: «ولكنَّ الذين حُسِبوا أهلًا للحصولِ على ذلك الدهرِ والقيامةِ من الموت لا يزوِّجون ولا يُزوَّجون» أي: إنَّ الأجسام المبعوثة من الموت لا تتزوج ولا تُقدَّم للزواج، «إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضًا لأنهم مثل الملائكة»؛ أي: إنَّهم بعد الموت سيصبحون كالملائكة في أجسادهم؛ أي: أجسادًا

روحانية، هكذا قال السيد المسيح -عليه السلام- في كتاب لوقا، الإصحاح «٢٠»، العدد «٣٦»، وقاله بولس في رسالته الأولى لأهل «كورنثوس»، الإصحاح «١٥»، الأعداد «٤٢-٤٣-٤٤»، فالكلام في غاية الوضوح، في الوقت نفسه فإنَّه لا توجد آية واحدة في العهد الجديد تنصُّ صراحة على قيامة المسيح من الموت، وإذا عدنا إلى قصة الصلب، فسنجد أنَّ حواريِّي المسيح كانوا معًا في الغرفة العليا، ثم جاءهم المسيح، وهذا وارد في كتاب لوقا، الإصحاح «٢٤»، العدد «٣٦»: «وفيما هم يتكلَّمون بهذا وقف يسوع نفسُه في وسطهم وقال لهم: سلام عليكم»، وجاء في الآية التالية: «فجزِعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا رُوحًا»، والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام: لماذا ظنَّ الحواريون أنَّ المسيح -عليه السلام- روحٌ؟ هل بدا لهم مثل الروح؟ عندما نطرح هذا السؤال على المسيحيين فإنَّ إجاباتهم قطعًا بالنفي، وذلك أنَّ المسيح لم يبدُ كرُوحٍ عندما صعِد إلى الغرفة العليا بعد واقعة الصلب المزعومة، إذًا عندما رأى الحواريون المسيح -عليه السلام- لماذا ظنُّوه روحًا؟ لا بدَّ أنَّ شيئًا ما أفزعهم، إنَّ السبب في ذلك هو أنَّهم سمعوا إشاعة تقول إنَّ معلِّمهم قد عُلِّق على الصليب، وإشاعة أنَّ أنَّه قد توفِّي وأسلم روحه، وإشاعة أنَّه دُفِن في القبر ثلاثة أيام، وكان ذلك كلُّه إشاعات، والسبب في ذلك عدم وجود شهود عيان، وفي هذه اللحظة والمسيح أمامهم ارتاب الجميع فتركوه وهربوا وكانوا «١٠٠» رجل، هكذا أورد كتاب مرقس، الإصحاح «١٤»، العدد «٥٠»: «فتركه الجميع وهربوا»، فأراد المسيح أن يُزيل الشك من نفوسهم فماذا فعل؟ ذكر كتاب مرقس، الإصحاح «١٤»، في

العدد «٣٩-٤٠»: «يقول المسيح: انظروا يديَّ ورجليَّ، إني أنا هو، جسُّوني وانظروا، فإنَّ الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي، وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه»، بدأ السيد المسيح يسألهم: لماذا أنتم خائفون؟ ماذا حدث لكم؟ الْمِسوني وانظروا، وأراهم يديه ورجليه حتى يثبت لهم أنَّه ليس روحًا، وهذا يعني أنَّه لم يقُم من الموت، إذًا هو لم يمت ولم يصلب، وتقول الآيتان «٤١-٤٢» من الإصحاح «٢٤» من كتاب لوقا: «وبينما هم غير مصدِّقين من الفرح...» وذلك لأنهم اعتقدوا أنَّه مات، لكنه هنا بشحمه ولحمه، فقال لهم: «أعندكم ههنا طعام؟ فناولوه جزءًا من سمك مشوي وشيئًا من شهد عسل، فأخذ وأكل قدَّامهم»، والسؤال: لماذا سألهم الطعام؟ ولماذا أكل أمامهم؟ أليس ليثبت أنَّه جسدٌ بشري مثلُه مثلُهم، أليس ليبرهن على أنَّه حي لم يمت، ولم يقم من الموت وأنَّه ليس روحًا، هذا ما تقوله كتبكم، فالمسيح بهذا لم يصلب، وهذا يعني أنَّ المسيحية كلَّها قد تهدَّمت بناءً على ما ذكره القس «روكني».

وأمر آخر، ووفقًا لأسلوب الموافقات، عندما ذهبت «مريم المجدلية» إلى قبر المسيح -بعد موته المزعوم- في ثالث يوم، حيث ورد في إنجيل يوحنا، الإصحاح «٢٠»، الآية «١»، وفي إنجيل مرقس، الإصحاح «١٦»، الآية «٢» أنَّ ذلك كان أول يوم في الأسبوع، وهو يوم الأحد، والسؤال: لماذا ذهبت مريم المجدلية إلى قبر المسيح -بعد قتله المزعوم- بثلاثة أيام؟ إنْ نظرنا إلى الآية رقم «١» في الإصحاح «١٦» في إنجيل مرقس لوجدنا أنَّها ذهبت لتدهنَ جسمه بالزيت! والكلمة العربية التي استُخدمت هنا هي «المسح» التي تعني «الدَّلْك»

و«الدَّهن»، وهي باليونانية «كريستوس» التي اشتُقَّت منها كلمة «المسيح»؛ أي: الرجل الممسوح بالزيت، ولكنَّ شيئًا مهمًّا ينبغي التنويه له هنا، وهو أنَّ المسيحيين لا يمسحون جسدَ الموتى بالزيت بعد ثلاثة أيام، ولا اليهود ولا المسلمون، إذا فلماذا قامت مريم المجدليَّة بهذا؟! إنَّه لأمر عجيب، ولكنَّ العجب يزول إذا علمنا أنَّها الوحيدة مع «يوسف الرامي» و«نيقوديموس» الذين قاموا بغسل جسد المسيح قبل الدَّفن، وعندما أنزلوه ربَّما رأت أنَّ فيه بعض الحياة، لكنها بالطبع لم تقلْ ذلك وأخفتْه لأنَّها تعلم أنَّهم سيقتلونه، رأت في جسده الضعيف دلائلَ حياة فعادت في اليوم الثالث لتبحثَ عن المسيح الحي.

وأمر آخر يدعو إلى العجب ورد في إنجيل يوحنا، الإصحاح «٢٠»، الآية «١»، وإنجيل مرقس، الإصحاح «١٦»، العدد «٤»، وهو أنَّها وجدت الحجر قد دُحرج، ووجدت الأكفان مكوَّمة جانبًا، والسؤال المهم: لماذا تدحرج الحجر ووُضعت الأكفان جانبًا، من المؤكد أنَّ الرُّوح لن يفعل ذلك، لأنها ليست جسمًا ماديًّا، لو أنَّ المسيح قام من الموت وتحوَّل إلى روح فلن يحتاج إلى دحرجة الحجر وفكِّ الأكفان وإزاحتها، سيبقى كلُّ شيء كما هو وينسلُّ الروح من بين كل ذلك، هذا يثبت أنَّ الشخص الذي خرج من القبر كان آدميًّا بلحم وعظم ودم، وليس روحًا.

وإذا قرأنا في كتاب يوحنَّا، الإصحاح «٢٠»، العدد «١٥» فسنجد أنَّ المسيح رأى مريم المجدلية وهو على الأرض، ولم يرَها من السماء، وسألها: « يا امرأةُ لماذا تبكين؟ من تطلبين؟» سألها مع أنَّه يعرف السبب، «فظنَّت تلك أنَّه البستاني،

فقالت له: يا سيِّد إنْ كنت أنت قد حملتَه فقل لي أين وضعتَه؟ وأنا آخـذُه»، وفـق هذا الذي ذُكر كيف لمريم المجدلية أنْ تحسب شخصًا قام من القبر بستانيًّا؟ أيقبل العقل أنْ تكون هيئة رجل مدفون كان معذَّبًا على الصليب ثم قام من موته كهيئة رجل بستانيٍّ؟ هذا غير منطقي، فكيف ظنَّته البستاني؟، لا بدَّ أنَّه كـان متخفِّيًـا في هيئة بستانيٍّ حتى لا يعرفه اليهود، فإذا كان كذلك فهل يمكن للـروح أن يكـون على هيئة البستاني؟ وهل يمكن للروح أن يختفي خوفًا من اليهود؟. وقد جِـاء في رسالة العبرانيين، الإصحاح «٩»، العدد «٢٧»: «وُضع للناس أن يموتـوا مـرةً، ثم بعد ذلك الدَّينُونـة» وفي إنجيـل لوقـا، الإصـحاح «٢٠»، العـدد «٣٦»: «لا يستطيعون أن يموتوا أيضًا»؛ أي: إنَّك إذا أصبحت روحًا فـلا داعـي أنْ تخشـى من أحد، لأنه لن يستطيع أحدٌ أنْ يؤذيك، ولن تموت مرة ثانية، فلو كـان روحًـا فلماذا تخفَّى؟! لماذا كان خائفًا؟! لماذا اختبأ في الأصل؟!، إنَّ كلَّ هذا يثبت عقـلًا ومنطقًا أنَّه لم يكن روحًا.

ثم لما نادى المسيح قائلًا: «يا مريم» وعرفَتْه، فأقبلت عليه بلهفة شديدة، قـال لهـا كـما ورد في كتـاب يوحنَّـا، الإصــحاح «٢٠»، الأعــداد «١٥-١٦-١٧»: «لا تلمَسِيني»، فلماذا طلب منها ذلك؟ لا بدَّ أنَّ جسده ما زال منهكًا متعبًا من واقعة التعذيب المزعومة، ولذلك قال لها كما في كتاب يوحنًّا، الإصحاح «٢٠»، العـدد «١٧»: «لم أصعد بعدُ إلى أبي»، هذا دليل قاطعٌ على أنه لم يمُت، إذًا هو لم يقُم مـن الموت، وجـاء في كتـاب مـرقس، الإصـحاح «١٦»، العـدد «١١» أنّ حواريِّيـه سمعوا أنَّه حيٌّ من مريم المجدلية إلَّا أنَّهم لم يصدقوا.

وفي القبر الذي قلتم إنَّ المسيح دُفن فيه دليل على أنَّـه لم يمُـت أيضًـا، فقـد كـان القبر لحواريِّه «يوسف الرامي» الذي كان ثريًّا يهوديًّـا ذا نفـوذ، وكـان لديـه قـبر واسع فسـيح، حيـث وُضـع فيـه المسـيح، وإنَّ عَـرْضَ القـبر كـان «٥» أقـدام، وارتفاعَه «٧» أقدام، وطولَه «١٥» قدمًا، لمَ هذه المساحة الكبـيرة؟ ألـيس ذلـك مُعدًّا لمساعدة شخص ما، حتى تكون الحركة سهلة ويستطيع الذي سيُوضع فيـه البقاء فترة طويلة، إنَّ هناك في مومباي شققًا بمسـاحة «٧٥» قـدمًا يسـكن فيهـا «٥-٦» أشخاص، ومساحة القبر كافية لمساعدة شخص ما، لكـنْ مـاذا إنْ كـان المدفون روحًا؟! من المؤكـد أنَّ هـذه المسـاحة لا فائـدة منهـا، لأنَّ الأرواح لـن يحجُبها ضِيقٌ، ولن تساعدَها مساحة واسعة.

وكذلك عندما جاء اليهود وطلبوا من السيد المسيح آيةً على صـدقه عـلى الـرغم من كلِّ ما رأوه منه، فوافقهم على ذلك حتى لا يدعَ لهم حُجة، وهذا مـا جـاء في كتب متَّى، الإصحاح «١٢» الآية «٣٨»، ولكن بمَ أجابهم السيد المسيح -عليـه السلام-؟ ما المعجزة التي أراد أنْ يبرهن بها على صِدق رسالته هذه المرة؟ تكمن الإجابة في الآيتين «٣٩-٤٠» عندما قال: «جيلٌ شرير وفاسـق يطلـب آيـةً، ولا تُعطى له آية إلَّا آية يُونان النبي «وهو يونس -عليه السلام-» لأنَّه كما كان يونـان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ هكذا يكون ابنُ الإنسان في قلـب الأرض ثلاثة أيامٍ وثلاث ليالٍ»، اختار المسيح هذه الآية مـع أنَّـه يمكنـه أن يقـول لهـم: اذهبوا إلى «بارتيماوس» الرجل الأعمى الذي أعاد له بصرَه بمشيئة الله، أو غيرها من المعجزات الكبرى، والأمر اللافت للنظر أنَّ يونس كان في بطن الحوت حيًّـا

لا ميتًا، ومكث ذلك المكث وهو حيٌّ، وأخذ يسبِّح الله في بطن الحوت، وهنا تكمن المعجزة، وذلك أنَّ شخصًا بقي في بطن الحوت فترة من الزمن لا بدَّ أنْ سيموت، لكنَّ الله منع ذلك وبقي حيًّا، وهذا ما أراده المسيح -عليه السلام-، فلو كان يونس ميتًا في بطن الحوت فأين المعجزة في ذلك؟ ولكنَّ المسيحيين مجمعون على أنَّ المسيح كان ميتًا في قبره، إذًا أين الشبه بين يونس والمسيح -عليهما السلام- في الإعجاز؟ ثم إنَّ المذنب على ظهر السفينة كحال يونان «يونس» إذا تحمَّل مسؤولية ما اقترفَه من ذنب وطلبوا منه أنْ يلقي بنفسه من السفينة ولم يفعل فسيضطرُّون إلى كسر ساقه أو ربما كسر رقبته أو ليِّ ذراعه وهذا ما لم يحصل مع «يونان» لأنه تطوَّع بنفسه، ويسوع كان يصرخ: «إيْلاي إيْلاي لمَ شَبقْتَنِي؟»؛ أي: «إلهي إلهي لمَ تركتني؟» لن تتحقق النبوءة إلَّا إنْ وقع التشابه بينهما، فكما بقي يونس حيًّا في بطن الحوت كان كذلك المسيح حيًّا في القبر لا ميْتًا، ولا فائدة من التركيز على الرقم «٣» أو غيره من الأرقام إذا اختلفت الحالتان، إنْ كانت الأولى أيامًا أو أسابيعَ أو أكثر وكانت الثانية مثلها لكنَّ الأولى حياة والثانية وفاة فأين المعجزة؟ هناك مثل هذا ملايين الحالات، وبناءً عليه فإنَّ واقعة الموت على الصليب باطلة، وينبني عليها أنَّ قيامتَه من الموت باطلة أيضًا.

ومن زاوية أخرى فإن المسيح قد صُلب في يوم الجمعة طبقًا للكتاب المقدس، ولذلك يسمُّونها بـ «الجمعة الجيدة»[1] وإنْ سألهم: ما الجيدُ في هذه الجمعة؟

---

(١) وتُسمَّى أيضًا: الجمعة السوداء والجمعة العظيمة والجمعة المقدسة والجمعة الحزينة وجمعة عيد الفصح.

فسيقولون: إنَّ المسيح قد مات فيها ليمحوَ بموته خطايا البشر من أتباعه، ولكنَّ محاكمة المسيح تمَّت على عجَل، وتعجَّلوا أيضًا في صلبه وإنزاله، وذلك لأنَّه كما قال سفر التثنية، الإصحاح «٢١»، العدد «٢٣»[١] لا يجوز أن تثبَّت الجثة على الصليب طوال ليلة السبت، وإلَّا فستصبح الأرض ملعونة، فتمَّ تغسيله ووضعُه في القبر في وقت متأخِّر من الليل بما لا يتجاوز ساعات معدودة، بينما من المؤكَّد عند المسيحيين أنَّ اثنين صُلبا مع المسيح وظلَّا حيَّين؛ أي: لم يمُت سوى المسيح! وإذا ما جئنا إلى سفر يوحنَّا، الإصحاح «٢٠»، العدد «١» لوجدنا أنَّ مريم المجدلية عثرت على القبر خاويًا أول يوم في الأسبوع؛ أي: يوم الأحد، ولأنَّ الكتاب المقدس لم يذكر متى غادر المسيح القبر فربما غادر يوم الجمعة ليلًا أو السبت صباحًا، وإنَّ أقصى موعد لمغادرته هو يوم الأحد في الصباح الباكر، إذًا فلنفترض أنَّه دخل القبر الجمعة ليلًا وظلَّ فيه يوم السبت، ومن المفترض أيضًا أنَّه كان فيه السبت ليلًا ثم وُجد القبر خاليًا صباح يوم الأحد، فهذا يعني أنَّه بقي في القبر ليلتين ويومًا واحدًا[٢] فقط، وإذا عدنا إلى النبوءة لوجدناها كمعجزة نبيٍّ الله يونان «يونس» وهي «٣» أيام و«٣» ليالٍ، إلَّا أنَّ المسيح وفق ما جاء في الكتاب المقدس لم يمكُثْ هذه المدة، وكل من يقوم بحساب الوقت الذي مكث فيه المسيح في القبر كما يقول الكتاب المقدَّس فلن يجده كما قرَّره لهم المسيح،

---

(١) ذكر هذا القس «روكني» في محاضرته، غير أنَّه لم يذكر المرجع، فعقَّب د. ذاكر على ذلك وذكر المرجع بالدقة.

(٢) المقصود باليوم النهار.

ويستحيل على المسيح أنْ يكذب، إلَّا أنَّ هذا يثبت بالدليل القاطع أنَّ الواقعة كلَّها غيرُ صحيحة، ويثبت من دون شك أنَّ ما حصل للإنجيل من تحريف جعله يمتلئ بتلك الأخطاء الحسابية[1].

وفيما يأتي ملخص النقاط التي تُبطل واقعة الصلب:

١- وُضع المسيح على الصليب وأُنزل سريعًا خلال ساعات معدودة قليلة، ومن الصعب أنْ يموت الشخص مصلوبًا في هذه المدة، إذًا كان حيًا.

٢- بقي صديقاه على الصَّليب على قيد الحياة، ولا بدَّ أنَّه مثلهما، إذًا كان حيًّا.

٣- لم تكن ساقاه مكسورتين، إذ لا فائدة من الساق المكسورة للرجل الميت، إذًا كان حيًّا.

٤- تحرُّك الحجر وإزاحة الكفن عند الخروج من القبر، إذًا كان حيًّا.

٥- اختباء المسيح في هيئة بستانيٍّ، ولو كان ميتًا لما كان على هذه الهيئة، إذًا كان حيًّا.

٦- اتساع القبر الذي لا ينفع إلى إذا أُعدَّ لكي يساعد على الهروب، إذًا كان حيًّا.

٧- رفْضُ المسيح أن تلمسَه مريم المجدلية لأنه كان مصابًا ولأنه بشر، إذًا كان حيًّا.

٨- قول المسيح إنَّه لم يصعد للأب كما في الكتاب المقدس، إذًا كان حيًّا.

٩- لم تتمكَّن مريم المجدلية من التعرُّف على المسيح لأنه غيَّر شكله، إذًا كان حيًّا.

---

(١) انظر: أخطاء الكتاب المقدس في مناظرة د. ذاكر مع د. ويليام كامبل، ص١٠٠.

١٠- جعل المسيحُ الحواريين يرَون قدميه ورجليه ليتأكَّدوا أنَّه بشر لا روح، إذًا كان حيًّا.

١١- فرح الحواريين برؤيته لأنهم ظنُّوا أنَّه مات فأثبت لهم أنَّه حي، إذًا كان حيًّا.

١٢- أكل قطعةَ سمك مشوي وقرص العسل ليثبتَ لهم، إذًا كان حيًّا.

١٣- سمع الحواريون من مريم المجدلية أنَّه حي، إذًا كان حيًّا.

١٤- حتى تتطابق معجزة المسيح مع معجزة يونان «يونس» لا بدَّ أن يبقى المسيح حيًّا كما كان يونان حيًّا في بطن الحوت، إذًا كان حيًّا.

وبالعودة إلى معنى «الصَّلب» الذي جاء في أول المناظرة نجده: «الموت على الصليب»، وهذا ما لم يكن صحيحًا وفق الأدلة، إذًا فالمسيح وُضع على الصليب -كما يروي الكتاب المقدس-، لكنَّه لم يمُت، وعلى هذا فهو لم يُصلب، وإنِ ادَّعى أحدٌ ما خلاف معنى الصَّلب الذي فُسِّر به ما حصل للمسيح -وهو غير موجود- فإنَّ حادثة القيامة باطلة جملةً وتفصيلًا، لأنَّ الصلب عند المسيحيين هو الموت على الصليب، «ولم يتحقَّق»، وعليه فقيامه الموت «لم يتحقَّق».

* * *

وأوهى قَرنَه الوَعِلُ...

وعندما جاء دور القس «روكني» ليردَّ على النقاط التي أثارها «د. ذكر» أخذ يمتدح الكتاب المقدس، ويذكر أنَّه المخلِّص وأنَّه حريص على الجمهور حتى تُمحى خطاياهم، ثم قال إنَّ «د. ذاكر» قد فسر بعض الأمور بأسلوب غير

منطقي، لكنَّه لم يأتِ بأيِّ شيءٍ منطقي في الردِّ، ولم يُعلِّق على كلِّ النقاط التي أثارها «د. ذاكر»، بل ذهب أبعد من ذلك وتقوَّل عليه ما لم يقلْه، فافترى كلامًا جاء به من عنده، وأُولى النقاط التي ظنَّ أنَّه سيردُّها تعريف «القيامة» في المعجم ومعناها بالألف واللام ومن دون الألف واللام، فإنَّه لم يتحقَّق منه كما قال، ثم اتَّهم «د. ذاكر» أنَّه أساء الفهم، فالقيامة المعرَّفة هي القيام من الموت، ومن أمثلة ذلك قيامة يسوع، أي: إنَّ واقعة القيامة واردة كمثال في القاموس، ولا يشير إلى أمر ديني، ولا يعتقد أنَّ «القيامة» و«قيامة» تشير إحداهما إلى البعث والثانية إلى قيامة المسيح، وقال عن تسمير الوصايا في الصليب: إنَّ بولس لا يتحدث عن الوصايا نفسِها، إنَّما عن الأحكام التي أطلقتْها الوصايا، فقد طُبِّقت أحكام هذه الوصايا على يسوع وهو مُسمَّر على الصليب، فالحديث ليس عن تسمير الكتاب المقدس وكلام الربِّ، لأنَّ القوانين مقدَّسة، وطاهرة، وتهدف لفضح الخطايا لا لمحوها، وعندما جاء يسوع إنَّما جاء لمحو الخطايا، فالمعنى ليس تسمير الوصايا بل تسمير اللعنات والعقاب الذي تفرضُه الوصايا، لأن الأحكام تقضي أنْ يذهب المسيحيون إلى الجحيم، لذلك سُمِّرت في الصليب مع يسوع، وأمَّا ما قاله «د. ذاكر» من أنَّه لا توجد آية واحدة في الكتاب المقدس تشير إلى قيامة يسوع فهي موجودة في كتاب متى، الإصحاح «٢٨»، العدد «٦» وما قبلها[1]، وكذلك في سفر الرؤيا، الإصحاح «١»، العدد «١٨»، حيث يقول يسوع عن نفسِه بعد

(١) لم يقل هذا من حِفْظه، إنما ساعده أحد القساوسة في البحث في الإنجيل، ومع ذلك فهي ليست حُجة.

أنْ أصبح روحًا: «وكنت ميتًا وها أنا حيٌّ إلى أبد الآبدين»، فالأمر واضح ولا تلاعبَ فيه، وأما عن شكل المسيح بعد القيام فهناك الكثير من الغموض حول الشكل الذي وعد الربُّ أنْ يمنحَه لمن يموت في سبيل المسيح، فنحن لا نعرف عنه شيئًا، والمعروف انَّ يسوع اخترق الجدران، ودخل الغرف والأبوابُ مغلقةٌ، لأنَّ ذلك الجسد قادر على التغلب على الحواجز الطبيعية، وهو قادر على الاختفاء، فقد سار يسوع مع اثنين من حوارِيِّيه بعد قيامته من الموت، لكن عينَيهما لم تعرفاه، وظل يوضِّح لهما الكتب المقدسة، وذهب معهما إلى المنزل، وناولهما الخبز، فانفتحت عيناهما وعرفاه عندئذٍ؛ أي: إنَّ مريم المجدلية ليست الوحيدة التي لم تعرفْه، يبدو أنَّ هذا الجسد قادر على تغيير هيئته، وعندما أظهر يسوع يده أراد أن يظهر لهم أنَّها مثقوبة، وأراهم جانبه أيضًا لأنَّ أحد الجنود جرحه من جانبه؛ أي: أراد أنْ يريَهم أنَّ هذا الجسد عليه علامات الصليب، مما يشير أنَّ الجسد الجديد فيه شيء يشبه الجسد القديم، لكننا لا نعلم الكثير عنه، لا نعلم سوى أنَّه جسد خارق ذو مجدٍ جديد، يمكن أنْ نعلم من خلاله أنَّه قام من الموت، لكن قد لا ندركه أحيانًا فيمكنه اختراق الجدران، وهناك آثار على الجسد أراهم إياها ليثبت لهم أنَّه هو، أمَّا اتِّساع حجم القبر فهو لأنَّه كان لرجل ثريٍّ ولن يقبل أنْ يكون قبرُه صغيرًا، بل سيختار قبرًا واسعًا يضم جميع أفراد عائلته، فهو لا يتعلَّق بحياة يسوع في القبر، وكان من عادة الناس قبلًا وضع الموتى في كهوف، وأمَّا عن تحرُّك الحجر فقد حرَّكه مَلِك الرب عندما حضرت مريم المجدلية أو شخص آخر، حضر ملَك عظيم وحرَّك الحجر، فاهتزَّت الأرض

وسقط الجنديان مغشيًّا عليهما من شدة الخوف، فكان دحرجة الحجر وإزاحة الكفن لإثبات أنَّ يسوع ليس في القبر، وأمَّا آية يونان فلم يقل المسيح إنَّه سيدخل بطن الحوت، وإنَّ الحوت سيبتلعه، وإنَّه سيبقى «٣» أيام في البحر، بل قال إنَّه سيبقى «٣» أيام في بطن الأرض، ومذكور في الكتاب المقدس أنَّ يسوع قام في اليوم الثالث، ولم يحدد أنَّ اليوم «٢٤» ساعة، بل ذكر أنَّه سيقوم في اليوم الثالث، ولم يذكر الساعة التي قام فيها بالضبط، فكل ما وصلنا أنَّه في الصباح الباكر لم يكن موجودًا.. ثم أشار القس «روكني» إلى أنَّ رؤية المسيح بعد قيامته من الموت شرفٌ لن يناله الجميع، وإنَّما كانت تلك الرؤية امتيازًا للذين آمنوا، وكان عددهم «٥٠٠»، من بينهم الحواريون الـ «١٢» و«٢١» آخرون، أمَّا باقي الأمة اليهودية فإنَّها لم تتشرَّف برؤيته بعد القيام بسبب كفرها وخيانتها ورفضها لتعاليم الرب، لذا طلب «روكني» من الحضور ألَّا يكونوا من قساة القلوب وألَّا يسيروا على درب الكافرين، لأنَّ الرب سيكشف لهم عن نفسه إذا ساروا في طريق الإيمان، وإذا ظلوا يجادلون كما فعل اليهود فسيكونون مطرودين منبوذين.

* * *

عودًا على بَدء...

لم يتناول القس «روكني» بالتعليق سوى القليل من النقاط الـ «١٤»، مع أنَّ تناوله لها ليس صحيحًا في العقل والمنطق، ويظهر منه الهروب من الأجوبة الدقيقة إلى الكلام العام الذي لا يفيد، ففيما يتعلق بتعريف «القيامة» وتنكيرها

فلا يهمُّ إنِ اتَّفق القس مع القاموس أو لم يتَّفق، بل المهم أنْ يتَّفق مع ما جاء في الكتاب المقدس الذي يؤمن به، يقول «بولس» في رسالته إلى أهل «كورنثوس» في الإصحاح «١٥»، العدد «٤٤»: «إنَّ الأجساد التي تقوم تصبح روحانية»، ويقول المسيح في كتاب لوقا، الإصحاح «٢٠»، العدد «٣٦»: «إنهم مثل الملائكة، وهم أبناء الله، إذْ هم أبناء القيامة»، فهل تؤمن بالمسيح -عليه السلام- أم لا؟ يقول المسيح إنَّه لكي يقوم من الموت لا بد أنْ يكون روحًا لا شخصًا حيًّا، والـ «١٤» نقطة التي ذكرتها تثبت أنَّه كان حيًّا، قال القسُّ إنَّ الوصايا مسمَّرة في الصليب، من قال ذلك؟ الذي قال هو بولس في رسالته إلى أهل «كولوسِّي» في الإصحاح «٢»، العدد «١٤» التي تناقض تعاليم المسيح، فالمسيح يقول في كتاب متّى، الإصحاح «١٩»، في العددين «١٦-١٧»: «إنْ أردتَ أنْ تدخل الحياة فاحفظِ الوصايا»؛ أي: إنَّ النجاة بحفظ الوصايا، بينما ورد عن بولس أنها مسمَّرة على الصليب، والنقطة الثالثة فقد علَّق القس على عدم وجود آية صريحة تتحدَّث عن قيامة المسيح من الموت أنَّ هناك الكثير منها في الكتاب المقدس، واقتبس من كتاب متَّى، الإصحاح «٢٨» العدد «٦» الذي يقول: «ليس هو ههنا، لأنَّه قام» كما قال: «هلمَّا انظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعًا فيه»، لقد وردت كلمة «قام» التي تعني النهوض والاعتدال واقفًا وليس البعث من الموت، فالإنسان ينام ويقوم وهكذا، لقد قال القس في محاضرته إنَّه أنقذ فتاة صغيرة كانت مَيْتة -حسب ادِّعائه- وتمكَّن بدعاء المسيح أنْ يحييَها، فهل بُعثت الفتاة أيها القس؟ لا، لقد أُنعشت، وكذلك المسيح لم يُبعث

ولم يقم من الموت على الصليب، بل أُنعِش، والنقطة الرابعة تحدث فيها القس عن أنَّ المسيح اخترق الجدران، واللافت للنظر أنَّ ذلك لم يرد في الكتاب المقدس، وإنَّما هو افتراض، فمن أين أتى به؟! وقال القِسُّ إنَّ المسيح أرى يدَيه ورجلَيه للحواريين ليريهم الثقوب، من قال ذلك؟!، لم يقل الكتاب المقدس ذلك على الإطلاق، الذي قاله هو القِس، فالذي في كتاب لوقا، الإصحاح «٢٤»، العدد «٣٧»: «انظروا يديَّ ورجليَّ، إنِّي أنا هو، جسُّوني، وانظروا، فإنَّ الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي»، لم يقل الكتاب المقدس إطلاقًا: انظروا إلى الآثار في يدي إنَّها آثار الصليب، وعبارة الكتاب المقدس واضحة لا لبس فيها، ولا تحتمل مطلقًا إلَّا أنَّه يريد أنْ يثبت لهم أنَّه هو المسيح وليس روحًا، ليثبت لهم أنَّه لم يقُم من الموت، وأما عن قبر الرجل الثري اليهودي «يوسف الرامي» فقد ذكر ذلك «د. ذاكر» في المحاضرة، فهو ليس فتحًا ولا استدراكًا من القس «روكني»، لكنَّ كان على «د. ذاكر» أنْ يُعقِّب على قول القس بتوضيح سبب اختيار هذا القبر بالذات، وإلَّا كان بإمكانهم اختيار أي قبر ذي مساحة طبيعة، وأمَّا عن دحرجة الحجر، فقد قال القسُّ إنَّ ملَك الرب دحرجه، ولكنَّ «د. ذاكر» لم يسأل: من دحرج الحجر؟ وإنَّما: لماذا تدحرج الحجر؟ وكان جواب القس ليرى الجميع أنَّ المسيح ليس في القبر، فإنْ اتَّبعنا أسلوب الموافقات في دحرجة الحجر فلماذا كان الكفن مفكوكًا؟ حيث ورد ذلك في إنجيل مرقس، الإصحاح «٢٠»، والإصحاح «١٦»، ولا يوجد إجابة عن السبب، وما ذلك إلَّا لأنَّ الشخص الذي داخل الكفن كان حيًّا، وفَكَّ الكفنَ ودحرج الحجر حتى

يخرج، وأمَّا عن معجزة يونان فقد افترى القس كعادته في الهروب وقال إنَّ المسيح لم يذهب إلى الحوت، فهل ذكر «د. ذاكر» أيَّ شيء بهذا الخصوص؟ لا لم يقل، وإنَّما الحديث كان عن الأيام الـ «٣» والليالي الـ «٣»، وكلام المسيح واضح في إنجيل متى، الإصحاح «١٢»، الأعداد «٣٨-٣٩-٤٠»: «كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ هكذا يكون ابنُ الإنسان في قلب الأرض ثلاثةَ أيام وثلاثَ ليالٍ»، لم يقل المسيح ولا «د. ذاكر» إنَّه سيبقى في بطن الحوت، لكنَّ القس خبَط خبْط عشواء عندما لم يجد إجابة، وأمَّا عن مسألة الوقت فلنفترض جدلًا أنَّ اليوم لا يعني بالضرورة «٢٤» ساعة، وبغض النظر عمَّا إنْ دخل القبر في وقت مبكِّر وخرج في وقت متأخر، وبغض النظر عن احتساب جزء من اليوم يومًا كاملًا، فلو قلنا إنَّه خرج في اليوم الثالث حتى إنْ كان صباحًا وحسبنا هذا اليوم مع اليومين السابقين بغض النظر عن دخوله القبر في اليوم الأول الذي لم يكن من بدايته، ولكن حسبناه يومًا كاملًا، فهذه ثلاثة أيام، ولكن يبقى السؤال: أين الليلة الـ «٣»؟، وكلام المسيح واضح جدًا في الإنجيل: (كما كان يونان في بطن الحوت «٣» أيام و«٣» ليالٍ هكذا يكون ابنُ الإنسان في قلب الأرض «٣» أيامٍ و«٣» ليالٍ)، ومهما حاولنا اختراع طرق للحساب والتلاعب بالأرقام فلن يكون عندنا أكثرُ من ليلتين، تلاعبنا بعدد الأيامِ عندما جعلنا جزءًا من اليوم الأول الذي دخل فيه القبر يومًا كاملًا، وتلاعبنا عندما جعلنا جزءًا من اليوم الثالث الذي خرج فيه يومًا كاملًا، لكن من المستحيل الوصول إلى «٣» ليالٍ.. والنقطة الأخيرة التي تناولها القس هي تأكيده أنَّ أحدًا لم يرَ المسيح -عليه

السلام- حيًّا، وهو ما أثبته «د. ذاكر» في محاضرته، فلم يأتِ القس بجديد، وعودة إلى تعريف قاموسَي «أوكسفورد» و«ويبستير» وما قاله بولس الذي يتفق معه المسيحيون فإنَّ حادثة الصلب لم تقع، ولذلك لم تقع قيامة المسيح أيضًا.

هكذا رد «د. ذاكر» كلَّ ردود القس وأبطلها وأظهر ضعفها، ثم عقَّب على ما جاء في محاضرة القس حيث قال: إنَّ آدم وحواء -عليهما السلام- عصيا الرب وأكلا من الفاكهة التي حرمها الله عليهما، ولهذا استحقَّا العقاب، وبناءً على هذا -كما يقول القس- فقد طردهما الله من الجنة، ولكنَّه نسي أنْ يذكر المرجع وهو سفر التكوين، الإصحاح «٣»، العدد «١٦» الذي ورد فيه أنَّ الرجل سيتعب في العمل، وأنَّ اشتياقَ المرأة يكون لزوجها، وستُكابد آلام الحمل والولادة؛ أي: إنَّ الحمل لعنةٌ في نظر الكتاب المقدس! ثم يدَّعي المسيحيون أن الأطفال منذ أيام آدم وإلى آخر طفل منهم إنما يولدون على الخطيئة، والسؤال: ما صِلة الأطفال حتى يُولدوا على الخطيئة؟ فهذا لا يمتُّ للمنطق بصلة، وذلك أنَّ الله لا يمكن أن يكون غير عادل فيحمِّل من لا ذنب لهم ذنبَ غيرهم، ثم يقول المسيحيون إنَّ الربَّ أرسل ابنَه الوحيد ليموت ويمحو خطايا أتباعه، والآن سنرى التناقض في الكتاب المقدس حول هذه النقطة، فالمبشِّرون يقولون: إنَّ النفس التي تخطئ لا بدَّ أنْ تموت»، وقد ورد مرتين في العهد القديم في سفر حِزقيال، الإصحاح «١٨»، العدد «٢٠»، والعدد «٤»: «النفسُ التي تخطئ هي تموت»، لكن علينا أنْ نكمل الآية في العدد «٢٠» لأنَّ القس قرأها ناقصة، واستنتج منها أنَّ كلَّ مولود يولد على الخطيئة، ما حتَّم علينا أنْ نؤمن بالصلب حتى تُمحى الخطايا للوصول

إلى الفوز والنجاة، تقول الآية بتمامها: «النفسُ التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحملُ من إثم الأب، والأب لا يحملُ من إثم الابن، برُّ البارِّ عليه يكون، وشرُّ الشرير عليه يكون»، ولو أكملنا القراءة في الآية «٢١»: «فإذا رجعَ الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كلَّ فرائضي وفعل حقًّا وعدلًا فحياةً يحيا لا يموت»، هذا لم يقله «د. ذاكر» من عنده، وإنَّما اقتبسه من الكتاب المقدس، يخبرك المسيح أنَّك إذا أردت النجاةَ فعليك اتِّباع الوصايا والقوانين، في حين يقول بولس: «وإنْ لم يكن المسيحُ قد قام فباطلةٌ كِرَازتُنا، وباطلٌ أيضًا إيمانُكم»، وفوق هذا نوَّه «د. ذاكر» إلى نقطة مهمة هي أنَّه ليس جميع المسيحيين يؤمنون بموت المسيح على الصليب، فهناك علماءُ متخصِّصون في الكتاب المقدس يقولون إنَّه عُلِّق، ولكنَّه نزل حيًّا، وفي بداية ظهور المسيحية كان هناك ما لا يقل عن «٧» طوائف تؤمن بأنَّ شخصًا آخر صُلب عِوضًا عن المسيح، وهذا ما يُعرف بـ «نظام البديل»، مثل أتباع «باسيليدس» الأوائل، وأتباع «كربوقراط» والناصرة، و«الكورنثيين»، وثمة شاهد آخر هو القس «برنابا» الذي كان معاصرًا للمسيح وأحد الشهود العِيان حيث يقول: «إنَّ يهوذا هو الذي صُلب وليس المسيح» وهذا ما يُنكره القس «روكني» وغيره، وكذلك من يقرأ مخطوطات «نجع حمادي»[1] يعلم أنَّ المسيح لم يُصلب. وكانت لفتة ذكية من «د. ذاكر» أنَّه لم يذكر هذه المعلومات في محاضرته واكتفى بإبطال الادِّعاء بصلب

---

(١) في صعيد مصر، وقد عُثر على المخطوطات سنة «١٩٤٥م»، وتتألف من «١٢» بُرديَّة.

المسيح مما يؤمن به القسُّ حتى لا يأخذ عليه نقطة بأنه لا يؤمن بما جاء في إنجيل «برنابا» ولا بمخطوطات «نجع حمادي»، لذلك أثبت بطلان الصلب من الكتاب المقدس الذي يؤمن به القس ويدافع عما جاء فيه.

وثمة أمر واضح لا لبسَ فيه يدحض ادِّعاء المسيحيِّين أنَّ المسيح ماتَ فداءً لخطايا أتباعه عن طيب خاطر، وهو ما جاء في كتاب متَّى، الإصحاح «٢٧»، العدد «٤٦»، وكتاب مرقس، الإصحاح «١٥»، العدد «٣٤» عندما وُضع المسيح على الصليب صرخ قائلًا: «إيْلاي إيْلاي لِمَ شَبقْتَنِي؟»؛ أي: «إلهي إلهي لِمَ تركتني؟» فهل يُفهم من هذه الاستغاثة على أنَّ المسيح قد قدَّم حياته طواعيةً؟ لا، إنَّ هذا يدل على أنَّه عُلِّق على الصليب بالإكراه، وليس بمحض إرادته، ولو قرأنا الكتاب المقدس بأي لغة كُتب فيها فالأمر نفسه، لأنَّ الجملة العبرية «إيْلاي إيْلاي لِمَ شَبقْتَنِي؟» واضحة المعنى، وبناءً على كلِّ هذه التناقضات فإنَّ المسيح -عليه السلام- لم يُصلب.

***

نبيٌّ لا إلهٌ

يذهب المسيحيون إلى أن السيد المسيح -عليه السلام- إله، وربما ظنَّ بعضهم أنَّ في القرآن ما يدعم التحريف الذي وقع في الإنجيل، فيقولون إنَّ القرآن يقول إنَّ عيسى هو كلمةُ الله -سبحانه و تعالى-، وكذلك هو روح الله، مما يدل على ألوهيَّته، وفي الحقيقة فقد جانب الصواب أولئك لأسباب كثير منها:

١- عيسى -عليه السلام- هو «كلمة من الله» و ليس «كلمة الله»، فقد قال القرآن: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمرن: ٤٥]، فالإشارة إليه على أنَّه كلمة من الله، و ليس كلمة الله، و«كلمة من الله» تعني: رسالة من الله، أي: هو رسول الله أو نبي الله.

٢- إنَّ اللقب الذي يُطلق على أحد الأنبياء لا يعني أنه مقصور على ذلك النبي، لقد أطلق الله -تعالى- ألقابًا مختلفة على بعض الأنبياء، إلَّا أنَّ هذه الألقاب لا يعني أنَّها غيرُ موجودة في الأنبياء الآخرين، وأنَّهم لا يحملون تلك الخصائصَ والصفاتِ، فعلى سبيل المثال قد وصف الله -تعالى- النبي إبراهيم -عليه السلام- بأنَّه «خليل الله»، ولكنَّ هذا لا يعني بأيٍّ حال من الأحوال أنَّ سائر الأنبياء ليس فيهم من هو خليلُ الله، وبالمثل فعندما أشار القرآن الكريم إلى عيسى -عليه السلام- بأنَّه «كلمة من الله» فهذا لا يعني بأن سائر الأنبياء ليسوا كلمةً من الله، فـ«يوحنَّا المعمدان» -عليه السلام- أيضًا جاء ذكره في القرآن الكريم على أنَّه كلمة من الله، حيث يقول الله -تعالى-: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٨-٣٩].

٣- عيسى عليه السلام «روح من الله»، وهي كسابقتها، يقول الله -تعالى-: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى

ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

٤- جاءت الإشارة بـ «روح من الله» مع غير المسيح -عليه السلام، إنَّ الإشارة إلى السيد المسيح -عليه السلام- بأنَّه «روح من الله» لا تدل على أنَّه هو الله أو أنَّه إله، فوفقًا للقرآن الذي ادَّعى بعضهم أنَّه يدعم أنَّ المسيح إله قد ذكر في أكثر من مكان أنَّ الله نفخ من روحه في البشر، يقول الله -تعالى-: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، ويقول: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩].

فوفقًا لهذا فإنَّ دعوى وصف المسيح -عليه السلام- بالأُلوهية في القرآن الكريم دعوى باطلة، لا أساسَ لها من الصحة.

* * *

خُزامى الملك فيصل

بعد معركةٍ طويلة من الكفاح والعمل الدَّؤوب والشغلِ الشاغل الذي لا ينقطع عنه في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين لا يزال يقوم على فِكرة وقَّادة، وينام وهو يحلُم بيوم جديد فيه دعوة إلى الله، وخدمة للإسلام، حتى وصل به الأمر في سنواته الأخيرة إلى الاكتفاء بالنوم لثلاثِ ساعات فقط، فكرَّس وقته وماله وأهله جميعًا للدعوة، وترك مهنة الطبِّ في سبيل ذلك، فألقى محاضراتٍ ربما تجاوزتْ حدود الألفي محاضرة حتى الآن، وناظر أهل الأديان والملحدين، وعمل على إنشاء قناة دعوية خاصة «Peace TV» تبثُّ عبر عِدَّة أقمار وبعِدَّة لغات، يشاهدها الملايين في مختلف أصقاع العالم، همُّها نشر الدعوة الإسلامية والمنافحة عنها، وإبطال الأغاليط التي يُلصِقونها بالإسلام، وتفنيد الدعاوى الباطلة ضدَّه، ونشر المحاضرات والمناظرات لإيصال رسالة الإسلام إلى أرجاء العالم، وأنشأ أيضًا مؤسَّسة كاملة للبحوث الإسلامية تُعنى بكلِّ ما من شأنه خدمة الإسلام والمسلمين، كما أنشأ سلسلة من المدارس الإسلامية بدأتْ في الهند أولًا ثم كثُرت في عدد من البلاد العربية والإسلامية، كان الهدفُ منه إخراجَ جيل من الشباب المسلم الواعي الدَّاعي إلى الله، إلى جانب تدريس المناهج الحكومية المعتمدة، وقد فتح الله له من فضله الواسع أنْ دخلتْ أعدادٌ لا حصر لها من الناس في دين الإسلام، وصار «د. ذاكر» أشهر الشخصيات الدعوية

الناطقة بغير العربية، ويُعدُّ مرجعًا كبيرًا في مقارنة الأديان التي لم تقتصر على دِين واحد، إنَّما امتدت لعدة أديان كالمسيحيَّة واليهوديَّة والهندوسيَّة والزرادشتيَّة والبوذيَّة والسيخيَّة، وغيرها، فلأجل كلِّ هذا نال «د. ذاكر» ثقة المؤسسات الدينية التي ترعى الجوائز، إذ حصل على لقب «شخصية العام الإسلامية» عن عام «٢٠١٣م»، وتمَّ تكريمه في جائزة دبي للقرآن الكريم في الإمارات العربية المتحدة لجهوده الكبيرة في خدمة الإسلام، وبعدها بسنتين عام «١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م» في «قاعة الخزامى» بفندق الفيصلية في العاصمة السعودية الرياض وبحضور عدد من الشخصيات الكبيرة تمَّ تكريمُه من قبل الملك سلمان بن عبد العزيز، لحصوله على «جائزة الملك فيصل» لخدمة الإسلام، وعندما جاء دور «د. ذاكر» في الحديث أوقف تلك الجائزة البالغة «٢٠٠٠٠٠» دولار على العمل الدعوي إلى الإسلام، غير أنَّ هذه الجائزة لم تَرُق للقلوب الحاقدة التي رأت فيه خطرًا داهمًا على مجتمعاتهم التي يسيطرون عليها، فشنَّت بعض الجهات هجومًا عليه وعلى الملك سلمان لأنَّه كرَّمه بهذه الجائزة، وذلك لأنَّه لم يُذعِن إليهم وينشر الإسلام الذي أراده الغرب، ولا سيما أنَّه اتَّهم إدارة جورج بوش الابن بافتعال هجمات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، ووصفَ أمريكا بأنها راعية للإرهاب، ودافع عن حقِّ الفلسطينيين في الحرية والانعتاق من الاحتلال الصِّهْيَوني، وبعد أنْ حصل على هذه الجائزة كرَّمه تلفزيون السلام أيضًا بحضور «د. عبد الله بن عبد المحسن التركي»، الأمينِ العام لرابطة العالم الإسلامي، وعدد من الشخصيات الإسلامية، كما حصل على العديد من الجوائز من ماليزيا والشارقة

وغامبيا وغيرها، والجدير بالذكر أنَّ «د. ذاكر» لم يكن همُّه الجوائزَ والشهرة بقـدر ما كان حريصًا على نشر الإسلام وإبرازه على وجهه الصحيح.

* * *

أنت مسلم.. إذاً أنت إرهابي

لا تزال السهامُ المسمومة تتراشق منتظمة وكيفما اتَّفق وفي كل الاتِّجاهات مادام الهدف هو الإسلام، والهدف هذه المرة شخصية لها مكانتُها المرموقة بين المسلمين والزعماء الروحيين، لذا انهالت عليه اتِّهامات كثيرة بأنَّه «داعية الكراهية» و«عرَّاب الإرهاب»، وسارعت كثيرٌ من الدول من تلك التي تدَّعي الحرية و«الديموقراطية» إلى منعه من دخول أراضيها، وما ذلك إلَّا لأنَّه يصدح بالحق، ويُعلي راية الإسلام، ويدخل على يديه الإسلام آلاف البشر في كل عام، يحاربون رجلًا يقول: «ربيَ الله»، وصار شمَّاعة يعلِّقون عليها كلَّ عمل إرهابي ظنًّا منهم أنَّهما يحاصرون الإسلام مستغلِّين كلَّ كلمة يمكن أن يُحرِّفوها عن مسارها ليقولوا لكل مسلم: «أنت إرهابي»، فيُعمِلون أدواتِهم الدنيئةَ وأقلامَهم الرخيصة المأجورة لينالوا من الإسلام.

- إذا أُعجبتَ بوَردةٍ ما ثم سلكتَ طريقًا خاطئًا فلا بدَّ للإعلام الذي يكرهك أنْ يقول: لا بدَّ أنَّ الرائحة التي خرجت من الوردة ذاتُ أثر خطير جعلت هذا الرجل يفقد توازنَه، ويسلك سبيلًا غيرَ سبيل الهدى، وهذا حال «د. ذاكر»، لقد أمضى ردحًا طويلًا من الزمن يبيِّن للناس الإسلامَ الحقيقي بعيدًا عن التشويه، ويزيل من رؤوسهم فكرة التطرُّف، إذا به يُتَّهم بالإرهاب لأنَّ بعض الأشخاص المطلوبين للعدالة كانوا من المعجبين به، حيث أُلقي القبض على «نجيب الله

زازي» الأفغاني/ الأمريكي الذي أُلقي القبض عليه لأنَّه كان يخطط لنسف مترو في نيويورك ، و«د. كفيل أحمد» من «بنغالور» في الهند الذي اقتحم بسيارته التي أثقلها بالمتفجِّرات مطار «غلاسكو»، وأمَّا الثالث فهو «راحيل شيخ» من مومباي، المتَّهم بحادثة تفجير القطارات التي حدثت في «١١» تموز/ يوليو «٢٠٠٦م».. والسؤال: ما صلة «د. ذاكر» بأفعال هؤلاء!!، إنَّه على النقيض من ذلك، فإنَّ كثيرًا من الشباب قد اتَّجه إلى الإسلام الصحيح وترك ما في رأسه من أفكار غير صحيحة، وأخذ يعمل على نشر السلام في كل مكان بعد أنِ استمع إلى محاضرات «د. ذاكر».

***

«على كلِّ المسلمين أن يكونوا إرهابيِّين!»

ما أكثر ما دندنَ الإعلام الفاسد الحاقد بهذه الجملة التي اقتطعُوها من إحدى محاضرات «د. ذاكر» التي قدَّمها عام «٢٠١٠م»، وأخرجوها عن سِياقها ليسوِّقوها على أنَّها دعوة للإرهاب، ولتكونَ حُجة باطلة تذرَّعت بها بريطانيا وكندا عام «٢٠١٠م» لمنعه من دخول أراضيها، وتبعتْها دول أُخرى، ثم لتعترضَ الولايات المتحدة الأمريكية وتشنَّ هجومًا عليه وعلى المملكة العربية السعودية التي منحته جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام عام «٢٠١٥م»، وعادة ما كانت الجدَّات تقول لكلِّ من يدَّعي ما لا يحسنُه ويكذب على الناس: «هذا السَّاحْ، وهذا الميدانْ»، هذه ساحة المعركة فأرِنا أفعالك وشجاعتك، وهكذا قال

لهم «د. ذاكر»، فهذه محاضراتي كلُّها، مسموعة ومرئية، فأروني كيف قلت: «على كلِّ المسلمين أن يكونوا إرهابيين»، هل كانت دعوة مطلقة؟!، لقد اقتطعوا هـذه العبارة من سياق آخر كان يتحدث عن محاربة تجَّار الـدماء والقتَلَـة والسَّـفَّاحين والإرهابيِّين وكـلِّ مـا مـن شـأنه أن يُعـادي المجتمـع ويهلـك الحـرثَ والنسـلَ وتخويفهم وإيقافهم عند حدِّهم، حيث يقول عن أمثال هؤلاء: «إذا كان يُرهـب الإرهابيين.. إذا كان يُرهب أمريكا الإرهابية.. الإرهابيَّ الأكبر.. فإنَّه ينبغي لكل مسلم أنْ يكون إرهابيًّا».. وبناءً على تعاليم الإسلام الحنيف فالمسلمون أَولى مـن غيرهم بمحاربة هؤلاء وإيقافهم، والضرب بيد من حديد لإرهـابهم وإخـافتهم حمايةً للمجتمع وصيانةً لأعراض الناس، فإذا كان مفهوم الإرهاب هكذا «فعـلى كلِّ المسلمين أنْ يكونوا إرهابيِّين»، غير أنَّ القلوب الحاقدة المغتاظة استغلَّت هذه النقطة ونشرت من خلالها سمومَها، لم يكن الهدف ما يدَّعي هؤلاء، وهم أعرف الناس بما تضمر قلوبُهم وهو ما لا يظهر على ألسـنتهم، لم يكـن هـذا الهجـوم إلَّا لأنَّ «د. ذاكر» قد كان جبلًا منيعًا في وجوههم، واستطاع ببراعة المحارب المقدام أن ينافح عن الإسلام، فهدم مشروعَهم، وكسر شوكتَهم، واستطاع بريشة المبدع الرسَّام أنْ يرسم اللوحة الجميلة الحقيقية للإسلام التي ربما لم يبلُغْهـا، واسـتطاع بصوت أعذب المنشدين أنْ يسكُب أنغام الإسلام العذبة بدلًا من قعقعة السلاح التي صدَّع بها الغرب آذانَ الناس، لقد كشف الغطاء عن عيون الناس، فأدخلهم في دين الله أفواجًا، شنُّوا هجومًا لاذعًا لأنَّ كثيرًا من أصحاب الديانات المختلفة تركوها واعتنقوا الإسلام، شنُّوا هجومًا لاذعًا لأنَّ كثيرًا من الأوربيين الملحدين

عرفوا الإسلام فاعتنقوه، شنُّوا هجومًا لاذعًا لأَنَّه وصَّف الواقع الذي تعيش بـه أمريكا على حقيقته عندما قال إنَّ الصهاينة يتحكَّمون في أمريكـا، وإنَّـه لا يـبرِّئ الإدارة الأمريكية من افتعال هجمات الحادي عشـر مـن أيلول/ سـبتمبر، شـنُّوا هجومًا لاذعًا لأَنَّه شدَّد على أنَّ ارتداء النساءِ الملابسَ القصيرة المثيرة هي بمنزلـة دعوة للرجال الوقحين للتحرُّش بهنَّ، قد تصل هذه الـدعوة حـدَّ الاغتصـاب، وأنَّ الرجل لا يتحمَّل المسؤولية وحدَه عن هذا، إنَّما المرأة بـما تلبسُـه مـن قصـير مُغرٍ، وبما تقوم به من حركات تتحمَّل المسؤولية أيضًا، شنُّوا هجومًا لاذعًا لأنـه عرَّى مطامعَهم على رؤوس الأشهاد، لم يكن هجومُهم عليه لأيِّ سبب آخـر إلَّا ما دار في فلك الأسباب السابقة التي يعرفها الكبـير والصـغير. إنَّ الـذي ينتقـد الإرهاب ويحاربُه بصدق ويبيِّن للناس حكـم الإسـلام فيـه لا يمكـن أنْ يكـون إرهابيًّا، لقد انتقد بشدَّةٍ كلَّ عمل إرهابي بما في ذلك أحداث الحادي عشـر مـن أيلول/ سبتمبر، وغيرها، لكنَّ وسائلَ الإعلام تريد أنْ تسيء للإسلام فقط حتى تمنعَ انتشاره، هذا ما يريدون، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُـورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصـف: ٨]، فرغم محاولة هؤلاء لتعظـيم وتضـخيم موجـة الكراهية للإسلام إلَّا أنَّ السحرَ انقلب على الساحر، فقد دخل في الإسلام بعـد أحداث أيلول/ سبتمبر حتى تموز/ يوليو ما يقرب من «٣٤» ألف أمريكي..

– اعتاد «د. ذاكر» على زيارة بريطانيا وإلقـاء المحـاضرات، غـير أنَّ إرهاصـات الانتقام من هذا الرجل والتخلُّص منه بدأت في آب/ أغسطس، عـام «٢٠٠٦م» عندما كان د. ذاكر يشارك في المؤتمر الذي عُقد في «كارديف» حين انبرى أحـدى

أعضاء البرلمان الويلزي «ديفيد ديفيز» للمطالبة بإلغاء مشاركة «د. ذاكر» في المؤتمر، تحت غطاء أنَّه محرِّض على الكراهية والعَداء، وأنَّ أفكاره لا تستحقُّ توفير منصَّة عامة لها، وفي الحقيقة إنَّ المنصة التي كان يريد منعها عن «د. ذاكر» لا لأنَّه يدعو إلى الكراهية بل لأنَّه ينشر الإسلام والسلام، وفي عام «٢٠٠٩م» أرسل رئيس وحدة مكافحة الإرهاب في لندن «تشارلز فار» شخصًا إلى «د. ذاكر» ليقول له: أنت لديك القدرةُ على الوصول إلى الناس، وتصلُ إلى ما لا نصل إليه، فهل تساعدُنا في إيصال رسالة السلام إلى المسلمين؟، فأجابه: أنا مستعدٌّ مقابل شرطَين: الأول ألَّا تطلب منِّي أنْ أفعل شيئًا ضدَّ القرآن والحديث الصحيح، والثاني ألَّا أتلقَّى أيَّ تمويل منكم، وذلك أنَّهم كانوا على استعداد لتقديم الأموال اللازمة. وبعد ذلك خسر «حزب العمال» في الانتخابات، وجاء «حزب المحافظين» بعد ذلك بثلاثة أسابيع فحسب، وكان أنِ اعتزم السفر إلى بريطانيا لإلقاء محاضرة جهَّز لها المنظِّمون كلَّ المستلزمات، حيث حجزوا مدرَّجات ملعب «ويمبلي» وساحة «شيفيلد»، و«NEC» في برمنجهام، إلَّا أنَّ «تيريزا ماي» التي لم يمضِ على تسلُّمها منصب وزيرة الداخلية سوى عدة أيام كانت تسعى لكسب تأييد شعبي بحُجة مكافحة الإرهاب لتظهر بصورة المرأة القوية التي تستحقُّ المنصب أصدرت قبل يوم واحد من سفره قرارًا بإلغاء تأشيرة الدخول لـ «٥» سنوات، وأخبروه أنَّه غير مرحَّبٍ به على الأراضي البريطانية! ليس فقط بحجة الترويج لأفكار إرهابية وتأجيج العنف وانتهاج سلوكيات غير مقبولة، وإنَّما لأمور أخرى رفضت أنْ تقدِّم أيَّ تفصيل عنها،

وتحدَّاها «د. ذاكر» بكشفهاَ لأنَّه يعلم أنَّها مفسلة، لا شيء لديها سوى لأنَّه ينشر الإسلام، حيث أُرسل القرار من بريطانيا إلى نائب المفوَّض السامي في «مومباي»، وظلت «تيريزا ماي» على موقفها هذا ولا سيما قبل وصولها إلى منصب رئيسة الوزراء خلفًا لـ «ديفيد كاميرون» في «١٣» تموز/ يوليو «٢٠١٦م»، لا عجبَ ممن سلَّ سيف الحقد والعَداء على المسلمين، وعملًا بأحكام القانون فقد شرع «د. ذاكر» ومنظِّمو المحاضرات برفع دعوى قانونية للطعن في القرار أمام المحاكم البريطانية، وفي محكمة النقض أكد القاضي أنَّ القضية رابحة بنسبة «٩٩,٩٩%» ولكنْ هيهات، لا يريدون النظر في حيثيات القضية، إنَّ عمل مثل هذه المحاكم يتوقَّف عندما يتعلَّق الأمر بالإسلام، لقد منعوه عندما استخدم كلمة «أبرياء» مع العراق وأفغانستان وفلسطين، وقال القاضي: يحقُّ للوزيرة أن تمنعَ من تريد دون تبرير، وعلى إثر ذلك فعلت «كندا» الفعل ذاتَه، وألغت له تأشيرة الدخول التي كانت صالحة لـ «٥» سنوات أيضًا، ولم تفلح الشكوى التي تقدَّم بها إلى المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان «ECHR» «European Court Of Human Rights»، فالأمر يتعلَّق بالإسلام، ويفهمون الإرهاب على طريقتهم لا على ما هو عليه.

لقد ظلَّ صامدًا كما كان من قبل ولا يزال واقفًا في ساحة المعركة، إذ ذات نِزال أدار ظهر فرسه الذي حَمْحم قليلًا وهو يرى سيِّد الرُّتب، جهيرَ الخُطب، صاحبَ المقام الأعلى رئيس الفاتيكان «البابا بنديكتوس السادس عشر» يلقي محاضرة في أيلول/ سبتمبر «٢٠٠٦م»، فدعاه للنِّزال أمام جمهور كبير، وحشد غفير في

ساحة عامة تُبثُّ علـى الأَثـير، ليراهـا الكبـير والصـغير، غـير أنَّ صـوتَه لم يلـقَ استجابة، حاله كحال شيخه من قبل «أحمد ديدات»، لقـد أحجـم كبـيرهم عـلى خوض هذا النزال الذي علم أنَّه لن يخرج منه كما يحبُّ ويشتهي، فلزم الصـمت، وآثر السلامة.

***

حيلة العاجز

تُفلس بعض العقول التي أفلست قلوبُها من قبلُ فتبدأ البحثَ عن طريقة أخرى للانتقام، فتكمُن في ليل مُعتم بَهِيم خلف مِتراس أسودَ تتكاثر عليه العفونة سنةً إثر سنة، تنتظر الفرصة السوداء لتنقضَّ وتنهال بالضربات، وهذا ما حصل عندما عجَزتْ حكومة الهند عن النيل من «د. ذاكر» لعدم قدرتهم على ربطه بالإرهاب وإيقافِ بسالته في أرض معركة المناظرات والمحاضرات، إذ حاولوا إلصاقَ تهمة الإرهاب به من خلال بعض المقاطع التي يعود بعضُها لـ «١٠» سنين واجتزؤوها من سياقها كعادة الإعلام، فلم يُفلحوا داخل الهند، وربَّما هالهم مَرْآه يُجندل الفارس تلوَ الفارس، لا يُوقفه لسان، ولا يُعجزه بيان، ولم يستطيعوا سدَّ آذانهم وقد وقف لهم في أعلى التلَّة مستلًّا دليلَه وبُرهانَه، قائلًا بأعلى صوته: «هل من مُنازل؟»، دون أنْ يجيبه أحد، الأمر الذي جعل شرطة مومباي تُصدر تقريرًا طويلًا ضد مدرسته الدولية، واتَّهموه بغسل أدمغة الطفال المسلمين لزرع الحقد والكراهية في نفوسهم، وتحريضهم ضد الديانات الأخرى، والذهاب بهم نحو أفكار التطرف.. ممَّا قد يتسبب بإلغاء ترخيص المدرسة من قِبل منظمة الشهادة العامة للتعليم الثانوي «igcse»، إضافة إلى فتح ملف له اتَّهموه فيه بغسل الأموال وحصوله على «٦٠» مليون روبية هندية من خارج الهند، وعلى وجه الخصوص من المملكة العربية السعودية.

- في الثالث من تموز/ يوليو عام «٢٠١٦م» كان مطعم «هولي أرتيسان بيكري» في العاصمة البنغالية «دكّا» على موعد مع تفجير كبير أسفر عن مقتل العديد من «٢٢» شخصًا بينهم ديبلوماسيّون، أكثرُهم من إيطاليا واليابان، حيث انسلَّ «٦» مسلَّحين إلى المطعم ونفَّذوا الهجوم في غفلة من رجال الأمن، ومن خلال التحقيقات تبيَّن أنَّ أحد منفِّذي الهجوم من متابعي «د. ذاكر» على الفيسبوك، وإنَّ غنيمة كهذه لن يفوِّتها الإعلام الحاقد، فوجدت السلطات البنغالية حُجة لحظر محطته الفضائية «Peace tv» التي مقرُّها مومباي، حتى لا يشاهدها رعاياهم في بنغلاديش، حيث روَّجوا أنَّ القناة تبثُّ محاضرات تحضُّ على الكراهية، وتؤدي إلى تطرُّف الشباب وعدم قبولهم الآخر، فأرجأ «د. ذاكر» عودته إلى الهند حتى يتبيَّن الحقُّ فبقي في المملكة العربية السعودية التي كان في زيارة لها. وبما أنَّه لكلِّ أجلٍ كتاب فقد جاءه الخبر الحزين وهو مُبعدٌ في «٣١ / ١٠ / ٢٠١٦م» حيث غادر والده «الدكتور عبد الكريم نايك» الدنيا إلى عالم البرزخ إثر إصابته بنوبة قلبية أدَّت إلى وفاته عن «٨٧» عامًا، لم يحضر الابن الجنازة، فتساءل عنه الجميع، فقيل: كان في المملكة العربية السعودية، في الوقت الذي نُقل عن «منصور سيخ» المتحدث الرسمي لمؤسسة البحوث الإسلامية أنَّ د. ذاكر نايك كان موجودًا في ماليزيا لإلقاء بعض المحاضرات، واضطروا لدفن والده نظرًا لضيق الوقت.

وبعد كلِّ هذا التربُّص عجَز من في قلوبهم مرَض عن أن يثبتوا عليه أيَّ تهمة تتعلَّق بالإرهاب، ولا سيَّما أنَّ كلَّ محاضراته مبثوثة على وسائل الإعلام، لجأ

المتربِّصون به إلى حِيل أخرى لإيقافه، لإيقاف نشر الإسلام والسلام، فتقدَّمت السلطات الهندية بمذكرة من الإنتربول الدولي في «١٢»أيَّار/ مايو «٢٠١٧م» تطلب من خلالها اعتقال «د. ذاكر» وتسليمه للسلطات الهندية، تحت ذريعة تورُّط مؤسساته الإعلامية والتعليمية في غسل الأموال والكسب غير المشروع، كان هذا في أثناء مكوثه في «جدة» في المملكة العربية السعودية، حيث طلبوا منه الحضور إلى الهند للتحقيق، لكنَّه رفض التحقيق السريَّ الذي يعرف ما سينتج عنه، وأراده تحقيقًا علنيًّا يراه كلُّ الناس، ويُبثُّ في كلِّ وسائل الإعلام، وهذا ما لم يوافقوا عليه لعلمهم بخسارتِهم في مثل هذا، إذ لا دليل ضدُّه، ولكنَّهم أرادوا اعتقاله لسنين على ذمَّة التحقيق كما فعلوا مع غيره، فمكث في جدَّة حتَّى حين، ثمَّ لم يغادرها إلى الآن، وقبل تفعيل هذه المذكَّرة من قبل الإنتربول الدولي عمدت بعض الدول -مع الأسف- على منع «د. ذاكر» من دخول أراضيها وإلقاء محاضرات، إنَّ تلك الشجرة العظيمة عصيَّة على معاولهم الصَّدِئة، ومهما حاولوا ضرب جذعها فإنَّه ممتدَّة في أعماق الأرض شامخةٌ برأسها تطاول السماء، فليفعلوا ما يريدون، فلن تزداد إلَّا عطاءً.. فإنْ كان العداءُ لا يزال مستمرًّا فالعَطاءُ لا يزال مستمرًّا.

* * *

اِيتُوني برأسه بـ «٢٠» مليونًا

لم تقتصر معاداة د. ذاكر على هؤلاء الذين ضيَّقوا عليه، ومنعوه من دخول

أراضيهم، وعملوا على محاكمته بتهمة الإرهاب، بل تعدَّى ذلك إلى أنْ تعلن جماعة «نمور الحسني» مكافأة مالية قدرها «١٥» مليون روبية لمن يأتي برأسه في السعودية، مدَّعين أنَّه أهان النبي –صلى الله عليه وسلم.

وبعدها بيوم أعلنت «سادفي بارتشي» زعيمة حزب «هندوتفا» الهندوسي من مدينة «روكري» التي تتبع ولاية «أوتاراكهاند» عن مكافأة مالية من نفقتها الخاصة، قدرُها «٥» ملايين روبية، لمن يقتُل «د. ذاكر»، ويقطع رأسه ويعلِّقه على شجرة، لأنَّه –وفق رأيها- ليس واعظًا دينيًّا، بل إرهابيٌّ.

***

هدف للهجوم

لا يخفى على كلِّ ذي لُبٍّ وفهم ما يتعرض له كلُّ من يتصدَّى لنشر الدين ودعوة الناس إلى عبادة الله من هجوم تتفاوت حِدَّته من نقد إلى المطالبة بالقتل، وحال «د. ذاكر» كحال غيره من الجبال الشامخة التي حاولوا هدَّها بما يستطيعون وما لا يستطيعون، فخابوا وخسروا، وليس الغريب أن يأتي الهجوم من أعداء الإسلام الذين هالهم ما لهذا الداعية من تأثير في أتباع الديانات الأخرى، حيث أسلم على يديه الملايين منهم، ولكن الغريب أن يأتيَ هذا من بعض المسلمين، ولا سيما من نصَّب نفسه «شيخًا» يدعو الناس إلى الإسلام، وحتى نحسن الظنَّ بهؤلاء أقول: إنَّ العجب يزول عندما يدرك المرء أنَّ هؤلاء لا يعرفون شيئًا عن منهج «د. ذاكر» في الدعوة وأسلوبه فيها، يصلهم أنَّ «د. ذاكر» قال كذا وكذا،

فيثورون ويفسِّقون ويقولون ما لا ينبغي قوله، فيكون حالهم كحال أعداء الإسلام الذين يقتطعون من كلامه جملًا، فيُخرجونها خارجَ سياقها، ويفسرونها على هواهم، حالهم كحال من يكفِّر من يقول: «لا إلهَ إلَّا الله»، لماذا تكفِّره؟ لأنَّه ينكر وجود الله، ألم تسمعه يقول: «لا إلهَ»؟، لكنَّك أغفلت «إلَّا الله».

فمن تلك الافتراءات من «غير المسلمين» ما نُسب إليه أنَّه يسبُّ الأديان الأخرى ويشوِّهها، بل يسبُّ جميع الأديان غير الإسلام، هذا ما روَّج له الإعلام الهندي كثيرًا حتى يُوقفه عن مسيرته الدعوية، ولكنَّني منذ تتبَّعت مسيرته الدعوة واستماعي للغالبية العظمى من محاضراته وفيديوهات الأسئلة والأجوبة وغيرها لم أجد أيًّا مما ينسبون إليه، وقد أوضح هو نفسه هذا بأنَّ كل ما أتَوا به إنَّما كان بإخراج الكلام عن سياقه، بل تحدَّاهم أنْ يأتوا له بعبارة فيها شَتم لذلك الدِّين أو تلك العقيدة، فهو ينطلق من قاعدةٍ واضحة هي قول الله -تعالى-: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وجميع الناس الذين يحضرون المحاضرات ولا سيما في فقرة الأسئلة والأجوبة التي تأخذ حيِّزًا أكبر من المحاضرة نفسِها يصفونه بأنَّه رجل منطقي، يحاور بالعلم لا بالسبِّ والشتم، وإلَّا لما أفلح فيما عزم عليه، وإنْ أُسِيء فهمُه فسرعان ما يوضِّح لهم الالتباس، ولكنْ لو استعرضنا ما اتَّهموه به فهو قوله: إنَّ الإسلام أفضل الأديان، فهم لا يريدون إلَّا أنْ يجعل باقي الأديان كالإسلام، إذًا لماذا كل هذا الحوار والدعوة والنقاش؟!، إنَّ كلَّ الذين جاؤوا إلى محاضراته يحملون في قلوبهم أنَّ دينهم أفضل الأديان، سواء اليهودية أو المسيحية أو الهندوسية أو

السيخية أو البوذية أو الزرادشتية.. ولهم الحقُّ فيما يرَون، أمَّا أن يعجَزوا عن إثبات ذلك من خلال تلك الكتب نفسِها فلا يتحمَّل «د. ذاكر» المسؤولية أبدًا، إنَّ كلَّ الذين خاض معهم مناظرات مثل: «د. ويليام كامبل» و«القس روكني» جاؤوا ليثبتوا أنَّ دينهم هو الأفضل، وعندما يدلي كلٌّ بدلوه ويُظهر حُجَّته الدامغة يترك القرار للجمهور دون أن يسبَّ هذا أو ذاك، وبالمقابل فإنَّ كثيرًا من الناس أو المناظرين فعلوا كما فعل تمامًا عندما وصفوا القرآن بأنَّ فيه تناقضاتٍ، هذه وجهة نظرِهم، وهو بدوره قال عن باقي الكتب المقدسة إنَّها تحوي تناقضاتٍ كثيرةً، وهذا هو سبب المناظرات والمحاضرات، وإلَّا فإنَّه لا فائدة من كل ما وقع منها، وعندما تصطدم العقول والحُجج والبراهين وينكشف المستور فإنَّهم يعجَزون أمام الحق، فيُبطل ما يدَّعون عن القرآن والإسلام، ويعجَزون عن حل الإشكاليات التي يخرجها من بطون كتبهم، إذا كتبتَ رسالةً ما وقرأها الآخرون، وقالوا لك إنَّ فيها الكثير من الأخطاء الإملائية والنحوية، ولا سيما أنَّك تدعو الناس إلى تمثُّلها فأين السبُّ والشتم في ذلك؟!.

* * *

طعن في قناته الإعلامية

ومن الادِّعاءات التي روَّج لها الإعلام أن قناة «Peace TV» التي يمتلكها ويشرف عليها وتبثُّ جميع محاضراته ومناظراته وتصل إلى الملايين من الناس غير قانونية، حتى ينفِّروا الناس من مشاهدتها، ولكنَّ الحقيقة غير ذلك، فلدى القناة

ترخيصان، وتبثُّ من دبي ومن لندن، وذلك أنَّ القناة تطبق كلَّ المعايير القانونية للبثِّ ولا تخالف أيَّ شرط منها.

* * *

الرِّقُّ العَبيد

روَّج الإعلام أنَّ «د. ذاكر» يشجِّع ويدعو إلى الاستعباد والعودة إلى نظام العبودية، حتى إنَّ إحدى المسلمات ذهبت إلى القول إنَّ «د. ذاكر» يساوي بين الزوجة والأَمَة «العَبْدة»، وكلُّ هذا ادِّعاء باطل لا صلة له بما قال، وفي الحقيقة فإنَّ بعض الأسئلة التي يطرحونها عليه تتعلَّق بهذا الخصوص، حيث ورد في القرآن «مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»؛ أي: إنَّ الأَمَة يمكن أنْ تُعامل كزوجة، ولكنَّ هذا النظام لا علاقة للإسلام به، لأنَّه نظام اجتماعيٌّ لا دينيٌّ، وقد كان قبل الإسلام بآلاف السنين، حيث كان المنتصر يأخذ السبايا ويستعبدهنَّ، وعندما نزل القرآن كان هذا النظام مستشريًا دون ضوابطَ، فوضع الإسلام له ضوابطَ حتى يخفِّف من وطأته ويحفظ الحقوق، ويمنع الزنى والفواحش، وشيئًا فشيئًا يتقلَّص هذا النظام، حيث وضع الإسلام كفَّارة لبعض الذنوب بإعتاق العبيد، وحضَّ كثيرًا على إعطاء الناس حرياتهم، أمَّا اليوم وقد انتهى هذا النظام فلم يكن «د. ذاكر» يدعو إليه، بل هو توصيف لما كان الأمر عليه في السابق.

* * *

هل أخطأ د. ذاكر «٢٥» خطأ؟

كغيرهم من أعداء الدِّين والنجاح كان هناك من يتتبَّع «د. ذاكر» وأحصَوا له كما زعموا «٢٥» خطأً، شاهدتُها كلَّها في فيديو منشور على اليوتيوب، وقد هلَّل بعض الليبراليين «الملحدين» العرب لهذا الاكتشاف الكبير الذي لا ينمُّ إلَّا عن جهل، وإنَّ كلَّ ما اكتشفه دماغهم العبقري كان هراءً لأنَّ همَّهم كان منصبًّا على تتبُّع السقَطات والعثرات، وقسم كبير مما جاء عندهم إنَّما كان بسبب ما كان من ثِقَل في لسانه، فكان له طريقة خاصة في نطق الأسماء، وقد لاحظتُ ذلك في أثناء نُطقِه لبعض أسماء العلماء المسلمين، ولو أنَّ هؤلاء أتعبوا أنفسهم قليلًا لعرفوا حقيقة الأمر، ولما أتعبوا أنفسهم أكثر في التتبُّع والاكتشافات المبهرة، ومن أمثلة ما أتى به هؤلاء أنَّ «دارون» كتب رسالة إلى صديقه «توماس ثومسون»، فاحتجُّوا أنَّ «دارون» ليس له صديق بهذا الاسم، لأنَّه نطقه «توماس ثومتون»، وما ذلك إلَّا بسبب اللسان، ومن أمثلة الأخطاء غير اللسانية أنَّهم اعترضوا على قول «د. ذاكر»: إنَّ الكنسية كانت ضدَّ العلم، فهي لم تكن يومًا ضدَّ العلم على حدِّ زعمهم، متناسين ما فعلوا مع «غاليليو» وغيره من العلماء من تعذيب وحشي وحبس وتضييق، ومنهاما ذكره «د. ذاكر» من أنَّ إنسان «نياندرتال» قد مات من «٤٠ - ١٠٠» ألف سنة، فاعترضوا أنَّ إنسان «نياندرتال» مات قبل «٣٠» ألف عام، ولا أدري أين البطولة في هذا، مع أنَّ «د. ذاكر» ترك هامشًا

لاختلاف التقدير بين العلماء، إذْ لا دليلَ قطعيًّا على التاريخ، وإنَّما كلُّها تقريبية، وبعض الافتراءات ناتجة عن عدم معرفة، فقد ادَّعوا أنَّه يذكر أسماء علماء لا وجود لهم، مثل «فرانك سالزبوري»، وبالعودة إلى عالم الإنترنت ومحرِّكات البحث نجده عالمًا مهتمًا بنظريات التطور، وله في ذلك أبحاث، و«د. ذاكر» ليس مسؤولًا عن جهل هؤلاء، وعلى هذا المنوال تسير كلُّ الملاحظات التي ليس لها أيُّ قيمة.

* * *

ادِّعاءات المسلمين

ضحكت كثيرًا عندما قرأت كلامًا لأحدهم يقول: (كثيرًا ما يتساءل الإخوة، وخاصة المسلمين الجدد عن «شخص يُدعى ذاكر نايك» يدعو إلى الإسلام ويناظر الكفَّار، ولكنْ على «جهل مركَّب عن حقيقة الإسلام»)، ثم قال: «إنَّ هذا الضائع يضخِّمُهُ أتباعه بشكل مضحك ويلقِّبونه ألقابًا مزوَّقة، ولكن ما هو إلَّا ضالٌّ مضلٌّ» ثم ساقُوا كثيرًا من الأمور الباطلة التي تنمُّ عن عدم فهم لما يدور حولهم، بل كانوا كـ «حَاطب ليل» لا يبصر أين تأتي فأسُه، يخبطون خبط عشواء في ليل أعمى، وإنَّ كلَّ ما جاؤوا به مردود، وكان الأولى بهم -سامحنا الله وإياهم- أنْ لو جمعوا تلك التي يدَّعونها ضلالاتٍ وانحرافاتٍ ووجَّهوها إليه ليردَّ عليها، ووفق حدسي لن يمانع «د. ذاكر» لو أنَّهم طلبوا مناظرة تكون هذه المرة «إسلامية - إسلامية» لإزالة الشبهات، سواء أكانت علنية أو غير علنية،

ونحن إذ نحسن الظنَّ بهم لخوفهم على دين الإسلام لكنَّنا نقول لهم: «ما هكذا تُورد الإبل»، ولا ننزِّه أحدًا من الأخطاء، وعلى مقولة الإمام مالك: « مَا مِنَّا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا ردَّ أو رُدَّ عَلَيهِ إِلَّا صَاحِبَ هَذا القَبْرِ»، وأشار إلى قبر النبي - صلى الله عليه وسلم -، إنَّها دعوة إلى الجماعة لا إلى التفريق، ولو تعثَّر «د. ذاكر» فعلًا وقوَّمتموه بها يخدم الإسلام بهذه الطريقة فالأجر من الله لا حدود له، أمَّا الهجوم والتفسيق والتضليل فليس من الخير في شيء، وقد وقعتم في الرجل وأذهبتم حسناتِكم، ولو نظرنا إلى الموضوع من وجهة نظر النتائج لعلمنا قدرَ الرجل وقيمتَه إذ أدخل في الإسلام الأعداد الغفيرة، وهذا ما لم يفعله أحدٌ منهم، سوى أنَّهم يتهجَّمون عليه، وإنَّ إدخاله الناس في دين الله أفواجًا هو السبب الذي جعل العالم يحاربونه، وما أظن أحداً فعل فعلَه في هذا الكمِّ الهائل من الناس الذين دخلوا الإسلام إلَّا الأعداد التي تستوفيها أصابع اليد، وبعد أن يُسلموا لم أجدْه يجبرهم على اتِّباعه هو حصرًا، وليس له أصلًا أفكار خاصة أو مذهب مستقلٌّ في الإسلام حتى نقول إنَّه ضالٌّ مضلٌّ يحرف الناس عن الإسلام، إنَّه يجذبهم إليه، ولو كانت نيَّته غير ذلك لما وفَّقه الله فيما أراده، وإنَّ كلَّ من قرأ تهجُّم هؤلاء وأمثالهم عليه قالوا: لو فعلوا عُشر مِعشار ما فعله فلهم الحق أنْ يتكلَّموا عليه، إنَّ عُشر المعشار كثير جدًّا.

تكمن المعضلة عند دعاتنا العرب أنَّهم يتَّجهون في دعوتهم إلى المسلمين، وهذا أمر جيد لتثبيت العقيدة وإيضاح ما يُشكل فهمُه، لكنَّهم غفَلوا عن المحيط الخارجي، وغفَلوا ما يحصل من تبشير ومحاصرة المسلمين، إنَّ بعضًا من

أصحاب المنابر ينصبُّ هجومُهم على المصلِّين في خطبة الجمعة، ثم إنْ كان له درس أكمل ما عزم عليه، كلُّ الشكر والتقدير والمحبة لأولئك الذين يجذبون الناس إلى الطريق القويم بأسلوب صحيح، فلهم أجرهم عند الله، ولكنْ.. هناك فئة من الناس وجَّهت دعوتَها إلى غير المسلمين ليقفوا في وجه الحملات المنظَّمة العالمية التي غفَل عنها غيرهم، فكانوا سدًّا منيعًا حَمَوُا الإسلام من أنْ يشوَّه فعقدوا المناظرات والمحاورات، ومنهم «د. ذاكر»، ولكنَّ الأمر المختلف الذي لم يدركه بعضُ من هاجمه هو الأسلوب الذي اتَّبعه في محاورة الخصوم، فلو ذهب أحد علماء المسلمين وظلَّ يقول لهم إنَّ القرآن يقول.. وإنَّ الرسول يقول.. وغير هذا فلن يأتي بشيء، ولن يُفلح، فماذا فعل؟.. لقد علَّمه أستاذه الشيخ «أحمد ديدات» –رحمه الله– من الانطلاق ممَّا يؤمنون هم به، لا بدَّ أنْ يبين لهم التناقضاتِ في كتبهم، وقد كان «د. ذاكر» يبيِّن الأسلوبين اللذين اتَّبعهما في ذلك: «أسلوب الموافقات» و«أسلوب المعارضات»، وكان يلجأ كثيرًا إلى أسلوب الموافقات القائم على افتراض صحة ما هو موجود في كتبهم المقدسة حتى يغوصوا معه، فإذا ما وصلوا إلى آخر النقاش وجدوا أنفسهم وحيدين في عُرض بحر خضمٍّ من التناقضات تتقاذفُهم أمواج الخيبة والخسارة، يبحثون عن طوق النجاة فلا يجدونه، وقد صرَّح في أكثر من مرة أنَّه لا يؤمن بتلك الكتب، وتصريحاتُه هذه مبثوثة في كثير من المقاطع المرئية، ولكنَّ أسلوب النقاش العقلي المنطقي الذي يؤمن به الخصوم هو الأسلوب الأنجعُ في قلبِ الطاولة على ما يحملون من عقيدة وأفكار، وإنَّ ما ذهب إليه في بعض الأمور إنَّما هو افتراض،

ولم يكن ليأخذ به لولا أنَّه وفق أسلوب الموافقات أدَّى إلى نتيجة مبهرة جدًّا تصبُّ في صالح الإسلام. وحتى لا نطيل فإنَّ ما وقعوا فيه بحق الشيخ موجود على «الشابكة» يمكن الرجوع إليه، لذلك أنتقي بعضًا منه، فمن النماذج ما قاله «د. ذاكر» متحديًا المسيحيين من أنَّه لا يوجد نصٌّ واضح جليٌّ في الإنجيل على أنَّ عيسى -عليه السلام- قال بنفسه إنَّه إله أو طلب أنْ يعبدوه، فقال «د. ذاكر»: أنا مستعد أنْ أقبل النصرانية مباشرة إن استطاع نصرانيٌّ أنْ يريَني آية من الإنجيل تقول إنَّ عيسى -عليه السلام- قال ذلك. وتأتي المفاجأة في الرد على هذا الكلام: «إذًا أنت مذبذبٌ لست على بصيرة من دينك، أنت متشكِّك إذ تقول إنَّك مستعد أنْ ترجع إلى النصرانية، افرضْ أنَّهم أتَوك بكتاب محرَّف..» بالله عليكم أقائل هذا الكلام يعرف شيئًا عن أسلوب المناظرات والمحاورات التي أكل بها الغربُ المسلمين قبل أنْ ينهض أساتذة «د. ذاكر» وهو من بَعدهم للرد عليهم بأساليبهم وإفحامهم بالحُجة والمنطق والدليل، وقد فهم الكثير حتى من العوامِّ المقصود من هذا، وهو أمر شائع سائغ بين الناس، وهو أسلوب الإعجاز الذي ينفي الشيء نفيًا تامًا، ويستخدمه الصغير والكبير، هو دليل على العجز التام الذي لن يتحقق، ممَّا يزيد الخصم حنقًا وغيظًا، وأمَّا أنْ يأتوه بكتاب محرَّف، فمن أين سيأتون به؟ غريب أن يخرج كلام كهذا ممن يدَّعي العلم! من أين سيأتون بكتاب كهذا وهو الذي يعرف عن كتبهم ما لا يعرفونه، وهو الذي يستشهد بها بالأرقام وهم ولا يستطيعونه، إنْ كان قد فنَّد كلَّ ما جاء في كتبهم الأصلية المقدسة من انحراف، التي هي عُمدة عقيدتهم فلن يعجز عن مَحْق أيٍّ

كتاب آخر على فرض أنَّه موجود، بل على العكس، إنَّه لمَطعنٌ كبير وخطأ جسيم لو فعلوها، ولكان صيدًا ثمينًا للدكتور ذاكر على أنَّ الذين ألَّهوا المسيح هم البشر، ولم يَرِد في الكتب الأصلية المقدسة، إنَّ المسيحيين أنفسَهم لا يجرؤون على فعل هذا لعلمهم المسبق بأنَّهم يساعدونه على تكذيب أنفسِهم، فيأتي شيخ مسلم ويقول: ماذا لو جاؤوك بكتاب محرَّف!!.

ومثل هذا الافتراء بأنَّ «د. ذاكر» قال عن بعض الديانات غير المعروفة إنَّها سماوية مثل قوله عن «الزرادشتية» إنَّها دين نبَوي، ومنسوب إلى النبي «زرادشت»، وغير هذا الكلام، ولا أدري إنْ كانوا قد قرؤوا أو سمعوا جيدًا ما قاله «د. ذاكر» عن مثل هذه الأديان، وعلى العموم، فإنَّ مذهبه في مثل تلك الديانات أنَّها قد تكون سماوية، ولم يجزم بذلك، ولكنَّها حُرِّفت كغيرها، وأنا أقول لهؤلاء: «هاتوا برهانكم» على أنَّها ليست سماوية في الأصل، ستقولون: «إنَّ الذي فيها ضلالٌ وفسادٌ»، لكنَّ هذا هو الذي دعانا للقول إنَّها حُرِّفت، يا سادة يا كرام إنَّ الاكتشافات التي وصل إليها «د. ذاكر» في تلك الكتب ربما تثبت فعلًا أنَّها كانت سماوية، وإنَّ التحليلات التي وصل إليه بالتبشير بقدوم الإسلام والنبي محمد -عليه الصلاة والسلام- ربما تثبت أنَّها سماوية[1]، وإنَّ الذي يقرأ تحليله للنصوص يعلم يقينًا أنَّها لم تأتِ من فراغ، ويضيف الأخ الناقد: «إنَّ الزرادشتية من ذوي الأديان الإلحادية، وكونه يثبت أنَّ هذا الدين نبَوي،

---

(١) لقد قدَّم د. ذاكر محاضرة كاملة عن ورود التبشير بقدوم النبي محمد -عليه الصلاة والسلام- في مختلف الكتب المقدسة والمخطوطات التاريخية، ويُنظر في ذلك ص١٩٧.

ويضيفه إلى نبيٍّ من الأنبياء لا يدلُّ على أنَّه صحيح.. فإنَّ ما جاء به رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- ناسخ لما جاء به سـائر الأنبيـاء»، وهنـا لا يسـعنا إلَّا أنْ نقول: حسبنا الله ونعم الوكيل!، أين كلامُ الرجل الذي يقول فيه إنَّه يجوز اتِّبـاع الزرادشتية أو غيرها؟!

أين كلامُه الذي يقول فيه إنَّ ما جاء في تلك الديانات غير منسوخ؟! إنَّ كـلَّ مـا فعله أنَّه أثبت التبشير بقدوم الإسلام والنبي محمد -عليه الصلاة والسلام- مـن تلك الكتب سواء الزرادشـتية أو الهندوسـية أو البوذيـة أو غيرهـا بـذكر صِـفته واسمِه واسمِ أبيه وأمِّه والمكـان الـذي سـيُبعث فيـه وصـفة أعدائـه ومناصريـه وأصحابه، فكلُّ هذا مذكور في كتبهم، وبناءً عليه فقد قـال إنَّ عـلى جميـع أتبـاع الديانات اتِّباع الإسلام؛ لأنَّها جميعًا بشرت بقدومه، إنَّ هذا يشبه تبشـير عيـسى -عليه السلام- بقدوم نبينا -صلى الله عليه وسلم-، ولكنْ أين هـذا التبشـير في الإنجيل؟!، لو لم يُذكر في القرآن لبقينا في الدائرة نفسِها التي تـدور حـول تلـك الأديان كالزرادشتية وغيرها، لكنَّ «د. ذاكر» أثبت من خلالها وردود النبي فيها، وقد سَلِمت تلك النصوص من التحريف لسبب أو لآخر، ومن جملة ما قاله هـو إنَّ كلَّ دين رسالةٌ سماوية نزلت في ظروف معينة لقوم معينين، حتى إذا مـا حـان الوقت المناسب لظهور الإسلام يكون للعموم، وإلَّا لأنزل الله الإسلام فقط منذ البداية دون المرور بتلك المراحل، هذا الـذي قالـه الرجـل، ولم يـدعُ إلى الإيـمان بتلك الديانات كما ذهبوا إليه، فالأمر أبسط من أنْ يُلتفـت إليـه، وإذا مـا تابعنـا تلك الانتقادات لوجدناها خرجت من بَوتقة واحـدة في أسـلوب التعـاطي مـع

الموضوع المطروح، وليس لها صلة بالحقيقة، هدانا الله وإياكم لما فيه خير للمسلمين.

* * *

تمَّ بعون الله كتاب

«ذاكر نايك – ديدات الأكبر»

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات

الفهرس

اللهم أنزل على قبرها الضياء والنور

والفسحة والسرور

اللهم اقبلها في عبادك الصالحين

واجعلها من ورثة جنة النعيم

ذكرى لـ نورسين

«د. ذاكر» رجلٌ بأُمَّة..

طفلٌ منقوصُ الحروف، مرتعشُ الكلمات، ارتجفتْ على شفتَيه الحياةُ رَدحًا من الطفولة، ثم في مَعارج الرُّوح ارتقَى، وتشرَّب من ضِياء السالكينَ دروبَ الهداية، وإلى مَدارج خُطاهم غيَّرَ مسارَ حياته، ومن ينبوع إيمانهم روَّى مُستنبَت أرضِه العطشى لِدَوْح من ضِياء، وذاتَ يقينٍ سقطتْ كلماتُ الشيخ في سُويداء رُوحه، فملكَتْ عليه جَوارحَه، فاستنطقَ اليقين، وراحَ يفتِّش في حَنايا الارتواء عمَّا يَشفي غليلَ الرُّوح اللاهثةِ خلفَ السؤال، فثارتْ في فمِه الكلمات.. إلى أنْ روَّى حقولَ وجدانه رشفةٌ من فَيض شيخه أحمد ديدات:

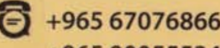
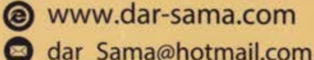
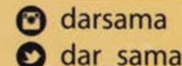
«مَا فَعلتَه يا بُنيَّ في أربعِ سنواتٍ استغرقَ منِّي أربعينَ سنةً»..

لمَّا خاضَ بحار المسيحيَّة واستوَى على صُخور شواطئِها أبحرَ في غياهب الأديان والمعتقدات الأخرى.. صارعَ أمواجَها المتلاطمة، فشدَّ عليها يمخُر عُبابَها لا يلوي على شيء.. حتى اضمحلَّتِ المياه، وغدَتْ طَفطفاتٍ لا تقوَى على سفينةٍ استقرَّتْ على «الجُودِي» الذي ارتفعَ على صخرٍ من الدليل والبرهان ومحجَّةٍ من العقل والنقل.. «د. ذاكر» رجلٌ بأُمَّة..

سامح أحمد شعبان






+965 67076866
+965 90055534

www.dar-sama.com
dar_Sama@hotmail.com

darsama
dar_sama